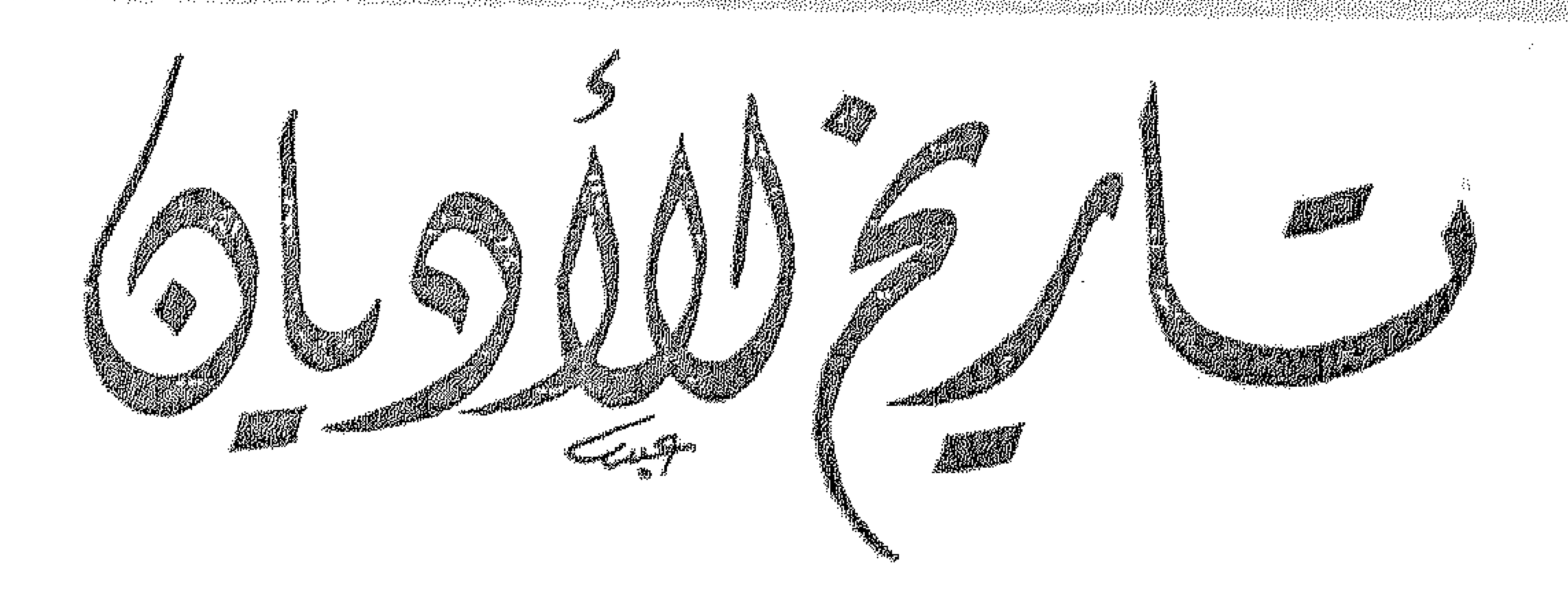
الدكتور
محمد الزحيلي
كلية الشريعة ـ جامعة دمشق

الدكتور
يوسف العش
كلية الشريعة ـ جامعة دمشق



تاريخ الأديان

الطبعة السادسة



منشورات جامعة دمشق

١٤١٥ ـ ١٤١٦ هـ
١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ م

الدكتور
محمد الزحيلي

الدكتور
يوسف العش

تاريخ الأديان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إيـاك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم . والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد بن عبد الله ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً رسـول اللـه .

ونؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبـه ورسـله ، لا نفرق بين أحد مـن رسله ، ونؤمن باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

وبعـد :

فإن مادة " تاريخ الأديان " من المواد الطريفة ، لأنها تفتح للطالب نافذة على الأديان الموجودة اليوم ، والقائمة في العالم ، ويستطيع الإنسان عن طريقها أن يتعرف على مبادئ هذه الأديان المنتشرة في الأرض ، ليقارن بينها ، ويطلع على عقائدها ونظامها وكهنوتها ومقدساتها وتقاليدهـا وعاداتها ، ليكون على محجّة بيضاء في اختيار الدين الحق الذي يقتنع به ، ويدين الله تعالى عليه ، ويلتزم به في حياته وسلوكه ، كما أن هذه المادة تعطي صورة واقعية على بعض جوانب الشعوب ، ومايدور في خلدها من قيم وأفكـار ، تمتد في جذورها إلى التاريخ السحيق ، وتضفي بظلالها وآثارها على عادات المجتمع وتقاليده وأعرافه ، وتفسر لنا الطقوس الدينية الغريبـة التي يتميز بها شعب على آخر .

* مفردات المنهاج :

تضمن المنهاج لمقرر " تاريخ الأديان " الذي يدرس على طـلاب السنة الثالثة من كلية الشريعة المفردات التالية :

١ـ مقدمة عامة تتضمن تعريف الدين وتطور تاريخ الأديان المقارن ، ودور المسلمين في تقدم هذه الدراسات ، وعلاقات الدين بأنواع الثقافات ، ونشأة العقيدة الدينية .

٢ـ الأديان الكتابية أو المنزلة :

آـ الدين اليهودي : تاريخ اليهود ، كتبهم المقدسة ، أنبياؤهم ، عقيدة بني اسرائيل (الاله يهوه ـ وسائر معبوداتهم ـ الآخرة والبعث ـ التابوت والهيكل ، الكهنة والقرابين ـ الشعب المختار والمسيح بن مريم عليه السلام) .
ـ لمحة عن التشريع في اليهودية ، وأهم الواجبات الدينية .

ب ـ النصرانية : حياة المسيح عليه السلام ـ تكوين العقيدة المسيحية (أو النصرانية في نظر المسيحية) ـ النصرانية في القرآن ـ الفلسفة الرومانية والمسيحية ـ الأفلاطونية الحديثة والمسيحية ـ مصادر المسيحية بعد المسيح ـ شعائر المسيحية ـ المسيحية في العصور الوسطى (الأريوسية ـ الرهبانية ـ البابوية ـ الأرثوذكسية ـ السكولاستيلا) ـ حركة الاصلاح الديني ، (ليشر والبروتستانية) ـ الموحدون ـ توحيد الكنائس .

٣ـ الأديان الأخرى :

آـ دين أخناتون .

ب ـ الزرادشتية .

جـ ـ أديان الهند الكبرى : (البرهمية ـ الهندوسية ـ البوذية ـ الجينية ـ السيخ) .

د ـ لمحة عن ديانة الصين : الكونفوشوسية .

* **خطة البحث :**

كان أستاذنا المرحوم الدكتور يوسف العش أول من تولى تدريس هذه المادة في كلية الشريعة ، مع الفرق الإسلامية ، باسم " الفرق وتاريخ الأديان ، وألقى فيها محاضرات قيمة ، وكنا نتلقف عباراته وجمله بآذان صاغية ، ونسرع إلى تدوينها ، إلى أن جمع لفيف من الطلاب هذه المحاضرات ، وكتبت على المكتاب ، لتكون المذكرات المقررة للتدريس .

وبقيت هذه المذكرات هي مادة الدراسة والتدريس طوال هذه الفترة ، وبعد وفاة مؤلفها رحمه الله ، جاءت الخطة الجديدة لكلية الشريعة ، ومنحت الاستقلال لقسم " تاريخ الأديان " وصار مقررا مستقلا ، ووضع له المفردات المذكورة سابقا .

ولكن مذكرات المرحوم الدكتور يوسف العش في " تاريخ الأديان" لا تتجاوز السبعين صفحة ، ولا تغطي كامل مفردات المنهاج الجديد ، وبعد أن أسند إليّ تدريس هذه المادة قمت باستكمال النقص ، وأضفت بعض النصوص المقتبسة من المراجع ، لتوضيح الصورة ، واستكمال المعلومات عن هذه الأديان ، ونظمتها بشكل جديد .

وقسمت البحث إلى ثلاثة أبواب ، وهي :

الباب الأول : مقدمات عامة عن الدين ، في خمسة فصول :

بينت في هذا الباب تعريف الدين لغة واصطلاحا ، ونقلت بعض تعريفات الدين التي ذكرها الفلاسفة وعلماء الدين والكهنوت في الغرب ، وخلصت الى التعريف الدقيق المقصود من الدين عند الاطلاق ، ثم بحثت بواعث التدين الفطرية ، وبينت وظيفة الدين في حياة الفرد ، ووظيفة الدين في المجتمع ، وعرجت باختصار لبيان الصلة والعلاقة بين الدين والعلم ، وانتهيت إلى الخاتمة لتأكيد حاجة الفرد والمجتمع إلى الدين الحق والارتباط المصيري الأزلي مع الخالق ، واليقين الجازم إلى نهاية الكون

في الموت والفناء ثم البعث والنشور ، ثم إلى الحساب والجزاء ، ثم الخلود في الجنة أو النار ، وظهر أنه لا غنى عن الدين في الحياة ،وأنه أساس التقدم والمدنية والحضارة ، كما أنه الأمل الوحيد في طريق الصلاح والاصلاح للفرد والمجتمع .

الباب الثاني : في الأديان الكتابية أو المنزلة ،وفيه مقدمة وفصلان.

ذكرت في المقدمة لمحة عن الأديان السماوية ، والصلة بينها ،وسبب تعددها ،وما طرأ عليها من تحريف وتبديل ، وموقف الإسلام مبدئيا منها .

وفي الفصل الأول عرض للدين اليهودي في أصله ونشأته ،وفي عقيدته ومبادئه ،وفي تطوره ومذاهبه وتشريعاته — كما ذكرها الدكتور العش ،مع إضافات بسيطة ،ونصوص مقتبسة من بعض الكتب .

وفي الفصل الثاني عرض للنصرانية — كما ذكرها المرحوم العش — في نشأتها وظهورها ،وفي عقيدتها ومبادئها ،ثم في تطورها ومذاهبها وما وصلت إليه حتى الوقت الحاضر .

الباب الثالث : الأديان الأخرى ،وفيه مقدمة وأربعة فصول .

ذكرت في المقدمة لمحة عن تعدد الأديان غير السماوية ، وبينت أهمية دراستها في الوقت الحاضر ،ومدى الصلة بينها وبين الأديان السماوية الأخرى.

ثم جاء الكلام موجزا — كما عرضه المرحوم العش — في الفصل الأول عن دين أخناتون ،وفي الفصل الثاني عن الزرادشتية ، وفي الفصل الثالث عن أديان الهندى الكبرى كالبرهمية والهندوسية والبوذية والجينية والسيخ ، وفي الفصل الرابع عن ديانة الصين الكونفوشيوسية ، ونقلت في هذه الفصول بعض النصوص المقتبسة من كتابي أستاذنا المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة " محاضرات في النصرانية " ،" مقارنات الأديان — الديانات القديمة " ،كما استفدت من بعض الكتب التي تناولت دراسة

الأديان ،وذكرت أهمها في الباب التمهيدي .

نسأل الله تعالى أن يتغمد أستاذنا المرحوم الدكتور يوسف العش بواسع مغفرته ،وأن يغفر لنا وله ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ،وأن يحسن خاتمتنا في الدنيا والآخرة ، كما نسأل الله تعالى أن يعلمنا ماينفعنا ، وأن ينفعنا بما يعلمنا ، وأن يرزقنا الهدى والتقى والعفاف والغنى ،وأن يهدينا سبيل الرشاد ،إنه نعم المولى ،ونعم المجيب .

والحمد لله رب العالمين .

دمشق في ١٠ شوال ١٤٠١هـ ١٠ آب١٩٨١م

الدكتور : محمد مصطفى الزحيلي

الباب الأول

مقدمات عن الدين

وجد الدين في هذه الدنيا منذ أول البشرية في الوقت الذى خرج سيدنا آدم من الجنة، وحط قدمه على الأرض، وخاطبه ربه بقوله تعالى : " قُلنا : اهبطُوا منها جَميعا، فإمَّا يأتينَّكُم مني هُدًى، فمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عليهم ولا هُمْ يَحزنونَ" البقرة / ٣٨ .

والتدين فطرة ذاتية في النفس الإنسانية ــ كما سنرى ــ ولا يمكن لها العيش السعيد والراحة والطمأنينة والسعادة إلا تحت ظله .

واستمر الدين يرافق البشرية في أطوار حياتها، ولم يخل مجتمع ولا أمة من ظاهرة التدين، ولم يمر زمن أو عصر بدون التزام بالدين، ولم تقم حضارة، ولا أسست مدنية، ولا نهضت أمة إلا من وراء عقيدة دينية .

وسيبقى الدين مرافقا للبشرية إلى يوم الدين، وإلى أن تفنى البشرية، وتقوم الساعة، ويرث الله الأرض ومن عليها .

* الظواهر المرضية عبر التاريخ :

ولكن الدين الحق الذى أراده الله تعالى لصلاح عباده في الأرض، والذى يمتد من أول البشرية، وينبع من النفس والفطرة، وسيظل حتى النهاية هذا الدين لم يبق على نضارته ونقائه، ولم يسلم على حاله، وإنما عرضت له ظواهر مرضية كثيرة، غيرت جوهرة، وعكرت صفوه، وحالت دون تحقيق الهدف الأصلي منه، وتعددت هذه الظواهر المرضية هنا وهناك، على مستوى الأفراد والمجتمع والدول، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ القديم والحديث ومن أهم هذه الظواهر المرضية للدين عبر التاريخ مايلي :

١ــ ضعف الايمان :

تعرض الدين الحنيف للوهن والضعف في النفوس، وتحركت النزعة

المادية في الانسان ، وطغى الشيطان على أتباعه من الانس والجن للتهرب من أحكام الدين ، والتفلت من زمامه ، والتحايل عليه ، والتلاعب على بعض جوانبه ، وكانت النتيجة سوء الأحوال الخاصة والعامة تحت ستار الدين ، وانتشار الفساد والضلال في الفرد والمجتمع ، وبالتالي فقدت المقاصد الأساسية للدين ، وتعرضت المصالح الحقيقية للضياع .

٢- المتاجرة بالدين :

قام بعض حملة الدين باستغلاله والتستر وراءه لتحقيق أغراضهم الشخصية ، ومطامعهم الذاتية ، وميولهم الدنيئة ، وشهواتهم الحيوانية ، واتخذوا الدين سلعة للمتاجرة والمساومة لسلب خيرات الناس ، وابتزاز أموالهم ، والوصول باسم الدين إلى المناصب والمراكز ، والتمتع بشهوة السلطة ، وفرض النفوذ على الآخرين ، فكانوا أسوأ مثل لرجال الدين .

٣- إضفاء الصفة الدينية على الفلسفة والآراء :

ظهر في مناطق متعددة من أرجاء المعمورة ، وفي أحقاب زمنية مختلفة ، ظهر عدد من الفلاسفة والمفكرين ، وأراد هؤلاء الفلاسفة أن ينشروا فلسفتهم وأفكارهم بين الناس ، فاستغلوا مكانة الدين في النفوس ، وأضفوا على فلسفتهم وأفكارهم الصفة الدينية ، وألبسوها رداء الدين ، ليضمنوا الاقتناع بها بسرعة في النفوس ، ويحققوا انتشارها ، وصارت هذه الفلسفات أديانا في التاريخ والمجتمع ومن هنا ظهرت الأديان الوضعية التي اخترعها الناس افتراء وكذبا وزورا على رب العالمين ، وكانت النتيجة أن تعددت الأديان ، واختلط الحابل بالنابل ، وظهرت الأديان السماوية بجانب الأديان الأرضية ، والأديان المنزلة إزاء الأديان الوضعية ، والأديان

الصحيحة معاصرة للأديان الفاسدة المزورة .

٤- التحريف والتبديل :

تعرضت الأديان السماوية الصحيحة المنزلة للتحريف والتبديل والتغيير على يد فريق من الناس ، الذين دخلوا الدين بدون ايمان ولا اقتناع ، واعتنقوا الدين نفاقا وتقية ، وأعطوا معاول الهدم والتخريب في الأديان ، فأحلوا الحرام ، وحرموا الحلال ، وافتروا على الله الكذب ، والزور والبهتان في الأحكام ، حتى صار الرهبان أربابا من دون الله - والعياذ بالله - ، وانقلب التدين من عبودية الله تعالى الى عبودية البشر والطواغيت ، كما نسبوا لله تعالى مالا يليق به من الأسماء والصفات ، ونسجوا على الأنبياء القصص الوهمية والخرافات .

٥ - شهوة السلطة :

ظهرت جماعات من المتدينين أرادوا أن يشاركوا الحكام والملوك والسلاطين في السلطة ، وأن يتولوا المناصب والزعامات ، فساروا في ركب الحكام الظالمين ، والطغاة المستبدين ، واستغلوا نفوذهم الديني ، ومركزهم اللاهوتي في مواكبة الظلمة ، ومشاركة الطغاة والجبابرة ، وكانت النتيجة أن يمقتهم الناس ، وأن يديروا لهم الظهور ، وأن يصبوا عليهم اللعنات ، وأن يسعوا للتهرب منهم ، والتخلص من جورهم وظلمهم ، وأن يطالبوا بابعاد الدين الذي كان وسيلتهم في ذلك ، وأن يفصل الدين عن الدولة والمجتمع والحياة .

٦- رجال الدين :

أراد بعض الحكام والطغاة المستبدين أن يركبوا موجة التدين وأن يستغلوا الدين لسلطتهم ، فامتطوا بعض ضعاف الايمان من

ذوي النفوس الدنيئة ، ممن يعرف " برجال الدين " ويحمل شعار الدين ، ويلبس رداءه ، فقربوهم إليهم ، وفتحوا لهم أبواب السخاء والرفاه ، ثم سخروهم لمطامعهم ، وجعلوهم أبواق دعاية لهم ، يسبحون بحمدهم ، ويسترون عيوبهم ، ويضفون عليهم المساحيق البراقة ، فكانوا أشبه بكلاب الحراسة للسلاطين ، يقفون بجانب الظلمة ، ويدافعون عن الظالمين ، وحصروا الدين في بوتقة صغيرة ، وفتحوا للناس نافذة ضيقة ، وطلبوا منهم الرؤية من خلال المنظار الذي أتيح لهم .

٧ — الجهل بالدين :

وكان أكبر عون على معاداة الأديان الصحيحة الجهل بها ، لأن الانسان عدو ما يجهل ، وظهرت جماعات كثيرة تجهل الدين السليم ، لكنها لم تتخل عن التمسك به فوجدت حظها بالتقاليد المتوارثة ، والعادات السيئة ، والأعراف الباطلة التي صارت في نظر الناس دينا ينقلونه من الأجداد والى الأباء ، ثم يتوارثونه الى الأبناء والأحفاد ، حتى انقلبت حياتهم " الدينية " إلى وثنية سوداء ، وشرك وضيع ، وقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أولئك هم الأخسرون أعمالا .

٨ — اتباع الشهوات والغرائز :

لئن كان التدين فطرة في النفوس ، ولكن النفس البشرية ذات نزعة مادية أيضا ، وأنها تتركب من عدد من الغرائز والشهوات ، ويقوم العقل باقامة التوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي في النفس ، فإن قصر العقل ، وتخلف عمله ، ترجح جانب المادة ، وتحركت الشهوات والغرائز ، وانطلقت بدون حد ولا قيد ، وسارت في طريق الغواية والشيطان ، وهذا يؤدي إلى تجاوز حدود الشرع

والعقل ، وارتكاب المعاصي ، والانغماس في المحرمات ، والغفلة عن أحكام الشرع ، وتجاوز المقدسات الدينية مع الاعتراف بقرارة أنفسهم بالايمان وصحة العقيدة والتقصير في أحكام الدين ، ويسمى هؤلاء بالعصاة والمذنبين ، ولكنهم يشكلون ظاهرة مرضية خطيرة في المجتمع .

٩ — تمزيق الدين :

وظهرت جماعات كثيرة تؤمن بالدين ، ولكنها تأخذ بعضه ، وتهمل بعضه الآخر ، فتطبق بعض أحكامه ، وتتخلى عن بعضها الآخر ، تسلخ من الدين ماتشاء من الفروع بما يتفق مع الأهواء والميول ، فتلتزم به ، وتدير ظهرها لما تشاء منه ، فتمزق الدين شر ممزق ، ثم تلجأ إلى أديان أخرى أو فلسفات فكرية أو قوانين وضعية لتستورد منها ماتشاء ، وترقع بها التمزيق والثغرات ، بدون تنسيق ولا انسجام ، ليصبح المنظر مقرفا ، والثوب مرقعا ، والصورة مخزية ، والهيكل غريبا عن أهله وعن غير أهله .

ولم يقتصر هذا الأمر على الأفراد والجماعات ، بل امتد إلى الدول والحكومات ، التي قامت بنفس العمل السابق ، وحاولت الجمع بين هذا وهذا ، فضلت وأضلت ، وأضاعت شخصيتها ، وفقدت هيبتها ، وتعسرت في طريقها ، واضمحل كيانها ، لتصبح تبعا لهذا وذلك .

ويصدق على هذه الظاهرة قوله تعالى : " أفتؤمِنُونَ ببعضِ الكتابِ ، وتكفرونَ ببعضٍ ، فما جزاءُ مَنْ يفعلُ ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياةِ الدنيا ، ويومَ القيامةِ يُرَدُّونَ إلى أشدِ العَذابِ ، وما اللهُ بغافلٍ عما تعملون ، أولئك الذينَ اشترَوُا الحياةَ الدُنيا بالآخرةِ ، فلا يُخففُ عنهم العَذابُ ولا هم يُنصرون " البقرة / ٨٥ — ٨٦ .

١٠- التبشير والاستعمار :

اتخذت بعض الدول في العصور الحديثة سياسة مزدوجة نحو الدين ، فأعلنت الحرب عليه في الداخل ، وقررت التخلص منه ، وإغلاق منافذه ، ومنع تعليمه ، واضطهاد رجاله ، وتشويه سمعته ، وإلحاق الشبه والأباطيل والمساوئ فيه ، بينما تبنت الدعوة إليه خارج البلاد ، وأرسلت البعثات التبشيرية في شرق الأرض وغربها ، وأمدتهم بكل مايحتاجونه ، فقام هؤلاء بالتبشير بالدين من جهة ، وإماطة العقبات أمام الجيوش الزاحفة للاستعمار العسكرى والسياسي والفكرى والاقتصادى من جهة أخرى .

١١- الإلحاد والعلمانية :

ظهرت في العصور الحديثة دعوات إلحادية كثيرة ، ونجحت بعض هذه الأفكار الالحادية في استلام السلطة وإقامة الدول على أساس الإلحاد والعلمانية ، وأخذت على نفسها محاربة الأديان ، بدون تمييز بين دين ودين ، وكونت عن الأديان فكرة قاتمة سوداء ، وأصدرت عنها شبهات داكنة في مبادئها وأحكامها واستغلت التاريخ الأسود عن بعض حقب التاريخ للأديان ، وأظهرته للناس ، كما نشرت الجانب المظلم للأديان الفاسدة الباطلة الوضعية ، وحمّلت وزره إلى الدين بشكل عام ، ورسمت للدين صورة مصطنعة اصطناعا ، تعلوها الرتوش الشيطانية ، والهندسة الخيالية ، وتحمل شارة الاستيراد من الخارج ، مع كونها صورة بتراء لبعض الأفكار الدينية المحرفة ، أو العصور المظلمة ، وقرنت بهذه الصورة صورة لمّاعة براقة ، تتجلى في التقدم العلمي ومعطيات الحضارة والانتاج الصناعي الحديث ، والتقنية الفنية ،

والمكتشفات العظيمة ، والاختراعات المتلاحقة ، والوسائل المتعددة التي يسخرها الإنسان في حياته ومواصلاته ، وتزيل عنه متاعب الماضي في مختلف اتجاهات الحياة ، مما يخلب الأنظار ، ويشغل الفكر ، ويحجب كثيرا من البسطاء عن كشف الحقيقة ، والتعمق في النظرة ، والبحث عن المتاعب والمشاكل والأمراض النفسية والعقلية والجسمية التي ترافق هذه الصورة ، لكنه قفز إلى نفوس كثير من الناس ، وخاصة الشباب والمثقفين أن الدين " موضة " قديمة ، وقد ولّى زمانها ، ولم يبق لها فائدة ، وليس للإنسان حاجة اليها ، ويمكن بسهولة ويسر الاستغناء عن الدين ، وأعلنت دعوات الإلحاد وجوب الاستغناء عن الدين وفصله عن الدولة ، وابعاده عن مجال الحياة ، وتابعوا الشطط فقالوا : إن الدين والتدين ظاهرة سيئة وعلامة على التخلف وهو سبب البلاء والتأخر والجمود في كثير من البلدان ، واستدلوا على ذلك بأنهم أصبحوا في عصر المدنية والحضارة ، وأن العلم أساس كل شيء ، ويحقق للانسانية كل شيء ، ويحل — بل يجب أن يحل — محل الدين .

هذه بعض مظاهر الدين المرضية عبر التاريخ ، وكانت النتائج المترتبة عليها متفاوته فقد قضت هذه الظواهر على كثير من الأديان الباطلة ، والأفكار السخيفة ، والطقوس الفارغة ، وقوّضت دعائم رجال الدين في الظلم والاستغلال والاستبداد باسم الدين ، ووضعت حدا للشذوذ والانحراف الذي وصل إليه بعض رجال الدين ، بينما كانت هذه الظواهر المرضية دواء ناجعا للصحوة الدينية في أماكن أخرى ، ودفعت للتفتيش والبحث عن الدين الحق ، والقيم الدينية الصحيحة ، وظل الدين الحق عند الافراد والشعوب كوكبا درّيا ، ومصباحا مضيئا،

وأملا ساطعا ، وبقيت وظيفة الدين ناجحة ومحققة للسعادة ، ومؤمنة لمصالح الفرد والمجتمع بمقدار صحة الدين ، وبنسبة سلامة عقائده وقيمه ومبادئه ، وتدرجت النتائج في أنحاء الأرض بين هذا وذلك.

ولكن هذه الصور الدينية ، والظواهر المرضية لا تزال عالقة في الأذهان ، وموجودة في الواقع ، ولذلك نعرض في هذا الباب تعريف الدين والاستعمال الشائع له ، والمفهوم الصحيح للدين ، ونبين بواعث التدين الفطرية ، ثم نذكر وظيفة الدين في حياة الفرد ، ووظيفة الدين في المجتمع ، وعلاقة الدين بالعلم .

لنعرض في البابين الثاني والثالث تاريخ بعض الأديان .

======

الفصل الأول

" مفهوم الدين "

نريد أن نبين المفهوم الصحيح للدين ، ونميزه عن المفهوم الخاطئ الشائع بين الناس ، لتكون دراستنا مبنية على الأساس السليم والمعنى الدقيق ونقدم لذلك بالتعريف اللغوى .

تعريف الدين لغة :

تتعدد معاني الدين في اللغة ، وأرى أن هذه المعاني تنحصر في ايجاد علاقة بين طرفين ، الطرف الأول يتمتع بالسلطان والقوة والملك والجبروت والحكم وحق القهر والمحاسبة والمكافأة والمجازاة ، والطرف الثاني يقف في الجانب الآخر بالخضوع والطاعة والذل والاستكانة والعبادة والورع ، والعلاقة بين الطرفين هي الدين أو المنهج والطريقة التي تحدد علاقة الأول بالثاني وبالعكس (1) .

---

(1) : أقرب الأمثلة لتوضيح هذه المعاني وبيان هذه العلاقة كلمة " الدَّيْن " فإنه يفهم منها فورا علاقة بين طرفين ، أحدهما دائن ، وله حق المطالبة ، والآخر مدين ، وعليه التزام الدفع وواجب الأداء ، الأول يطالب ، والثاني مطالب ، والمال المطلوب هو الدين ، والقواعد التي يتبعها الدائن والمدين في الدفع والسداد والتوقيت هي الشريعة والقانون ، والفرق بين الدِّين بالكسر ، والدَّين بالفتح أن أحدهما يتضمن في الأصل التزاما ماليا ، والآخر يقتضي التزاما أدبيا ، ومثل كلمة البيع فانها تدل على علاقة بين طرفين هما البائع والمشترى ومحل العلاقة هو المبيع ونظام البيع .

وكلمة الدِّين لها ثلاثة معان ، تدل على العلاقة السابقة التي أشرنا اليها (1) ،وهي :

1- القهر والسلطة والحكم والأمر والاكراه على الطاعة واستخدام القوة القاهرة فوقه ، من دانه دينا ،أي ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وأذله واستعبده ،وحاسبه وكافأه ،فالفعل المتعدي بنفسه يمثل الطرف الأول الذى يتمتع بمعنى الملك والتصرف والحكم والقوة والاستعلاء والسلطان والتدبير والعزة .

2- الاطاعة والخدمة والعبدية والتسخر لأحد والائتمار بأمره ، وقبول الذلة والخضوع تحت غلبته وقهره ، من دان له : أى أطاعه وخضع له أو ذل أو استكان أو عبد ،فالفعل المتعدي باللام يمثل الطرف الثاني المتصف بالخضوع والطاعة بالاستكانة والعبادة، ويظهر الارتباط والتلازم بين المعنيين ،فإن قلنا دانه فدان له : أي قهره على الطاعة فأطاع ،وحكمه فخضع لحكمه .

3- الدين هو الشرع والقانون والطريقة والمذهب والملة والعادة والتقليد ،من دان به ،أو دان بالشيء :أي اتخذه دينا ومذهبا ، أي اعتقده أو اعتاده ، ودان بالاسلام دينا أي تعبد به وتدين ، وهو الدين أو الملة ، فالفعل المتعدي بالباء يمثل الطريقة أو المذهب الذى يسير عليه المرء نظريا وعمليا ،وهو المنهج الذى يتبعه في علاقته أو عبادته أو خضوعه إلى الحاكم والسيد والمالك .

---

(1) : انظر القاموس : القاموس المحيط : 4 / 225 ، المصباح المنير : 1 / 279 ،مختار الصحاح : 218 ، الدين للدكتور محمد عبدالله دراز : 26 ،النهاية ،لابن الأثير : 2 /148 ،المصطلحات الأربعة في القرآن ،أبو الأعلى المودودى : 116 .

٤ـ الدين هو الجزاء والمكافأة والقضاء والحساب ، ومنه قول العرب : كما تَدين تُدان ، أي كما تصنع يصنع بك ، وقال تعالى حكاية عن الكفار : " أإنا لمَدِينون " الصافات / ٥٣ / أي هل نحن مجزيون ومحاسبون ، ومن أسماء الله تعالى : " الديّان " أي الحاكم والقاضي وقيل هو القهار .

تعريف الدين اصطلاحا :

تعرض علماء الاجتماع والفلسفة والأديان إلى تعريف الدين ، وكانت أنظارهم متفاوتة ، واتجاهاتهم متباينة ، ويغلب على أكثرهم الفهم الضيق للدين ، والنظرة الظاهرية له ، دون أن يتعمقوا في المدلول الشامل الصحيح للدين ، أو يلحظوا الآثار العملية له ، ولذلك نلاحظ أن كلا منهم عرف الدين من وجهة نظره الخاصة ، ونذكر هنا بعض تعريفات علماء الغرب للدين ، ثم نبين الاستعمال الشائع الذي نتج عن موقف الغرب من الدين ، لنصل إلى التعريف الصحيح للدين عند علماء المسلمين ، ونخلص إلى بيان الخصائص والميزات التي تتسم بها العقيدة الدينية .

أولا :ـ تعريف الدين عند الغربيين :

ظهرت تعريفات كثيرة للدين في الغرب ، وكانت تنطلق كلها من نظرتهم إلى الكنيسة الكاثوليكية وتاريخها في العصور الوسطى ، وموقفها من الملوك والحكام والاقطاع والرق والحروب والحجر على العلم والاكتشافات ، ثم موقف الثورة الفرنسية وما تبعها من الكنيسة ورجال الدين والأفكار الدينية ، ثم تبني العلمانية ومحاربة الدين وطرد رجال الدين الذين كانوا يمثلون السلطة الروحية والمادية العليا ، ويوجهون السياسة والتشريع والقضاء في العهد السابق (١) .

---

(١) : أنظر : دراسات في النفس الانسانية : ٢٢٨ ، الدين والحضارة الانسانية ، الدكتور محمد البهي : ١٠ ، الدين : ٨٢ .

ومن خلال هذه الصورة ظهرت التعريفات المتباينة عن الدين ، وهي تعريفات كثيرة جدا (1) نقتصر على ثلاثة نماذج منها :

1- يقول جويوه في كتاب " لادينية المستقبل " : " الديانة : هو تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الانسانية ، والشعور الديني هو الشعور بتبعيتنا لمشيئات أخرى يركزها الانسان البدائي في الكون "

فهذا التعريف يمثل النموذج الذي ينكر جوهر الدين في وجود الخالق المبدع ، أو الاله المعبود ، ويتجه إلى الاستخفاف والاستهزاء والسخرية من الدين ، وأنه تصور مثالي للانسانية ، أو اختراع لمشيئات من العقل البدائي ، ويتفق مع اوجست كونت الذي يرى أن العقلية الانسانية مرت بثلاثة أدوار ، هي : دور الفلسفة الدينية ، ثم دور الفلسفة التجريدية ، ثم دور الفلسفة الواقعية ، فجعل التفكير الديني يمثل الحال البدائية التي تخلت عنها البشرية ، وتجاوزتها دون أن تعود إليها ، وهذا ماينادي به فرويد الذي يقسم حياة البشرية إلى ثلاث مراحل سيكولوجية : الأولى مرحلة الخرافة ، والثانية مرحلة التدين ، والثالثة والأخيرة هي مرحلة العلم (2) .

2- يقول شلاير ماخر في " مقالات عن الديانة " : " قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة " .

وهذا تفسير نفسي محض ، يصور النقص في الذات الانسانية وأنها تتطلع إلى الكمال ، ولذلك فإنه يعرف جانبا بسيطا من الدين ، ولكنه يتنكر لوجود المعبود ، ويتجاهل حقيقة الدين وأثره

---

(1) : انظر هذه التعريفات في كتاب الدين ، لدراز ٢٩ ومابعدها .

(2) : الدين : ٨٥ ، شبهات حول الإسلام : ٩ .

في النفوس والعقول ، ووظيفته في التشريع والأخلاق .

٣- يقول الأب شاتل في كتاب " قانون الانسانية " : " الدين هو مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق : واجبات الإنسان نحو الله، واجباته نحو الجماعة ، وواجباته نحو نفسه ".

وهو أرقى تعريف للدين عند علماء الغرب ، وهو يمثل طبيعة الدين النصراني بعد انحسار الكنيسة عن الحياة والسلطة ، وتحديد مهمتها في أماكن العبادة ، وأن وظيفتها تنحصر في صلة الإنسان بربه من الناحية الروحية ، وصلته بالمجتمع من الناحية الخلقية .

وهذه التعريفات الثلاثة تمثل وجهات النظر الرئيسية للدين في الغرب ، فالقسم الأول ينكر الدين والاله أصلا ، والقسم الثاني يلجأ إلى الدين عند الحاجة والضرورة ، وفي حالات الضعف والمرض والعجز وقصور العقل والنفس عن تعليل حوادث الكون ، والقسم الثالث يفهم الدين من الناحية الروحية والخلقية ، وهو أسمى مظهر للتدين عندهم وهو ما يدفعنا لبيان المعنى الشائع عن الدين .

* الاستعمال الشائع للدين :

ظهر في الغرب على ألسنة وأقلام المتدينين معنى خاص للدين ، وهذا المعنى إما أن ينظر اليه من جهة الشخص المتدين ، واما أن ينظر اليه كظاهرة اجتماعية ، فقالوا :

" الدين هو الحالة النفسية والعقلية والوجدانية التي يتصف بها شخص معين ، ونسميها التدين ، أو هو مجموعة المبادئ والقيم التي تدين بها أمة أو جماعة اعتقادا أو عملا ، وتظهر في كتب ومراجع وروايات ، وتتمثل في عادات خارجية وآثار اجتماعية ".

وأصبح المقصود بالتربية الدينية عند هم هو تربية العواطف والمشاعر التي تبعث في نفس المتدين احترام الطقوس الدينية ، والمشاركة

في المناسبات الدينية ، والاحترام لرجال الدين وشعائره والتردد على أماكن العبادة ، والتبرع بشيء من المال ، والقيام ببعض الحركات والمظاهر ، والنطق ببعض الألفاظ والعبارات ، ومن يفعل ذلك فهو المتدين العظيم ، والتقي الصالح ، والورع المقرب ، دون أن تتصل هذه الصفات بحياته وأعماله وقوانينه .

وهذا الاستعمال الشائع يظهر على ألسنة من يدعي التدين ، ويستخدمه أعداء الدين لتقييد مجال الدين وتحديد مفهومه ، والدافع إلى تناوله بالذكر أنه تسرب إلى وطننا ، وانتشر بين أبناء أمتنا ، واستخدم سلاحا في وجه الدعوة والدعاة ، وتستمر المحاولات الحثيثة لفرضه على الإسلام والمسلمين معا .

وإذا كان هذا الاستعمال صحيحا وصادقا على الدين المسيحي في الغرب ، وقد يتفق مع النصرانية التي تفقد التشريع والنظام في أصولها ، فإن الخطأ فيه يظهر من ناحيتين :

١ـ محاولة تعميم هذا الاستعمال الخاص على الدين بمعناه العام ، وأنه شامل لجميع الأديان السماوية والديانات الأرضية ، مع الاختلاف الواسع بين هذه الديانات ، والبون الشاسع بين حدود كل منها .

٢ـ التعمد في نقل واستيراد هذا المفهوم لتطبيقه على أمتنا وأبناء جلدتنا ، وفرضه على ديننا الحنيف ، والسعي بجد ونشاط على إرغام الاسلام على ارتداء هذا اللباس الضيق القصير ، ليبقى الدين في إطار المسجد ، وفي حدود الأخلاق ، وفي منطقة الشعور والوجدان والضمير ، دون أن يكون له أثر في الحياة ، أو تطلع إلى الأمام ، أو مشاركة في التشريع .

* **تعريف الدين عند علماء المسلمين :**

اشتهر على لسان علماء المسلمين تعريف الدين بأنه :

" وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات ، وإلى الخير في السلوك والمعاملات " ، ويقولون في تعريف آخر :

" وضع إلهي ، سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال ، والفلاح في المآل ".

ويصرح التعريف الإسلامي بثلاثة أمور جوهرية ، وهي :

١- أن الدين وضع إلهي ، وليس من ايحاء النفس ، أو تخيل العقل ، أو تنظيم الانسان ، فالله سبحانه وتعالى أنزل الدين الحنيف ، وأوحى بعباداته وتعاليمه وقيمه ، تحقيقا لقوله تعالى : " قُلنا اهبطوا منها جَميعا ، فإمّا يَأْتينَّكم مني هُدَى ، فمن تَبِعَ هُداىَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزنون " البقرة/ ٣٨ ، وأن الله سبحانه الذى خلق الانسان واختاره خليفة في الأرض لم يخلقه عبثا ، ولم يتركه سدى .

٢- أن التعريف ينص على أن الدين عقيدة وشريعة ، أو عقيدة ونظام في الحياة ، فهو ليس مجرد اعتقاد ، بل هو الاعتقاد الحق ، والايمان الصحيح الذى لا يشوبه شيء ، وهو ليس مجرد شريعة ونظام فحسب ، بل هو نظام رباني ، وشريعة إلهية لضمان الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

٣- بيان الربط بين العقيدة والعقل ، وأن الدين متفق تماما مع العقل السليم ، وأنه لا منافاة ولا مناقضة بين الدين والعقل ، خلافا لكثير من علماء الاجتماع والفلسفة والأديان الذين يتعمدون الفصل بين الدين والعقل ، أو الدين والعلم ، وأن الدين محصور بالأمور الغيبية ، أو بما وراء الطبيعة ، وأنه لا شأن للدين والعقيدة في نطاق الحياة ، ومجال المادة ، والعلوم التجريبية ،

فالدين الاسلامي على العكس من هذا تماما من الناحيتين النظرية والعملية أو العلمية والتاريخية .

* المفهوم الصحيح للدين :

وهنا نصل إلى المفهوم الصحيح للدين الذى استعمله القرآن الكريم بالإضافة لاستعمالللدين بالمعاني اللغوية السابقة ، فالقرآن الكريم استعمل الدين بمعنى عام شامل جامع ، ويريد به النظام الكامل ، نظام الحياة الذى يذعن فيه المرء لسلطة عليا ، ثم يقبل اطاعته واتباعه ، ويتقيد في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه ، ويرجو في طاعته العز والفوز بالدرجات العليا وحسن الجزاء ، ويخشى في عصيانه الذلة والخزي وسوء العقاب[1] .

وقد وردت آيات كثيرة تستعمل كلمة الدين بهذا المعنى العام الكامل الشامل لجميع نواحي الحياة الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية ، نذكر بعضها :

قال تعالى : " قَاتِلُوا الذين لا يُؤمنون باللَّهِ ولا باليومِ الآخِرِ ، ولا يُحرِّمونَ ماحرَّمَ اللَّهُ ورسولُه ، ولا يَدينونَ دينَ الحقِ ، مِنَ الذين أوتوا الكتابَ حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صَاغِرون" التوبة/ ٢٩ .

وقال تعالى : " وقالَ فرعونُ : ذَروني أقتلْ موسى ، وليَدْعُ ربَّه ، إني أخافُ أنْ يُبدلَ دينَكم ، أو أنْ يُظهرَ في الأرضِ الفسادَ" غافر/ ٢٦ .

وقال تعالى : " إنَّ الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ " آل عمران/ ١٩ .

وقال تعالى : " ومنْ يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبلَ منه ، وهو في الآخرةِ مِنَ الخاسرين " آل عمران/ ٨٥ .

وقال تعالى : " هو الذي أرسلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه ، ولو كَرِهَ المُشركونَ " التوبة / ٣٣ .

---

(١) : المصطلحات الأربعة في القرآن : ١٢٦ .

وقال تعالى : " وقاتِلُوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ، ويكونَ الدينُ كلُّه للّهِ " الأنفال / ٣٩ .

وقال تعالى : " هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدِّينِ كلِّهِ ولو كَرِهَ المشركون " التوبة / ٣٣ ، الصف / ٩ .

فالمفهوم الصحيح للدين الذى نقصده ، والذى نريد الحديث منه ، هو هذا المعنى الاصطلاحي الذى نص عليه القرآن الكريم ، وصرح باسمه ، وبينه للناس جميعا " إِنَّ الدِّينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ " ، ثم أكده تعالى في آية أخرى وميزه عن غيره ، وبين أن من يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه : " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه " ، فالدين الذى نعنيه ، والذي نحن بصدده ، والذى نريد أن نبين وظيفته في الحياة وحاجة الانسانية إليه هو الإسلام بنظامه الشامل ونظرته الكلية الجامعة الذى فهمه بكل وضوح وتحديد ، صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، والذي تمثله صحابة رسول الله ، والذى طبقه وعمل به والتزمه المسلمون والعلماء العاملون عبر التاريخ .

* خصائص العقيدة الدينية :

لاحظنا أن الدين علاقة بين طرفين يخضع أحدهما للآخر ويقدسه ويبجله ويعبده ، ولكن مظاهر الخضوع والتقديس والتبجيل والعبادة لا تنحصر في الدين فقط ، بل تتعداه إلى أمور كثيرة كالعادات والتقاليد ومبادئ الاخلاق والقيم الانسانية والنواميس الكونية والغرائز والميول البشرية ، فما هي الفوارق التي تساعدنا على التمييز بين الدين وغيره ؟ مع الملاحظة المهمة التي يجب التنبيه عليها باستمرار ، ويجب التذكير بها دوما وهي أننا قصدنا بالدين معناه العام الجامع الشامل الذى يغطي نظام الحياة عامة ، وهذا يعني أن التشريع والأخلاق والعبادة . . . تصبح جزء من العقيدة ، ويكون اتباع أحكام التشريع ، والالتزام بالأخلاق والمواظبة

على العبادة جزء من الدين ، وتنطبق عليه الميزات والخصائص الثابتة للعقيدة الدينية .

إن الميزات التي تجعل من الخضوع دينا أم لا ، تنقسم باختصار إلى قسمين ، وهما :

آ ــ صفات الشيء الذى يقدسه المتدين .

ب ــ طبيعة هذا الدين [1] .

ويمكننا تفصيل ذلك بشرح الخصائص المهمة للعقيدة الدينية ، وهي :

١ ــ إن الانسان يقدس الشرف والعرض والحرية والكرامة ، ويخضع لقوانين الكون وسننه الثابتة ، ولكن هذه الأمور لا تسمى دينا ، لأنها معان عقلية مجردة وتصورات شائعة مبهمة ، أما المتدين فإنه يهدف إلى تقديس حقيقة خارجة عن نطاق الأذهان ، وإن كانت لا تعبر عنها الأذهان أو لا تستطيع تصورها ، فالتقديس الديني يتجه إلى ذات مستقلة قائمة بنفسها ، وتكون العقيدة الدينية صلة بين ذات وذات ، لا بين ذات وفكرة مجردة .

٢ ــ إن الذات التي يقدسها المتدين شيء غيبي لا يدركه بعقله ووجدانه ، وبتعبير آخر : إن العقيدة الدينية تختص بالايمان بالغيب ، ولذلك عبر الوثنيون أن العبادة للأحجار والأوثان والأشجار . . . ليست لذاتها ، وإنما لأنها ترمز لقوة غيبية ، أو أنها ترمز لسر غامض يستحق التقديس ، وقد نقل القرآن حكاية عنهم " ومانَعْبُدُهم إلا ليُقرِّبُونا إلى اللّه زُلفَى " الزمر/ ٣ ، وهذه

---

(١) : راجع كتاب الدين ، للمرحوم الدكتور عبد الله دراز : ٣٦ وما بعدها ، دراسات في النفس الانسانية ، للاستاذ محمد قطب : ٢١٤ .

الميزة الغيبية هي التي دفعت بعض العلماء إلى وصف الدين بأنه ايمان بما وراء الطبيعة " ميتافيزيك " وكأنهم لم يعرفوا من الدين إلا هذه الناحية .

٣ـ إن الذات المقدسة ذات قوة فعالة مؤثرة في غيرها ، كما أنها ذات قوة عاقلة تدرك أهدافها ، وتتجه بالفعل إلى تحقيق أغراضها بمحض اراداتها ومشيئتها ، بخلاف نواميس الكون فإنها منفعلة ، وأن الطبيعة بمعنى مطبوعة وهي اسم مفعول تحتاج إلى فاعل ، وبخلاف بعض المواد التي تؤثر في غيرها ، فإن تأثيرها عفوي دون شعور منها ، ولا اختيار لها في صدوره كالمغناطيس والجاذبية .

٤ـ إن هذه القوة العاقلة المدبرة لها اتصال معنوي بنفس المتدين وبالناس جميعا ، وليست بعيدة عنهم أو منقطعة عن حياتهم ، بل ترعى شؤونهم ، وترعى آمالهم وآلامهم ، وتسمع دعاءهم ونجواهم ، وتكشف السوء عنهم متى شاءت ذلك ، ولها عناية مستمرة بشؤون العالم الذي تدبره .

٥ـ إن هذه القوة المعبودة هي قوة علوية سبحانية قاهرة ، يخضع لها المتدين ، ويقف منها العابد موقف الآمل المتواضع ، يطلب منها الرضى ، ويشفق من غضبها وسخطها ، بخلاف الساحر والعالم الروحاني والعالم الطبيعي فإنهم يسخرون الهتهم التي يأنسون بها ويرجعون إليها ، يسخرونها فيما يطلبونه وينوون القيام به ، وينظرون إليها نظرة مساواة معهم ، أو نظرة استخفاف واستخدام لها ، كما يسخر الكيميائي عناصر الطبيعة لمنافعه وأغراضه .

يقول الدكتور دراز : إن شئنا أن نضرب مثالا حسيا لهذه

الأهداف المختلفة قلنا : إن قبلة العالم المادي تحت قدمه ، لأن القوى التي هو منها بسبيل قوى عمياء صماء ، يحس بها ولا تحس به ، وإذا دعاها لا تستجيب له ، وقبلة العالم الروحي هي من وجه ما في مستوى أفقه ، لأنها وإن كانت أقدر منه على التصرف ، إلا أنها قوى حية عاقلة مثله ، ولكنها من وجه آخر هي دونه ، لأنها تحت يده ، متصرفة بأمره ، منقادة إلى تعاويذه وطلاسمه ، فالكل ينكسون أبصارهم إلى الارض ، والمؤمن يرفع رأسه الى السماء (1) .

٦- العنصر الذاتي النفسي : ويضاف إلى الخصائص السابقة في موضوع العقيدة الدينية عنصر ذاتي نفسي يتميز به المتدين عن غيره ، وهو الخضوع الشعوري الاختياري للمعبود ، فالمتدين يقدس ويمجد معبوده عن طواعية واختيار ، لأنه يستحق ذلك ، ويقوم بالعبادة والتعظيم متى كان مقتنعا بدون إكراه ، ولذلك بين القرآن الكريم أن الصلاة كبيرة وشاقة وصعبة إلا على المتقين ، قال تعالى : ـ " واستَعِينوا بالصَّبرِ والصَّلاةِ ، وإنّها لكبيرةٌ إلا على الخَاشِعِينَ ، الذين يظنّونَ أنَّهم ملاقُوا ربِّهم ، وأنَّهم إليه رَاجِعُونَ " البقرة / ٤٥ ـ ٤٦ ، لأن الطاعة تخرج من القلب عن يقين وقناعة ، واذا وجد شيء من الاكراه غير المباشر كالتهديد بالعقاب فإنه يؤدي إلى مظهر من مظاهر التعظيم ، وصورة من صوره المادية ، ولكنه /لا يتولد عنه حقيقة التعظيم ولا صورته القلبية ، وهذا يفسر لنا الحكمة الإلهية بعدم الاكراه على الدين : " لا إكراهَ في الدِّينِ ، قد تبينَ الرُشدُ مِنَ الغيِّ " البقرة / ٢٥٦ .

---

(1) : الدين ، لدراز : ٤٤ .

وهذا الخضوع الشعوري الاختياري مفقود في خضوعنا لنواميس الطبيعة الشعوري وغير الشعوري ، كالسقوط من أعلى حسب قانون الجاذبية والبعد عن الشمس والكواكب ، ومقدار الضوء والحرارة والضغط الجوي الذي نرزح تحته ، وقانون الشيخوخة والهرم والموت الذي نخضع له أيضا .

٧- وأخيرا فإن خضوع المتدين لمعبوده يشعره بالترفيه عن القلب ، ويفتح أمامه الآفاق ، وينزل عن ظهره الأثقال ، ويجعله يتطلع باستمرار إلى الأمل وتفريج الكروب دون أن يتسرب إلى نفسه اليأس أو يفرض عليه الكبت ، أو يسد أمامه الأمل أو يحد من عمله ، بل يكون المتدين دائما بين الرغبة والرهبة ، أو بين الأمل والحذر والرجاء ، كما سنتبينه في وظيفة الدين في حياة الأفراد .

هذه الصفات تمثل خصائص العقيدة الدينية ، وتميزها عن غيرها من العقائد والمبادئ والأفكار ، ولذلك يلخص الدكتور دراز مفهوم الدين الصحيح فيقول :

" الدين هو الاعتقاد بوجود ذات — أو ذوات — غيبية علوية ، لها شعور واختيار ، لها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الانسان ، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة ، وفي خضوع وتمجيد " . ويقول :

" وبعبارة موجزة : هو الايمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة ، هذا إذا نظرنا الى الدين من حيث هو حالة نفسية ، بمعنى التدين ، أما إذا نظرنا إليه من حيث هو حقيقة خارجة فنقول : هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية ، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها (١) " .

---

(١) : الدين ، له : ٤٩ ، وانظر دراسات في النفس الانسانية : ٢١٤ .

وخلاصة هذا الفصل أننا نريد التمييز بين مفهوم الدين عند الغربيين ، والمفهوم الشائع للدين الذى تسرب إلينا من الغرب ، وبين المفهوم الصحيح للدين الذى بيّنه أسلافنا ، وأن المقصود في بحثنا هو الدين الذى اختاره الله تعالى في القرآن الكريم ورضيه لنفسه وارتضاه للبشرية ورفض قبول غيره ، قال تعالى : " اليومَ أكملتُ لكم دِينَكم وأتممتُ عليكم نعْمَتي ورَضيتُ لكم الإسلامَ دِيناً " المائدة / ٣ ، " إنَّ الدِّينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ " آل عمران / ١٩ ، " ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلام دِيناً فلنْ يُقبلَ منه " آل عمران / ٨٥ .

الفصل الثاني

" بواعث التدين الفطرية "

عرفنا مفهوم الدين الصحيح ، وبينا الخصائص التي تميز الفكرة الدينية عن غيرها من مظاهر الخضوع والتقديس والاحترام والالتزام ، وقبل أن نبين وظيفة الدين في حياة الفرد والمجتمع نريد أن نتعرف على حقيقة الدين وجوهره ، وطبيعة الإنسان ومعدنه ، لنكشف العلاقة القائمة بين الدين وفطرة الانسان ، وهل هي علاقة مؤقتة محددة سطحية ثانوية يمكن الاستغناء عنها عند تقدم العلم وتغير الأزمان ؟ أم هي علاقة فطرية غريزية ذاتية أصلية ، لا يمكن التخلي عنها أو الفصل بينهما ؟ .

إن الإنسان هو الإنسان ، له كينونة ثابتة لم تتغير طبيعته ، ولم تتبدل جبلته ، وأن ينابيع التدين في القديم لا تزال موجودة في الحاضر ، وستبقى كما هي في المستقبل .

والتدين فطرة في الإنسان ، وهو جزء من كيانه ووجوده ، مثل بقية الغرائز التي تتكون منها النفس منذ خلقت البشرية ، وحتى تقوم الساعة ، كغريزة الجنس وحب البقاء والطعام والشراب(1) ، وأن التخلي عن إحدى الغرائز شذوذ وانحراف بالفطرة والإنسان ، وهذا الانحراف والشذوذ متوفر في بعض الناس لتأكيد صفة النقص ، وأن الكمال لله وحده ، ولأن النفس مجبولة من الطين أو الشهوة ومن الروح ، وإن الانسان جُبِلَ في الأرض ليتطلع إلى السماء ، فإن ظهر الالحاد أو الكفر أو الانحراف عن الدين ، فهذا دليل على جنوح الانسان إلى الأرض والشهوة ، ودليل على بعده عن الروح والسماء ، أي هو تغليب لجانب على جانب في حياته ، أو هو إعمال لشطر واحد في فطرته وإهمال للشطر الثاني .

---

(1) : يقول الدكتور دراز رحمه الله : فالإنسان حيوان متدين بطبعه ، قياسا على قولهم : إنه حيوان مفكر ، أو حيوان مدني بطبعه ، انظر : الدين ، له : ٨٠ .

جاء في معجم لاروس للقرن العشرين : إن الفريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية ، وإن الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية (١) .

وهذا معنى كلمة الفيلسوف اليوناني سقراط عندما قال : " كما يشعر الإنسان بحاجته الماسة إلى الهواء والماء والطعام ، تشعر روحه أنها في حاجة مبرمة أيضا الى غذاء معنوي إلهي ، وهذا الشعور هو في عرفنا الدين الذى اهتدى إليه أول إنسان " .

ومن الثابت تاريخيا أن فكرة التدين لم تفارق البشرية ، ولم تخل منها أمة من الأمم القديمة والحديثة ، لأنها نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعا لذلك قال بعض العلماء : إن الحضارات المادية في التاريخ كان مبعثها الدين ، وأن المجتمع الأوربي الحديث لم يتخلّ عن الدين ، وأن شعار العلمانية الذى رفعته أوربا هو خداع وتضليل ، " وأن أوربا الحديثة ، وأوربا المعاصرة ، مجتمعاتها ودولها مجتمعات ودول دينية ، وهي مجتمعات ودول أخذت في الاعتبار منذ قيامها وتكوينها حماية الدين والذود عن المسيحية (٢) " .

والبحث عن أمور الدين — وأهمها وجود الخالق — لم ينقطع لحظة في تاريخ البشرية ، وقد يوصل البحث إلى الغاية المطلوبة والهدف الصحيح ، وقد يضل عن الطريق ، ويشغل ببعض الظواهر ، ويتوقف عند بعض العقبات ليحط العقل البشرى رحاله ، ويتخذ عقيدة ضالة ودينا ممزوجا بالخرافات والأساطير ، وهنا تسمو الديانات السماوية التي أنزلها الله تعالى ، وأوحاها

---

(١) : الدين : ٨٤ .

(٢) : انظر تفصيل ذلك في كتاب الدين والحضارة الإنسانية ، للدكتور محمد البهي : ١٢ ، ٥٢ وما بعدها .

إلى أنبيائه ورسله ،لتبين للناس العقيدة القويمة والدين الحق (1) ، ويبقى في السمو والارتقاء الدين السماوى المحفوظ ، الذى لم يتغير ولم يتبدل ،ولم تعبث به الأيدي ولم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إنه الإسلام الذى نبحث عنه ونبين وظيفته في الحياة ، وحاجة الإنسانية إليه .

* الأدلة الفلسفية على الغريزة الدينية :

ويستدل علماء الأديان والاجتماع والفلسفة على كون التدين فطرة بالاستقراء والاستنتاج ، للكشف عن بواعث التدين الفطرية ، ويمكن ايجازها بمايلي :

1- إن نزعة التدين ظهرت من غريزة التطلع إلى الغيب ومحاولة معرفة الحقيقة الرابضة وراءه ، وعدم الوقوف عند حدود الواقع الحسي ، والعودة إلى التأمل في المسائل الأزلية : لم خُلق الانسان ؟ومن خلقه ؟ ولم خلق الكون ؟ ومتى ؟ ومن خلقه ؟ وماهو مبدأ الانسان ؟ وماهي غايته وهدفه ؟ وإلى أين يسير ؟ وماهي نهاية الكون ؟ وماهو مصير الإنسان ؟ وماذا بعد الموت ؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تدفع الانسان إلى الايمان بالله ، وإلى البحث والنظر والسعي والعلم والاكتشاف ،وهذا التطلع والتأمل في هذه القضايا الغيبية كانت ولا زالت وستبقى الشغل الشاغل للانسان ، ويريد الوصول إلى اليقين أمام مشكلات الكون الكبرى ،مهما تقدمت به المدنية، وتعددت الاكتشافات ،وترقى العلم ،لأن العلم عاجز قطعا عن الإجابة عن هذه الاسئلة ،وأنه مقيد بكشف نواميس الكون دون أن يغير منها شيئا ، وأن مجاله محدد في النواحي المادية التي وضعت تحت حواسه ، كما سنرى بعد قليل .

يقول سانت هيلير : " هذا اللغز العظيم الذى يستحث

(1) : دراسات في النفس الانسانية : 11 - 21

عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟ من أين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الدنيا ؟ أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟ هذه الأسئلة لا توجد أمة، ولا شعب، ولا مجتمع إلا وضع لها حلولا جيدة أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، ثابتة أو متحولة . . . » (١) .

٢- العجز في الانسان وحاجته إلى قوة جبارة تنقذه من المهالك وتعينه وقت الشدة، ويستغيث بها وقت الضيق، فتنجده وتخرجه من المآزق، وتقدم له العون عند الحاجة، وهذا العجز موجود في كل نفس، ويلمسه الإنسان في نفسه، ويسمعه من غيره .

سأل رجل الإمام جعفر الصادق عن الله فقال : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى، قال : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم، قال : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم، قال : فهل خطر في بالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟ قال : نعم، قال : فذلك هو الله .

هذا الشعور النفسي بوجود المنقذ من الهلاك، والمنجي من الهم والغم والحزن والكرب، إما أن يبقى مع الانسان فيكون مؤمنا، وإما أن يتنكر له، ويجحد هذا الفضل، ويعرض عن ربه، فيكون كافرا وملحداً وضالا، وقد صور القرآن الكريم في آيات كثيرة، ومواطن مختلفة هذه النماذج من النفوس، منها :

---

(١) : الدين : ٨٤ .

قال تعالى : " هو الذي يسيّركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنّهم أُحيط بهم دعوا اللّهَ مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين ، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحقّ "، يونس / ٢٢ – ٢٣ .

وقال تعالى : " وإذا مسّكم الضُّرُّ في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه ، فلمّا نجّاكم إلى البر أعرضتم ، وكانَ الإنسانُ كفوراً » الإسراء / ٦٧ .

وقال تعالى : " وإذا مسَّ الانسانَ ضُرٌّ دعا ربَّه منيبا إليه ثمَّ إذا خوَّلَه نعمةً منه نَسِيَ ماكان يدعُو إليه مِنْ قَبْلُ ، وجعلَ لِلَّهِ أنداداً ليُضِلَّ عنْ سبيلهِ » الزمر / ٨ .

وقال تعالى : " ومابكم من نعمةٍ فمنَ اللَّهِ ، ثم إذا مسَّكم الضُّرُّ فإليه تجأرون ، ثم إذا كشفَ الضرَّ عنكم إذا فريقٌ منكم بربهم يُشركون ، ليكفُروا بما آتيناهم ، فتمتَّعوا فسوفَ تعلمون ، ويجعلُون لِما لا يعلمونَ نَصيباً مما رزقناهم ، تاللَّهِ لتُسألنّ عما كنتم تَفْترون " النحل / ٥٣ – ٥٦ .

وقال تعالى : " أمَّنْ يُجيبُ المضطرَّ إذا دَعاه ، ويكشفُ السوءَ ، ويَجْعلُكم خُلفاءَ الأرضِ ؟ أإلهٌ مع اللَّهِ ؟ قليلاً ماتَذَكَّرُونَ ، أمَّنْ يَهْديكم في ظُلماتِ البرِ والبَحْرِ ، ومَنْ يُرسِلُ الرياحَ بُشراً بين يَدَيْ رحمتِهِ ؟ أإلهٌ مع اللَّهِ ؟ تَعالى عمَّا يُشركون " النمل / ٦٢–٦٣ .

وقال تعالى : " قلْ مَنْ يُنَجِّيكم من ظلماتِ البر والبحر تَدْعونه تَضَرُّعاً وخُفْيةً لئن أَنْجانا من هذه لنكوننَّ منَ الشاكرينَ ؟ قلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ منها ومن كل كَرْبٍ ثم أنتم تُشركون » الأنعام / ٦٢ – ٦٣ .

هذه الآيات الكريمة تكشف هذا الاحساس النفسي الباطني عن عجز الإنسان ، وتذكر بعض الأمور الدقيقة التي لا مهرب منها لكل فرد من إقراره بالعجز ، والتجائه إلى القوى الغيبية الخالقة المبدعة التي تتصرف بالكون ،

فيلجأ إليها لتنقذه من المهالك، ويستنجد بها في أحلك الظروف للنجاة، ويعطي الوعود والعهود بالتوبة والانابة والطاعة والخضوع، ثم لا يلبث أن ينسى حاله، وينقض وعده، ويتيه في غيه وضلاله إلا من رحم ربك، وأعمل عقله، واحترم نفسه، وفكر في ماضيه وحاضره ومستقبله، فهو على العهد باق، وبالعقيدة والايمان بالله ملتزم.

يقول الأستاذ محمد قطب: " يحس الإنسان بالعجز إزاء الكيان الكوني من حوله، يبدأ العجز من لحظة الميلاد ويستمر إلى لحظة الموت، ولا ينقطع فيما بين الميلاد والموت، وإن كان يأخذ صورا مختلفة في كل سن وكل طور من أطوار النمو الجسمي والنفسي... ، ويظل يكبر ويكبر معه العجز حتى يستوى على أشده ومايزال يحس بالعجز في أكبر مجالاته، العجز عن تحقيق كل مايريد تحقيقه، والعجز عن معرفة كل مايريد معرفته، والعجز عن السيطرة عن كل مايريد السيطرة عليه... " ثم يقول:

" حقا إنه يحقق أشيا كثيرة، ويعرف أشياء كثيرة، ويسيطر على أشياء كثيرة، ولكن هذا لا ينفيه، ولا ينفي عن خاطره شعور العجز، فهو يريد أن يحقق كل شيء، ويعرف كل شيء، ويسيطر على كل شيء... وأشد مايقف أمامه عاجزا رغبة الخلود، والرغبة في معرفة الغيب الذي لم يحدث(1)".

٣- ومن دوافع الفطرة إلى التدين الاحساس بالرهبة أمام هذا الكون العظيم ومايجرى فيه مما يحرك أحاسيس الإنسان، ويوقظ مداركه، ويدفع عقله - بالغريزة والفطرة - ليبحث عن خالق الكون، فيأنس به، ويطمئن قلبه عنده، ويهدأ روعه وخوفه، ويأمن جانبه، ويعقد أواصر التقرب له، ثم يقدم الطاعة والعبادة لعظمته، وهذا هو الدين.

---

(1): انظر: دراسات في النفس الإنسانية: ٢١٩، القرآن والطبائع النفسية: ٥٦.

وقد لفت القرآن الكريم النظر في آيات متعددة إلى هذا الكون وما فيه من أجرام ومشاهد ومخلوقات تستحق الوقوف أمامها ، ويقف الإنسان عندها مشدوهاعاجزا لا يملك حراكا ولا عطاء ، بل جاءت بعض الآيات الكريمة تتحدى مظاهر الكون والطبيعة والانسان على أن تخلق نفسها أو تخلق غيرها أو تملك النفع أو الضرر لنفسها أو لغيرها .

قال الله تعالى : " والذينَ يَدْعون من دون اللّهِ لا يَخْلقونَ شيئا وهم يُخْلقون ، أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يَشْعُرونَ أيَّانَ يُبْعثُون ، إلهكم إلهٌ واحدٌ " النحل / ٢٠ — ٢٢ .

وقال تعالى على لسان ابراهيم : " اذ قالَ لأبيه : ياأبتِ لِمَ تعبدُ مالا يسمعُ ولا يبصرُ ولا يُغني عنك شيئا " مريم/٤٢ .

وقال تعالى : " ومالي لا أعبدُ الذي فطرني وإليه تُرجعون ، أأتخذُ من دونه آلهةً إنْ يُرِدْنِ الرحمانُ بضرٍ لا تُغْنِ عني شفاعتُهم شيئاً ولا يُنْقِذون " يس / ٢٢ — ٢٣ .

وقال تعالى : " ويَعبدونَ منْ دون اللّهِ مالا يَضرهم ولا يَنفَعُهم ، ويقولونَ : هؤلاءِ شفعاؤنا عندَ اللّهِ " يونس / ١٨ .

وقال تعالى : " اللّه الذي رفعَ السمواتِ بغيرِ عمدٍ ترونَها ، ثم استوى على العَرْشِ وسخرَ الشمسَ والقمر، كل يجري لأجلٍ مسمى يُدبِّرُ الأمرَ يُفصِّلُ الآياتِ ، لعلكم بلقاءِ ربكم توقنون ، وهو الذي مدَّ الأرضَ وجعلَ فيها رواسيَ وأنهاراً ، ومن كلِّ الثمراتِ جعلَ فيها زوجين اثنين ، يُغشي الليلَ النهارَ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون ، وفي الأرضِ قطعٌ متجاوراتٌ وجناتٌ من أعنابٍ وزرعٌ ونخيلٌ صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ يُسقى بماءٍ واحدٍ ، ونفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون " الرعد / ٢—٤ ، ثم قال تعالى : " اللهُ يعلمُ ماتحملُ كلُّ أُنثى وماتغيضُ الأرحامُ وماتزدادُ ، وكلُّ شيءٍ عندَه بمقدارٍ " الرعد / ٨ ، " هو الذي يُريكم البرقَ خوْفاً وطَمَعَاً ويُنْشِئ

السَّحابَ الثِّقالَ ، ويسبحُ الرعدُ بحمدِهِ والملائكةُ من خيفتِهِ ، ويُرسلُ الصواعقَ فيصيبُ بها من يشاءُ ، وهم يُجادِلونَ في اللَّه ، وهو شديدُ المِحالِ " الرعد / ١٢-١٣ .

ويقول تعالى : " خَلَقَ السمواتِ بغيرِ عَمَدٍ ترونَها ، وألقَى في الأرضِ رواسيَ أنْ تميدَ بكم ، وبثَّ فيها من كلِّ دابةٍ ، وأنزلْنا منَ السماءِ ماءً فأنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ كريمٍ ، هذا خلقُ الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون في ضلالٍ مبين " لقمان / ١٠-١١ .

ويقول تعالى : " أفمنْ يخلقُ كمنْ لا يخلقُ ؟ أفلا تذكَّرون " النحل / ١٧ ، " والذين يَدعون من دون اللَّهِ لا يَخْلقونَ شيئاً وهم يُخْلَقون " النحل / ٢٠ .

ويقول تعالى : " يا أيها النَّاسُ اذكروا نعمةَ اللَّهِ عليكم هل من خالقٍ غيرُ اللَّهِ يرزقكم من السماءِ والأرضِ ، لا إلهَ إلا هو ، فأنَّى تُؤفكون " فاطر / ٣ .

ويقول تعالى متحديا البشر في الخلق والإعادة : " قل أرأيتم إنْ أخذَ اللَّهُ سمعَكم وأبصارَكم وختمَ على قلوبكم مَنْ إلهٌ غيرُ اللَّهِ يأتيكم به " الانعام / ٤٦ .

ولنتأمل هذه المحاورة مع الكفار في قوله تعالى : " وهو اللَّهُ لا إلهَ إلا هو له الحمدُ في الأولى والآخرةِ ، وله الحكمُ وإليه تُرجعون ، قل : أرأيتم إنْ جعلَ اللَّهُ عليكمَ الليلَ سَرْمَداً إلى يوم القيامة ، منْ إلهٌ غيرُ اللَّهِ يأتيكم بضياءٍ ؟ أفلا تسمعون ، قل : أرأيتُم إنْ جعلَ اللَّهُ عليكم النهارَ سَرْمَداً إلى يوم القيامةِ مَنْ إلهٌ غيرُ اللَّهِ يأتيكم بليلٍ تسكنونَ إليه أفلا تُبصرون ؟ ! » القصص / ٧٠ - ٧٢ .

ويقول تعالى : " الذي له ملكُ السمواتِ والأرضِ ولم يتخذْ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك وخلق كلَّ شيءٍ فقدَّرَه تقديراً ، واتَّخذُوا من دونه آلهةً لا يَخْلقون شيئاً وهم يُخلقون ، ولا يَمْلكون لأنفسهم ضَرّاً ولا نَفْعاً ،

ولا يَمْلِكون مَوْتا ولا حَياةً ولا نشوراً »الفرقان / ٢–٣ .

والآيات كثيرة في هذا الخصوص ،ولا يقف الإنسان أمامها عاجزا فقط ،وإنما يصاب بالرهبة والخوف والجمود والحيرة لولا ثقته وايمانه به .

وقد يقول قائل : إن هذه الرهبة كانت في القديم ، فأثارت نفس الانسان البدائي ،فاندفع إلى التدين ليأمن من خوف الطبيعة والكون ، واليوم لا نحس بذلك ، ولا نلمسه في النفس الإنسانية ،وبالتالي فلاحاجة للدين اليوم ! ؟ .

والجواب على ذلك : أن هذا الاحساس بالرهبة كان ولا يزال وسيبقى ،لانه نتيجة حتمية للعجز الذي يتركب منه الإنسان بفطرته وطاقاته وامكانياته ،ولكن هذه الرهبة تغيرت بواعثها ، ففي القديم خاف الإنسان من خسوف القمر وكسوف الشمس ،وأصابته الرهبة من الرياح والأعاصير والعواصف ،ووقف يرتجف من بعض الحيوانات المفترسة والوحوش الكاسرة ، وخشي من القحط والجدب وقلة المطر وجفاف الأنهار . . .

أما بواعث الرهبة اليوم فلم تقتصر على ماسبق ، وإنما تتحقق في في نفوس العلماء الذين وصلوا الليل بالنهار ، كل في اختصاصه ،ثم وصلوا إلى الطريق المسدود ،ووقفت الوسائل ، وعجز العلم أمام اللغز المحير ، وأدرك كل عالم أن وراء ذلك قوة كاملة ،وارادة منظمة ، وعقلا واعيا ،وعظمة مطلقة ،مثل تفجير الذرة ، ومرض السرطان وبقية الأمراض المستعصية ، ومعرفة تركيب العين ،والسر في انسجام أعضاء الانسان ، ولفظ الأعضاء الأجنبية عند نقل الكلية أو القلب . . . والصبغيات في تكوين الجنين ، والخلايا في المخ والدماغ ،وعصب العين .

ونعود لنسأل هل استطاعت الانسانية والعلم أن يضع حدا للزلازل والأعاصير التي تتحرك في جنوب شرق آسيا مثلا ؟ وتزيل مدينة صناعية كاملة من وجه الأرض في الصين ،ويذهب ضحيتها الملايين في ثوان

معدودة ؟ وهل استغنى البشر اليوم عن الأنهار الجارية والأمطار ؟ وهل يغيب عن ذهن العاقل أخطار الجفاف وقلة الأمطار التي تهدد أوربا اليوم، وتنذرها بأفدح العواقب ؟ .

وإذا استطاع العلم أن يكشف نظام أحد المخلوقات ويعرف كيفية عمله ويدرك سر تكوينه فإن هذا لا يغير من الحقيقة شيئا ، ولا يفقد الفكرة قيمتها ، لأن هذا الكائن المخلوق يسير على نسق لا يستطيع العلم تغييره ولا تبديله ، مثل تكوين الأمطار وهطولها ، مع العجز عن تغيير نظامها ، وتبديل الأمطار الشتوية إلى صيفية ، والموسمية إلى فصلية ، ونقل الأمطار والطوفان من آسيا لتخفيف الجفاف في أوربا ، كما اكتشف العلم تركيب الهواء أو الماء ولكن هل غيّر من تركيبه ؟ وهل أوجد شيئا من العدم؟ وبذل البشر ملايين الملايين للوصول إلى القمر والمريخ ، ولكن هل غيروا من نظامهما ؟ وهل عدلوا من سرهما ولو مثقال ذرة ؟؟ .

وإذا كان بعض العابثين لا يشعرون بهذه الرهبة ، لأنهم يقنعون أنفسهم بما قدّمه العلم من تفسير لبعض الظواهر التي كانت تخيف الناس في السابق ، مثل تفسير ظاهرة الخسوف أو الكسوف أو نزول المطر أو حدوث البرق والرعد أو دوران الشمس والقمر ، ويقفون عند هذه التفسيرات الظاهرية ، ثم يضعون القفل على العقل ، ويسدون الطريق أمامه في متابعة الحكمة والغاية والهدف والسر في هذه الظواهر ، والدقة في حدوثها والمحرك لها ، فإن هؤلاء أشبه بالطفل الذى يقترب من النار ولا يرهب حرها ، ويرمي بنفسه على السيارة المسرعة ولا يدرك خطرها ، ويعبث بسلك الكهرباء ولا يعقل سعيرها ، ويلهو بكتب والده أو أدواته الطبية والهندسية وآلاته الحساسة ، ولا يعرف قيمتها ، أما العالم بكل ذلك فهو المقدر لكل شيء قدره ، وهو الذى يحس بالرهبة والخوف أمام عظمة الله تعالى في خلقة وكونه ، وصدق الله العظيم " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " فاطر / ٢٨ .

٤- ومن الدوافع الفطرية للتدين الموت الذي يردع الأحياء ويهزهم إلى الأعماق (١) ، وينبه فيهم القوى المعطلة ، والأجهزة المتجمدة ، - والاحساس المخدر ، ويزيل من أمامهم الحجب ، ويكشف لهم الطريق ، ويذهب الغبش عن العين ، فيصحو الانسان لنفسه ، ويتفكر في حياته ، ويبحث عن الهدف من الحياة ، ويستطلع ما بعد الموت ، ويدرك تماما قيمة الحياة الآخرة ، وتفاهة الدنيا ، وأنها متاع قليل ، وأن الكمال الحقيقي الذي يتفق مع تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات أن تكون نفسه وروحه باقية بعد الموت ، وأن لها حياة أخرى بعد هذه الحياة يلتقي فيها الأحبة والخلان ، وفيها يحاسب كل إنسان على عمله ، لتتحقق العدالة المطلقة ، فيلقى كل إنسان جزاء عمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، يقول الامام علي كرم الله وجهه : " الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا (٢) " ونقش عمر رضي الله عنه على خاتمه : " كفى بالموت واعظا لك ياعمر " .

ونلمس هذه الأحاسيس يوميا في الحياة من الملحدين والفاسقين والغافلين والمقصرين والعابثين ، فإذا فاجأهم الموت بعزيز أو بقريب أو بحبيب نطقوا بالحق ، وصحوا من النوم أو الغفلة ، وصرحوا بالايمان . . . ولبوا نداء الفطرة ، وبحثوا عن التدين ، وأسرعوا إلى الطاعة والعبادة ، وأنابوا إلى بارئهم ، ومنهم من يستمر ، ومنهم من ينكث على عقبيه .

٥- التأمل في نظام الكون وأجزائه والتفكر في المخلوقات ، بدء من الانسان وتكوينه وأعضائه وأجهزته ، وانتهاء بالنجوم والمجرات وطبقات الأرض . . . وكلما تقدم العلم وقف العقلاء مبهورين ومبهوتين من عظمة هذا الكون ونظامه الدقيق ، ليقفوا بكل خشوع واجلال وتذلل أمام القدرة الخالقة المكونة ، وهذا انتقال من المخلوق إلى الخالق ، ومن الطبيعة إلى مكونها وبارئها ، ومن المسبب إلى السبب ، ومن المصنوع إلى الصانع ، مما يقتضيه العقل ويسوق إليه الفكر في أدق الأمور وأجلها ، وأحقر الأشياء

---

(١) : دراسات في النفس الانسانية : ٢٢١ . (٢) : كشف الخفا : ٢ / ٤٣٢ .

وأعظمها ، وهو ما نطق به ذلك الاعرابي بفطرته السليمة فقال : البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا تدل على العليم الخبير؟

والقرآن الكريم عرض جولات كثيرة جدا مع هذا الباعث الفطري للتدين ، ليحث العقل على التأمل بالكون والتدبر في المخلوقات والبحث عن نظامها العجيب ، ليغرس في نفسه الايمان والعقيدة ، من ذلك :

قوله تعالى : " وفي الأرضِ آياتٌ للموقنينَ ، وفي أنفُسِكم أفلا تُبْصِرونَ ، وفي السَّماءِ رزقُكم وما تُوعَدُونَ " الذاريات / ٢٠ - ٢٢ .

وقوله تعالى : " أفلا ينظرونَ إلى الإبلِ كيفَ خُلِقَت ، وإلى السَّماءِ كيفَ رُفِعَت ، وإلى الجبالِ كيفَ نُصِبَت ، وإلى الأرضِ كيفَ سُطِحَت ، فذكِّر إنَّما أنتَ مُذَكِّر " الغاشية / ١٧ - ٢١ .

وقوله تعالى : " الذي خلقَ سبعَ سمواتٍ طباقا ، ما ترى في خلقِ الرحمنِ من تَفاوُتٍ ، فارجعِ البصرَ هل ترى من فُطورٍ ؟ ثم ارجعِ البصرَ كرَّتَيْنِ ينقلبْ إليكَ البصرُ خاسئا وهو حَسِيرٌ " الملك / ٣ - ٤ .

وقوله تعالى : " خَلَقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ ، يُكوِّرُ الليلَ على النهارِ ، ويكوِّرُ النهارَ على الليلِ ، وسَخَّرَ الشمسَ والقمرَ ، كلٌّ يجري لأجلٍ مسمى ، خلقكم من نفسٍ واحدةٍ ثم جعلَ منها زوجَها ، وأنزلَ لكم من الأنعامِ ثمانيةَ أزواجٍ يَخْلقكم في بطونِ أمهاتِكُم/ خلقا من بعدِ خلقٍ ، في ظلماتٍ ثلاثٍ ، ذلكمَ اللّهُ ربكم له الملكُ ، لا إلهَ إلا هو فأنّى تُصرفون " الزمر / ٥ - ٦ .

وقوله تعالى : " الذي له ملكُ السمواتِ والأرضِ ، ولم يتَّخِذ ولَدا ، ولم يكن له شريكٌ في الملكِ ، وخَلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديرًا " الفرقان / ٢ .

وقوله تعالى : " وآيةٌ لهم الأرضُ الميتةُ أحييناها وأخرجنا منها حبًا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جناتٍ من نخيلٍ وأعنابٍ وفجَّرْنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمرِه وما عملتْه أيديهم ، أفلا يَشْكرون ؟ سبحانَ الذي

خلقَ الأزواجَ كلَّها مما تُنبتُ الأرضُ ومنْ أنفسِهم ومالا يعلمون ، وآيةٌ لهم الليلُ نسلخُ منه النَّهار فإذا هم مُظلمون ، والشمسُ تجري لمستقرٍ لها ذلك تقديرُ العزيزِ العليم ، والقمرَ قدَّرْناه منازلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القديم ، لا الشمسُ ينبغي لهاأنْ تدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ ، وكلٌ في فلكٍ يَسْبَحُون " يس / ٣٢ - ٤٠ .

ونستطيع القول أنه لا توجد سورة في القرآن الكريم ، ـ وخاصة السور المكية ـ إلا وفيها إشارة أو تصريح أو عرض كامل للنظر في الكون والتأمل في نظامه وابداعه ، لتحريك السمع والبصر والحواس والعقل للتفكير في خلق الله تعالى ، ثم الوصول بالاعتراف والاقرار بالألوهية والربوبية .

هذه البواعث الخمسة : (التطلع الى الغيب ، والعجز ، والاحساس بالرهبة ، والخوف والموت ، والتأمل في نظام الكون) هي التي يستدل بها العلماء على كون التدين فطرة في النفس ، وقد عرضناها بأسلوبهم ، ثم بينا مايؤيدها ويدعمها من القرآن الكريم ، وأنه حرص على تحريك الفطرة البشرية والغرائز الانسانية لاثبات العقيدة وتنمية الايمان في النفوس .

* الأدلة الشرعية على الغريزة الدينية :

ويمكننا أن نستدل على غريزة التدين في الإنسان ، وأنها مفطورة في نفسه وتكوينه بالدليل النقلي الصريح المباشر من كتاب الله تعالى ، في الآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان وفطرته وجبلته ، ومارافق ذلك من وجود الدين في النفس البشرية .

١ـ قال الله تعالى : " وإذ قالَ ربُّكَ للملائكةِ : إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً ، قالُوا : أتجعلُ فيها منْ يفسدُ فيها ، ويَسْفِكُ الدماءَ ، ونحنُ نسبحُ بحمدكَ ونقدِّسُ لك ؟ قال : إني أعلمُ مالا تعلمون ، وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها ثم عَرَضَهم على الملائكةِ فقال : أنبئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كنتم صادقين ، قالُوا : سبحانَك لا علمَ لنا

إلا ماعلمتنا إنّك أنتَ العليمُ الحكيمُ . . . " الآيات ، ثم يقـــول تعالى : " قُلنا : اهبطوا منها جميعاً ، فإمّا يأتينكم مني هُدَىً ، فمن تبعَ هُداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون " البقرة / ٣٠-٣٣ ، و ٣٨ .

٢- قال الله تعالى : " قالَ : اهبطا منها جميعاً ، بعضكم لبعض عدوٌ ، فامّا يأتينكم مني هُدَى فمن تَبِعَ هُدايَ فلا يضلُ ولا يشْقَى ، ومن أعرضَ عن ذكري فإنّ له معيشةً ضَنْكا ، ونحشرُه يومَ القيامةِ أعمى " طـه / ١٢٣ - ١٢٤ .

٣- قال الله تعالى : " إذْ قالَ ربُّك للملائكةِ : إني خالقٌ بَشَراً مـــن طينٍ ، فإذا سَوَّيتُهُ ونفختُ فيه من روحي فقعواله ساجدين " سورة ص / ٧١ - ٧٢ .

فالآية الأولى والثانية تصرحان بأن الانسان خليفة الله في أرضـه ، وإن الهداية والديانة والايمان رافقه منذ هبوطه إلى الارض ، والآيــة الثالثة تصرح بطبيعة الانسان وأصل خلقه وجبلته ، وأنه من طيــن ، معزوج بروح الله تعالى ، وأن الجسد لا ينفصل عن الروح ، وأن كل محاولة للفصل أو بذر الشقاق بينهما شذوذ وانحراف في السـلوك ، وعاهة في التكوين ، كما أن كل عنصر له متطلبات ، وخلقت له ميول للمحافظة عليه ، فالطعام والشراب والجنس للمحافظة على الجســد ، والتدين للمحافظة على الروح .

٤- قال الله تعالى : " وإذ أخذَ ربُّك من بني آدمَ من ظهورِهم ذريتَهم وأشهدهم على أنفسِهم : ألستُ بربكم ؟ قالُوا : بلى ، شَهِدْنا " الأعراف / ١٧٢ .

فهـذه الآيـــة صريحـــة في وجود التدين في النفـــس الانسانية قبل وجودها وظهـــورهـا على ظهــــــر

البسيطة (١) .

٥- قال الله تعالى : " فأقم وجهك للدِّين حنيفاً ، فطرةَ اللّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليها ، لا تبديلَ لخلقِ اللّهِ ، ذلك الدِّينُ القَيِّمُ " الروم / ٣٠ .

فالنفس أو الفطرة خلقها الله تعالى ، وأودع فيها هذا الاتجاه إلى الخالق ، وأن الانسان مهما ابتعد عن منهج الله وجحد وجوده ، وكفر بالدين ، فإنه لن يستطيع أن يغير فطرته : "لا تبديل لخلق الله " بدليل أنه لا يستطيع أن يحجب هذه الفطرة عما يجيش فيها عند الأزمات والأوقات الحرجة ، وأمام البواعث السابقة للتدين ، وبدليل ما يجده الإنسان من الندم على الأفعال الذميمة ، ومن وخز الضمير - إن بقي عنده ضمير ولم تفسده المفاتن والشياطين وهذا ما قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف :
" كل مَوْلود يُولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه (٢) .

فالإنسان لا غنى له عن التدين ، لأنه جزء من ذاته ونفسه وفطرته ، ولذا يجيب أحد الفلاسفة الفرنسيين على سؤال : لماذا أنا متدين ؟ فيقول : لأنني لم أحرك شفتي بهذا السؤال مرة إلا وأراني مسوقا للاجابة عليه بهذا الجواب : وهو : أنا متدين/لأنني لا أستطيع أن أكون

---

(١) : وغير ذلك من الآيات كقوله تعالى : " وهَدَيْناه النَجْدَين" البلد / ١٠ ، وقوله تعالى : " إنَّا هَدَيْناه السبيلَ ، إمَّا شَاكراً وإمَّا كفوراً" الانسان / ٣ ، وقوله تعالى : " ونفسٍ وما سوَّاها فألْهَمَها فجورَها وتقواها ، قدْ أفلحَ منْ زَكَّاها ، وقد خَابَ مَنْ دَسَّاها " الشمس / ٧-١٠ ، انظر دراسات في النفس الانسانية : ٢١٥ .

(٢) : رواه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير عن الأسود بن سريع .

خلاف ذلك ،لأن التدين لازم معنوي من لوازم ذاتي (١) .

ويقول الشيخ محمد عبده عن الشعور الديني :

« هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبعث في جميع الأنفس عالمها وجاهلها . . . قديمها وحديثها ، لايمكن أن يعد ضلة عقلية أو نزعة وهمية ، وإنما هو من الالهامات التي اختص بها هذا النوع . . . ذلك إلهام يكاد يزاحم البديهة في الجلاء . . . ، شعور يهيج بالأرواح التي تحس هذا البقاء الأبدي ، وما عسى أن تكون عليه متى وصلت إليه . . . » (٢) .

---

(١) : القرآن والطبائع النفسية : ٢١ ، ٤٤ .

(٢) : رسالة التوحيد ، له : ٦٩ — ٧١ .

الفصل الثالث

" وظيفة الدين في حياة الفرد "

إن نزعة التدين أو فطرة التدين السابقة تركت آثارا واضحة جلية في حياة الانسان ، فصار متعطشا إلى الدين الصحيح الذى يروى ظمأه ، ويشفي غليله ، وبدأ يتطلع إلى السماء لترحمه بالدين القيم ، والشريعة الخالصة ، وهذا ما كان يفعله كثير من العقلاء والحكماء في العالم عامة ، وفي الجزيرة العربية خاصة ، وهم الذين سُموا بالحنفاء ، وجاء الإسلام ليلبي حاجات الفرد العقلية والنفسية والروحية والجسمية ، وحقق نتائج سامية في هذه الميادين الأربعة ، وهي :

أولا ـ الناحية العقلية :

رعى الاسلام العقل الانساني رعاية كاملة ، وبوأه المكان اللائق به ، فلم يهدره ويحط من قيمته ، ولم يسخر منه بالتأليه والتقديس ، ولم يحمله فوق طاقته ، وتظهر هذه الرعاية بما يلي :

١ ـ تنمية العقل : إن العقل يتطلع ـ بمقتضى الفطرة الانسانية ـ إلى معرفة كل ما يحيط به ، ثم يستمر بالتشوق الغريزي إلى معرفة ما وراء الغيب ، وما قبل الوجود ، وما بعد الحياة والفناء ، ويحاول التعرف على الأسباب والمسببات ، فتسعفه الحواس ببعض الأجوبة ، ويأتي الدين ليلبي هذا التطلع ، ويشبع هذه الرغبة ، ويقدم له التفسير الصحيح والجواب الواقعي لكل ذلك ، دون أن يمنعه من البحث والكشف عما يطوله من مكنونات الكون الموجود المحسوس ، وبعبارة أخرى : فإن الدين يمنح العقل المعرفة الصحيحة والأجوبة الكاملة عما وراء الغيب ، ويكشف له الطريق ويضع له المنارات ، ويأخذ بيديه ليسبر أحوال الكون التي تقع

تحت حواسه ، ويطوله البحث والتجارب .

ومن هنا تسمو القوة النظرية العقلية في الإنسان ، ويشبع الدين نهمة العقل ، فإن حرمناه من ذلك فلا تتحقق مطامحه العليا ، وفي ذات الوقت لا نستطيع أن نمنع العقل من هذا التطلع ، وإن وضعنا الحاجز أمامه فقد حجرنا على العقل ، وكبتنا مشاعره وأحاسيسه ، وعطلنا عمله ونشاطه ، وأبطلنا جانبا منه .

فالدين غذاء ضروري لتنمية العقل ، ويأتي الدين السماوي الصحيح ليرشد العقل إلى الهداية والخير في العقيدة ، ويوجهه إلى التفكير السديد في الكون ، وإلى الاعتبار بما فيه من آيات باهرة ، ويقدم له التفسير السليم عن المغيبات وما وراء الطبيعة ، فيبعده عن كل ضلال وانحراف ، ويوجهه إلى الطريق الصواب ، والآيات القرآنية التي تبين الهدف من انزال الكتب وارسال الرسل كثيرة في هذا الخصوص ، منها قوله تعالى : " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " ابراهيم/ ٢ ، ومنها قوله تعالى : " اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ، يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " البقرة / ٢٥٧ ، وقوله تعالى : " قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " المائدة / ١٥ ــ ١٦ ، وقوله تعالى : " إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " الاسراء / ٩ .

والعلم لا يبحث عن ذلك كله ، لأن أساسه التجربة ــ كما سنرى وهذه الأمور لا تخضع للتجربة ، ولذلك يأتي الدين ليسد الفراغ ،

وينمي العقل ، ويعطيه الغذاء الذى يطلبه ، بل الغذاء الضرورى الذى يحتاج إليه .

يقول الدكتور يوسف القرضاوى (١) : إن الايمان بالله ليس غريزة فطرية فحسب ، بل هو ضرورة عقلية كذلك ، وبدون هذا الايمان سيظل هذا السؤال الذى أثاره القرآن قلقا حائرا بغير جواب : «أم خُلقوا من غير شيءٍ ؟ أم هم الخَالقون ؟ أمْ خَلقُوا السمواتِ والأرضَ ؟ » الطور / ٣٥ — ٣٦ .

وليس لهذا السؤال إلاّ جواب واحد ، لا يملك الانسان — اذا ترك ونفسه — إلا أن يجيب به ، كما فعل المشركون أنفسهم ، : «ولئن سَألْتَهم : منْ خلقَ السمواتِ والأرضَ ؟ ليقولُنَّ : خَلَقَهُنَّ العزيزُ العليمُ » الزخرف / ٩ .

٢— تكريم العقل : إن التفسير الديني للانسان والكون والحياة وما وراء الحياة فيه تكريم للعقل الإنساني ، لا طلاق العنان له في العمل ، وابعاده عن السخافات والأوهام والخرافات والأساطير التي تتسرب إليه في تفسير المغيبات ، كمن يظن أن الأرض على قرن ثور ، ومن ينسب تنظيم الكون إلى الطبيعة الصماء العاجزة عن ايجاد نفسها (٢) .

ويظهر هذا التكريم للعقل الانساني في تقديس القوة الخالقة المبدعة ، وحصر العبودية والخضوع لها ، وإبعاد الناس عن عبادة الأصنام والأحجار والشجر والبقر والطواغيت

---

(١) : العبادة في الاسلام : ١٨ .

(٢) : شبهات حول الاسلام : ١٥ .

من البشر . . . (1) فالاسلام يزود العقل بالعقيدة الصحيحة ، والتصور الرشيد عن الخالق والكون والانسان والحياة ، وأن ما في الكون مسخر للانسان ومخلوق له ، فينزه العقل عن الخضوع لهذه الكائنات المخلوقه له ، والمعدة لخدمته وتسخيره .

ويظهر هذا التكريم للانسان ، لما يكسبه من العزة التي تنتج من عزته بالله والايمان به ، يقول تعالى : " ولله العزةُ ولرسولِه وللمؤمنينَ " المنافقون / ٨ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه : " اللهم إني أعوذُ من الخوفِ إلا منك ، ومن الذّل إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك " وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله المشهور : " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله " ، وقد لبس المسلمون هذه العزة ، وشعروا بآثارها ، وتفيأوا تحت ظلالها ، وانتصروا بها ، وحافظوا عليها ، ولما عرض كسرى على جيش المسلمين الطعام والمال والحماية ، وذكّر قادة المسلمين بتاريخ القبائل العربية وما كانوا عليه من الجوع والفقر والذل . . . واللجوء إلى الفرس ، قال له ربعي ابن عامر بكل عزة بالله ، وثقة بالنفس ، وكرامة واباء : جئنا لنخرج الناس عن عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن جور الحكام إلى عدل الاسلام .

٣- دعوة العقل إلى التفكير والبحث والتأمل في الكون ، وسبر قائقه ،

---

(1) : من طريف ما يروى في هذا الخصوص أن عربيا في الجزيرة العربية حمل الصنم الذي يعبده معه في السفر . واضطر أن يغيب عنه قليلا ، فلما رجع وجد الثعلب قد بال على رأس الصنم ، فتنبه عقله وصحا فكره ، وفكر في عمله وعبادته لصنم يبول عليه الحيوان ، فكفر به وتخلى عن عبادته ، وأنشد مستهزئا قائلا : أرب يبول الثعلبان برأسه فتبا لمن بالت عليه الثعالب .

وكشف أسراره ، والاستفادة من خيراته ، والتمتع بطيباته التي خلقها الله تعالى وسخرها للإنسان ، قال تعالى : " ألم تَرَ أنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لكم ما في الأرض " الحج / ٦٥ ، وقال تعالى : " ألم تَرَوْا أنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغَ عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنةً " لقمان / ٢٠ ، وقال تعالى : " وسخَّر لكم ما في السمواتِ وما في الأرضِ جميعا منه ، إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرونَ " الجاثية / ١٢ ، وقد تعددت الآيات صراحة واشارة في مخاطبة العقل والفكر للنظر والبحث في الكون ، وجعل التفكير فريضة إسلامية .

قال تعالى : " إنَّ في خلق السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفُلك التي تجْرِي في البحر بما ينْفَعُ النَّاسَ ، وما أنزلَ اللَّهُ من السماءِ من ماءٍ فأحيا به الأرضَ بعد مَوْتها وبثَّ فيها من كل دابّةٍ وتصريفِ الرياحِ والسحابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقوم يعقلون " البقرة / ١٦٤ .

وقال تعالى : " إنَّ في خلق السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألباب ، الذين يَذْكرونَ اللَّهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرونَ في خلق السموات والأرضِ ، ربَّنا ما خلقتَ هذا باطلاً ، سبحانك فقِنا عذابَ النار " آل عمران / ١٩٠ - ١٩١ .

قال تعالى : " إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون " الرعد / ٣ ، ثم قال تعالى : " إنَّ في ذلك لآياتٍ لقوم يَعْقِلون " الرعد / ٤ .

وقال تعالى : " وهو الذي يُحْيِي ويُميتُ وله اختلافُ الليلِ والنهارِ ، أفلا تَعْقلون " المؤمنون / ٨٠ .

وجعل تعالى العقل أساسا للنجاة من النار وللفوز بالجنة ، قال تعالى : " وللذينَ كفرُوا بربهم عذابُ جهنَّمَ وبئسَ المصيرُ " ... " وقالوا : لو كنَّا نسمعُ أو نعقلُ ما كنَّا في أصحابِ السعيرِ " الملك / ٦ و ٩ .

وقال تعالى : " قل انظروا ماذا في السموات والأرض" يونس/ ١٠١ .

والآيات التي تنص بوجوب النظر والتفكر ، وتدعو إلى اعمال العقل والفكر ، وتنبه ذوي الألباب كثيرة جدا ، ولذلك تختم كثير من الآيات بقوله تعالى : " إنّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب ، الزمر / ٢١ ، وقد تكررت هذه اللفظة " الألباب " ست عشرة مرة في القرآن الكريم ، وتكررت لفظة " العقل " أو مايشتق منها تسعا وأربعين مرة ، وتكررت لفظة " فكر " ومايشتق منها ثماني عشرة مرة مما يدل على احترام العقل ، وحثه على التفكير .

يقول الاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد :

" وفريضة التفكير في القرآن تشمل العقل الإنساني بكل مااحتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها ، فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان "(١) .

٤ـ الدعوة إلى العلم : ونتيجة للبحث والتفكير ووجوب النظر ينتج العلم الذي دعا إليه الاسلام بأوسع أبوابه نظريا وعمليا ، والآيات كثيرة في فضل العلم ومنزلة العلماء ، والحث على العلم والأخذ بأسبابه ووسائله ، منها : قوله تعالى : " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " فصلت / ٥٣ .

وقال تعالى مبينا مكانة العلماء وأثر العلم في الايمان : " والراسخونَ في العلم يقولونَ : آمنا به كلٌ من عند ربِّنا ، وما يَتَذَكَّرُ إلا أولُو الألبابِ " آل عمران / ٧ .

وقال تعالى : " وليعلمَ الذين أوتُوا العلمَ أنَّه الحقُ منّ ربِّك فيؤمنوا به فتُخْبِتَ له قلوبُهم ، وإنّ اللَّهَ لهادِ الذين آمنوا إلى

(١) : التفكير فريضة اسلامية ، له : ٨

صراطٍ مستقيم " الحج / ٥٤ .

وقال تعالى : " إنَّما يَخْشَى اللَّهَ من عبادِهِ : العلماءُ " فاطر / ٢٨.

وقال تعالى : " قُلْ: لا يَسْتَوِي الخبيثُ والطيبُ ولو أعجبَكَ كثـــرةُ الخبيثِ ، فاتقوا اللَّهَ يا أولي الألبـابِ لعلَّكم تُفلحون " المائـدة / ١٠٠.

وقال تعالى : " الذينَ يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحْسَـــنَه أولئك الذين هَدَاهم اللَّهُ ، وأولئك هم أولُو الألبابِ " الزمر / ١٨ .

وقال تعالى : " قل: هل يَسْتوِي الذينَ يَعْلمون والذيـــنَ لا يعلمونَ ، إنَّما يَتَذَكَّرُ أولو الألبابِ " الزمر / ٩ .

وقال تعالى : " يَرْفعِ اللَّهُ الذين آمنوا والذينَ أُوتوا العلـمَ درجاتٍ ، واللَّهُ بما تعملونَ خَبيرٌ " المجادلة / ١١ .

وفي مجال الحث على العلم والبحث والنظر في الكـــــون للوصول إلى الهداية والخير والتمتع فيما خلق الله تعالى ، قـال عز وجل : " أَوَلَمْ يَنْظُروا في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ وما خَلَقَ اللَّهُ من شيءٍ " الأعراف / ١٨٥ .

وقال تعالى : " قل: انظرُوا ماذا في السمواتِ والأرضِ وما تُغْنِي الآياتُ والنُّذُرُ عن قومٍ لا يؤمنون " يونس / ١٠١ .

وقال تعالى : " أفلمْ يَنْظروا إلى السماءِ فوقَهم كيفَ بنيناها وزيَّنّاها وما لَها من فروجٍ ، والأرضَ مَدَدْناها ، وألقينا فيها رواسيَ ، وأنبتْنا فيها من كلِّ زوجٍ بهيجٍ ، تبصرةً وذكرى لكلِّ عبدٍ مُنيبٍ " سـورة ق / ٦ — ٨ .

وقال تعالى : " أفلا ينظرونَ إلى الإبلِ كيف خُلقت ، وإلـــى السماءِ كيفَ رُفعت ، وإلى الجبالِ كيفَ نُصبت ، وإلى الأرضِ كيف سُطِحَت " الغاشية / ١٧ — ٢٠ .

وقال تعالى : "وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون" الذاريات / ٢٠ - ٢١ .

وقال تعالى : " أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز ، فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون" السجدة / ٢٧ .

وان العلم فريضة على كل مسلم ، ولا ينحصر ذلك في العلوم الشرعية ، بل يتناول جميع العلوم بمختلف أشكالها ، وكل علم فرض كفاية على المسلمين ، والتاريخ الاسلامي خير شاهد على فهم هذه الآيات وتطبيقها في حمل مشعل العلم والحضارة طوال قرون عديدة كان المسلمون فيها يتمسكون بالإسلام ، ويطبقون تعاليمه .

وقد وردت أحاديث كثيرة ومتنوعة ومتعددة في فضل العلم والعلماء ، منها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سلك طريقا يلتمس به علما سهّل الله له طريقا إلى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر (١)" .

---

(١) : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن أبي الدرداء .

وبيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العلم ومكانته وفوائده وأهميته وآثاره فقال : تعلموا العلم ، فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة قائمة تُقتص آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظُلَم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يُلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء(1).

وقال عليه الصلاة والسلام : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (2) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها (3)" .

---

(1) : رواه ابن عبد البر النمري في كتاب العلم ، عن معاذ بن جبل .

(2) : هذا جزء من حديث رواه ابن ماجه عن أنس .

(3) : رواه البخاري ومسلم ، وانظر بقية أحاديث العلم وفضله وآدابه في الترغيب : ١ / ٩٢ ومابعدها .

فالإسلام أعطى حرية التفكير ،وفتح جميع المجالات العلمية التي يستطيع العقل البشري أن يصل اليها ، ولكنه لم يترك العقل يبحث في الغيبيات وأمور الآخرة ، لأن ذلك عبث ومحال ، ولن يصل إلى نتيجة إلا بالتخيلات التي لا تنفع ولا تجدي شيئا ، بخلاف النظر في الكون ومافيه فانه يؤدي إلى فائدتين :

- الأولى : العلم والمعرفة والاستفادة الدنيوية .
- والثانية : معرفة الخالق وعظمته واقامة العقيدة والايمان على أسس راسخة ،وأدلة واقعية ،وبحث تحليلي.

....

٥- وأخيرا تظهر رعاية الاسلام للعقل البشري بأنه ربط التكليف بالأحكام الشرعية بالعقل ،وجعل البلوغ علامة وأمارة له ،وأناط المسؤولية بالعقل فقط ، فلا يسأل الصغير والمجنون والمعتوه لعدم العقل الكامل عندهم ، ولا يخاطب الإنسان إلا بعد كمال العقل ونضجه ،وعلق الأحكام بذلك ، وأراد الاسلام أن يحافظ الانسان على نعمة العقل ،فأباح له كل ماينمي العقل ويشحذه ويصقله ،وحرم عليه كل مايؤذي العقل أو ينقصه أو يؤثر عليه أو يذهبه أو يعطله عن العمل كالمسكرات ،وجعل حفظ العقل من مقاصد الشريعة الخمسة ،وبوأه مكانة الضروريات التي لا يمكن أن تسير الحياة بدونها .

ونختم هذه الفكرة بما بدأ به العقاد كتابه ، فقال : " من مزايا القرآن الكثيرة مزية واضحة يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير المسلمين لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوتا تؤيده أرقام الحساب ودلالات اللفظ اليسير ، قبل الرجوع في تأييدها إلى المناقشات والمذاهب التي قد تختلف فيها الآراء ، وتلك

المزية هي التنويه بالعقل والتعويل عليه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف" ، وبين العقاد رحمه الله موقف الأديان الكبرى من العقل ، ثم قال : " ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع اليه (١)" .

ثانيا — الناحية النفسية :

اهتم الاسلام بالنفس الانسانية ، فاتجه إليها بالرعاية والتربية والتوجيه ، وتظهر هذه الرعاية مما يلي :

١— الكمال النفسي : إن التدين عنصر ضروري لتكميل قوة الوجدان ، فتسمو العواطف النبيلة لتجد ضالتها الكاملة والسامية في الدين كليا ، إن لم تجدها في الأشياء أو في الناس ، مثل الحب والشوق والتواضع والحياء والأمل ، وهذه العواطف — إن وجدتها النفس الإنسانية جزئيا في الأشياء وعند الناس — فإنها ترى صورتها المثالية في الدين ، والآيات القرآنية كثيرة في ذلك ، وهي تمثل النفس الواقعية التي يسمو بها الايمان إلى الكمال .

منها قوله تعالى : " الذين يُنْفِقُونَ في السَّراءِ والضَّراءِ ، والكاظمينَ الغَيْظَ ، والعافينَ عن النَّاسِ ، واللَّهُ يُحِبُّ المُحْسنين » آل عمران / ١٣٤ .

ومنها قوله تعالى : " ولنبلُونَّكم بشيءٍ من الخَوْفِ والجوعِ ونقصٍ من الأموالِ والأنْفُسِ والثمراتِ ، وبشِّر الصابرينَ ، الذين إذا أصابتْهم مصيبةٌ قالُوا : إنَّا لله وانَّا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلواتٌ منّ ربِّهم ورحمةٌ ، وأولئكَ هم المهتدون" البقرة / ١٥٥ — ١٥٧ .

وفي نطاق الأسرة يبين الله تعالى حقوق الزوج وحقوق

(١) : التفكير فريضة إسلامية ، له : ٥ .

الزوجة ، ثم يدعو كلا منهما للعفو والصفح والاحسان عند الطلاق ، قال تعالى : " وإنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ وقد فَرَضْتُم لهنَّ فريضةً فنصفُ ما فرضتُمْ إلا أنْ يعفونَ أو يعفوَ الذي بيده عقدةُ النكاحِ ، وأنْ تَعْفُوا أقربُ للتقوى ، ولا تَنْسَوُا الفضلَ بينكم ، إنَّ اللّهَ بما تعملونَ بصير " البقرة / ٢٣٧ .

وفي مجال الدماء والجنايات والحروب والقتل والتمثيل بالقتلى والقصاص بالمثل بين القرآن الكريم الحكم الشرعي بالمعاقبة بالمثل ثم يدعو إلى الصبر والتريث في القتل ، ثم يسمو بالنفس لتتجمل بالصبر ، وتحتسب الأمرَ عندَ الله تعالى ، ويؤكد عليها ذلك بطلب عدم الحزن ورفعِ الضيق النفسي ، ليصل بها إلى المرتبة السامية ، وهي أعلى مرتبة في الإسلام والحياة أجمع ، وهي التقوى والاحسان قال تعالى : " وإنْ عاقبْتُمْ فعاقِبُوا بمثلِ ما عُوقبتم به ، ولئن صَبَرْتُمْ لهُوَ خيرٌ للصابرين ، واصبرْ وما صَبْرُكَ إلا باللّه ، ولا تَحْزَنْ عليهم ، ولا تكُ في ضَيْقٍ مِمّا يَمْكُرُونَ ، إنَّ اللّهَ مع الذين اتقَوْا والذين هم مُحْسِنونَ » النحل / ١٢٧ – ١٢٨ ، وقد جاءت هذه الآيات الكريمة بعد الآية المحكمة الجامعة الشاملة لأدب الإسلام وأسلوب الدعوة وطريق الرشاد : " ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والمَوْعِظَةِ الحسنةِ وجَادِلْهم بالتي هي أحْسَنُ " النحل / ١٢٥ .

ومما يكمل النفس دعوة الاسلام إلى الاخلاق الفاضلة ، والآداب الحميدة التي تطهرها من النقائص والرذائل ، وتخفف من الانفعالات السيئة والعواطف المنحرفة ، والميول الجامحة .

٢– تلبية الدوافع النفسية : فالدين يعبر عن حاجات النفس في مختلف ملكاتها ومظاهرها ، ويعود ها على مقاومة النزعات الطائشة والأهواء الفاسدة ، ويلبي الدوافع الفطرية من غير إفراط ولا تفريط .

" ومن هنا كان حرص الاسلام الشديد على تحرير البشر من شهواتهم ،لا بفرض الرهبنة عليهم ،ولا بتحريم الاستمتاع بطيبات الحياة ،وإنما بتهذيب استجابتهم إليها ، واتاحة القسط المعقول من المتاع الذى يرضي الضرورة ويطلق الطاقة الحيوية تعمل لاعلاء كلمة الله في الارض ،وكان الإسلام في ذلك يهدف إلى فائدة شخصية للفرد بتحقيق قسط من المتعة وراحة البال ، وفائدة أخرى للمجتمع كله بتوجيه طاقته إلى الخير والتقدم والارتقاء ، حسب نظريته الكبرى في التوفيق بين الفرد والمجتمع في نظام" (١).

ويكفل الدين العوامل النفسية التي تختلج في ضمير الإنسان ، فالدين يكفل قوة الإرادة ،لأن الدين يمد الإنسان بأعظم البواعث والدوافع ، ويسلحه بأنجع الوسائل لمقاومة التردد أو اليأس أو القنوط ويحدُّ من ثورة النفس في الفرح والغضب ،قال تعالى يصف المؤمنين : " ماأصابَ منْ مصيبةٍ في الأرضِ ، ولا في أنْفُسِكم إلا في كتابٍ منْ قبْلِ أنْ نبْرأها ،إنَّ ذلك على اللّهِ يسيرٌ ،لكيلا تأسَوْا على مافاتكم ، ولا تفْرَحُوا بما آتاكم ،إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ كلَّ مختالٍ فخُورٍ»الحديد /٢٢ ـ ٢٣ ، وقال تعالى : " إذْ قالَ له قومُه : لا تفرحْ إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الفَرِحين " القصص / ٧٦ ، وعندما طلب أحد الصحابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم النصح والوعظ والإرشاد بايجاز إلى أفضل السلوك والفضائل قال له : " لا تغضب " (١) ، وقال عليه الصلاة والسلام : " ليس الشديد بالصرعة ،إنما الشديد

---

(١) : شبهات حول الاسلام : ١٤٠ .

(٢) : رواه البخارى والترمذى وأحمد عن أبي هريرة ، وروى الطبراني وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تغضب ولك الجنة ، وفي رواية : لا تغضب فإن الغضب مفسدة .

الذي يملك نفسه عند الغضب[1] " ويقول الله تعالى : " قُـــلْ: ياعبادِيَ الذينَ أَسْرَفُوا على أنفُسِهِم لا تَقْنَطُوا مِنْ رحمةِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً " الزمر/ ٥٣ ، وقال تعالى : " ومَـنْ يَقْنَطْ مِنْ رحمةِ اللَّهِ إلا الضَّالُّون " الحجر / ٥٦ .

ومن هنا شرعت بعض العبادات كالصيام والحج لتقويـــة الإرادة والتعويد على الصبر وتحمل المشاق .

٣- الدين دواء لمعالجة الأمراض النفسية في الإنسان كالهم والحزن والقلق واليأس والخوف والقنوط والتردد والحيرة . . . كل ذلك عن طريق الايمان بالله تعالى ،وأنه الملجأ للإنســان في كـــل الأحوال ،والموئل للمرء في الخير والشر والسرّاء والضرّاء وكـــل تصرفات الكون ،فإن أصاب المؤمن خيرشكر ،وإن أصابه شر صبر ، وإن انتابه الخوف أمن بجانب الله ، وإن وسوس له الشـــيطان باليأس والقنوط . . . استعان بالله واستعاذ به . . . قـــال الله تعالى : " وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشيطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ باللَّهِ إنَّهُ سميعٌ عليمٌ ،إنَّ الذين اتقَوْا إذا مَسَّهم طائفٌ مِنَ الشـــيطانِ تَذَكَّرُوا فإذا همْ مُبْصِـــرُون " الأعراف / ٢٠٠ - ٢٠١ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انتابه أمر فــزع إلى الصلاة ، وجُعلت قرةُ عينه في الصلاة ،وسن لمن اعتـــراه غضب مفاجئ أن يتوضأ ليطرد وسوسة الشيطان ، ويطفئ ثـورة الغضب ،وشرع الصوم للشباب الذين تقصر أيديهم عن الزواج ... وغير ذلك من النصوص الشرعية والتربية القرآنية في هذه الأمور، وقد ظهرت الآثار الايجابية على الفرد والمجتمع ،كمايحس بهـــا المؤمن في كل لحظة في حياته ،ونكتفي بحديث واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول فيه : " عجباً لأمر المؤمن ،

(١) : رواه البخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة .

إن أمره كله له خير ،وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ،إن أصابتــه سراء شكر ، فكان خيرا له ،وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراًله" (١).

٤ـ الدين يمنح النفس الهدوء والطمأنينة والاستقرار وقــوة الإرادة ، لأن المتدين يعتقد أن كل أمر من عند الله ، كما جاء فــي الحديث السابق ،فإن أصابه ضراء لم يخرج عن المألوف من الدين ورضي بذلك بعكس الغافلين أو الملحدين أو الحيارى الذين أصابهم الخواء الروحــي فيصابون بالاضطراب ،وينتابهم القلق والضجــر في مواجهة العقبات والأحداث ،وقد يفقدون وعيهم ،أويضيعون عقلهم أو يلجؤون إلى المخدرات أو الى الانتحار عند الصدمــة الأولى في الحياة ،لفقدان الايمان ،أما المؤمن فإنه يجابه كــل ذلك بصــدر رحب ،ويعتقد أن الله هو المتصرف بشؤون الكون ، وما شاء الله كان ،وأن الخيرة فيما اختاره الله تعالى ،وعســى أن يكره شيئا ، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (٢) .

قال تعالى مصورا حال المؤمن وحال الكافــر : " فمنْ يرِدِ اللَّهُ أنْ يَهديه يشــرحْ صَدْرَه للإسلامِ ، ومنْ يُردْ أنْ يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدْرَه ضَيِّقاً حَرَجاً كأنَّما يَصَّعَّدُ في السماءِ ،كــذلك يَجعلُ اللّــهُ الرِجْسَ على الذين لا يؤْمِنُونَ " الأنعام /١٢٥.

ويصف القرآن الكريم اضطراب وحيرة الملحــد ، فيقول اللــه تعالى : «أفرأيتَ من اتخذَ إلهَهُ هَواه ،وأضلَّه اللَّهُ على عِلْــمٍ ،

---

(١) : رواه مسلم وأحمد عن صهيب .

(٢) : انظر : الدين ،دراز : ٩٨ ،الإسلام وحاجة الانسانية اليه : ٢٤٥ ، الأصول العامــة لوحدة الدين الحق : ٢٢٣ ، الدين والحضارة الإنسانيــة : ٨٠ ، المجتمع الاسلامــي في ظل الإسلام ،المرحوم محمد أبو زهرة : ٢٥ .

وخَتَم على سمعِه وقلبِه ، وجَعَلَ على بصرِه غِشاوةً ، فمن يَهديه من بعد اللّـهِ؟ الجاثية / ٢٣ ، وقال تعالى : " كالذي استهوته الشياطينُ في الأرضِ حيرانَ» الانعام/ ٧١ .

ويصف القرآن الكريم حال المنافقين وقلقهم ، فيقول تعالـى : "إنَّ المنافقينَ يُخادِعُونَ اللّهَ ، وهو خادِعُهم ، وإذا قاموا إلى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى ، يُراؤونَ النَّاسَ ، ولا يَذْكُرونَ اللّهَ إلا قليلاً ، مُذَبْذَبين بين ذلك لا إلى هؤلاءِ ، ولا إلى هؤلاءِ ، ومن يُضْلِلِ اللّهُ فلن تجدَ له سبيلاً " النساء/ ١٤٢-١٤٣ ، ويقول تعالى : " ومنَ الناسِ منْ يعبدُ اللّهَ على حَرْفٍ ، فإن أصابه خيرٌ اطمأن به ، وإنْ أصابتْه فتنةٌ انقلبَ على وجهِه ، خَسِرَ الدُّنيا والآخرةَ ، ذلك هو الخسرانُ المبينُ " الحج / ١١ .

بينما يصفُ القرآنُ الكريم المؤمنين فيقول تعالى : " الذين آمنُـوا ، وتطمئنُ قلوبُهم بذكرِ اللّهِ ، ألا بذكرِ اللّهِ تطمئنُ القلوبُ " الرعـد / ٢٨ ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجعلت قرة عيني في الصلاة" (١) .

ويرشد الرسول الكريم الى صفات المؤمن ، ويعلمها ابن عبـاس رضي الله عنه في وصية جامعة فيقول له : " ياغلام ، احفظ الله يحفظـك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشـيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف " ، وفي رواية أخرى : " احفظ الله تجده أمامك ، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشـدة ، واعلم أن ماأخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا " (٢) .

---

(١) : هذا جزء من حديث رواه أحمد والنسائي والحاكم وابن سعد والبيهقي عن أنس .

(٢) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم وأحمد .

ان هذا الاطمئنان النفسي هو الذى نلمسه في ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند ما ألقي في النار ،ونلمسه في ثبات موسى عليه الصلاة والسلام عند ما تجمهر عليه السحرة ، ونلمسه في اطمئنان رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء هجرته الى المدينة عند ما طلبه الكفار ووضعوا المكافآت لقتله ، ولحق به سراقة ،ورسول الله لا يلتفت ولا يخاف ولا يضطرب ، يسير نحو هدفه واثق الخطا ،قرير العين ، ثابت الجنان ، كما يتجلى ذلك الايمان في هدوء نفسه وهو في الغار ،وقد وطئت أقدام الكفر والشرك باب الغار ، فيقول لأبي بكر : " ماظنك باثنين الله ثالثهما ؟" ،وهذا الاطمئنان النفسي بالايمان هو الذى وجده الصحابة والمؤمنون ، ويجده كل مسلم ، عند نزول المصائب به ، فيتقبلها بهدوء وراحة .

<u>ثالثا : الناحية الروحية :</u>

وتظهر رعاية الاسلام للإنسان في الناحية الروحية بمايلي :

١- الدين غذاء روحي للإنسان : فقد رأينا أن الانسان جسم وروح ، والجسم يتغذى بالطعام والشراب ، بينما تتغذى الروح بالايمان والعقيدة والاستئناس بالخالق المدبر ،الحي القيوم ،الرحمن الرحيم ،الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، وتلجأ الروح إلى الذات الالهية لتنعم بالخير والأمن والطمأنينة ،وتناجيها في دفع الأذى والضرر ، ولهذا فرض الإسلام العبادات والشعائر الدينية والأذكار اليومية لتهذيب الروح ،ودعم الصلة بالله تعالى ،وربط القلب به مباشرة ،وغير ذلك من أهداف العبادات المتمثلة في قوله تعالى : " إنَّما المؤمنونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قلوبُهم ، وإذا تُليت عليهم آياتُه زادتْهم إيمانا ،وعلى ربِّهم يتوكلون ،الذين يُقيمونَ الصلاةَ ومما رزقناهُم يُنْفقون . أولئكَ هم المؤمنونَ حقاً لهم دَرَجاتٌ عندَ ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ " الأنفال /٢-٤ .

يقول الاستاذ محمد قطب : " وطريقة الإسلام في تربية الروح هي أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله في كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور" (١) .

وهذه المعاني السامية التي ترتكز على الايمان بالله والعبادة له ، وتحرم الخضوع لغير الله هي التي نص عليها القرآن الكريم عند ما دعا أهل الكتاب إلى التسليم والالتزام بها ، فقال تعالى : (قُلْ: يا أهلَ الكتابِ تَعَالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ألاّ نعبدَ الاّ اللهَ ، ولا نشركَ به شيئا ، ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً منْ دُون اللّهِ " آل عمران / ٦٤ ، وهذا الغذاء الروحي هو الذى يحفظ النفس والروح في الطريق السوي ، وهو الذي يوثق الصلة مع الله بالحب والإخلاص ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار (٢) .

٢- الدين قوة دافعة للتقدم : لأن هذا الغذاء الروحي يحرر الانسان من قيود الذل والخوف والجبن والتردد ويرتفع بالنفس إلى معارج الكمال والعزة والكرامة ، ويخلق فيه المعاني الروحية والنفسية التي تتحدى العجز وتأنف الدونَ من الحياة ، وتأبى الخضوع لغير الله تعالى ، وتبغي الكمال في كل شيء ، التزاما بما تمليه عليها العقيدة والايمان بالقضاء والقدر ، وابتغاء لمرضاة الله تعالى في تنفيذ أوامره وأحكامه ، وطمعا بما عنده يوم القيامة ،

---

(١) : منهج التربية الاسلامية : ٤٨ .

(٢) : رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد عن أنس .

وأن الدين يمد الفرد بطاقات روحية هائلة وعظيمة كالشجاعة والتضحية والكرم ، ويتفق العلماء قديما وحديثا على أن الروح المعنوية للانسان هي المحرك الأساسي والعامل الحاسم في قضايا السلم والبناء والتعمير والنجاح ، كما أنها السلاح الحيوي الفعال في الحرب والقتال والنصر على الأعداء ، وهذا شيء ملموس ، ويسلم به المؤمن والكافر ، ولا ينكره إلا أحمق أو مجنون .

يقول الاستاذ العقاد : وقلّ أن ترى انسانا معطل الضمير على شيء من القوة والعظمة إلا أمكنك أن تتخيله أقوى من ذلك وأعظم إذا حلت العقيدة في وجدانه محل التعطل والحيرة .

٣- الدين سلاح في الحياة : ومن هذا الغذاء الروحي في التدين يواجه الانسان مصاعب الحياة ، ويجابه قوى الشر والبغي ، ويحدد موقفه من مظاهر الطبيعة ، ويقيم الصلة الوثيقة مع الله تعالى مباشرة من غير وساطة ولا كهنوت ، فيقف المسلم بين يدى ربه يخاطبه مباشرة ، ويستنجد به ، ويستعين به ، ويستهديه ، فيقول له : " إيَّاكَ نَعْبُدُ ، وإيَّاكَ نَسْتَعينُ إهدنا الصراطَ المستقيمَ "، تحقيقا لقوله تعالى : " وإذا سألكَ عبادِي عني فإنِّي قَريبٌ أجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دَعانِ ، فليستجيبُوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يَرْشدون " البقرة/ ١٨٦ ، وقوله تعالى : " ونحنُ أقربُ إليه منكم ، ولكنْ لا تُبْصِرُونَ " الواقعة/ ٨٥ ، وقوله تعالى : " ونحنُ أقربُ إليه من حبلِ الوَريدِ " سورة ق / ١٦ .

٤- الدين تهذيب للروح ، لأن هذا الغذاء الروحي في التدين يوجه النفس إلى ربها فتخشع لجلاله ، وترغب في ثوابه ، وترهب من عقابه ، وتخاف من بطشه ، وتبتعد بالتالي عن سبل الشر والفساد .

وهذه الوظيفة الروحية للدين هي التي تقرع آذان المذنبين المقصرين والمفرطين في جنب الله تعالى ليعودوا إلى رشدهم ، ويتوبوا إلى ربهم ، ويقلعوا عن ظلمهم وذنوبهم ، ويؤنبوا ضميرهم ، فإذا صحا قلبهم رأيتهم مقبلين على الطاعة والعبادة ، أو مسرعين إلى الانفاق والصدقات والتبرعات بأيد سخية ، ونفوس رضية ، أو يسعون لتطهير حياتهم بالذهاب إلى الحج وزيارة بيت الله الحرام ، ليقطعوا حبال الجاهلية التي كانوا بها ، ويوصلوا حبال الدين والإسلام والايمان ، وقد يؤدي ذلك بهم أحيانا إلى التفريط بالإنفاق والعبادات ، طمعا بالمغفرة ، وكفارة لما اقترفوه في سابق عهدهم ، وتجديدا للعهد مع ربهم ، والالتزام بحدوده، والاستئناس بجواره وشرعه .

وفي مقابل ذلك فاننا نرى أن باب التوبة مفتوح على مصراعيه ، ليدخل منه التائبون ، ويُستقبلون بأوسع منافذه ، ويفرح الله تعالى بتوبتهم ، ويجدونه تواباً غفوراً رحيما ، قال تعالى : " فمنْ تابَ من بعدِ ظُلمه وأصلحَ فإنَّ اللّهَ يتوبُ عليه " المائدة / ٣٩ .

وقال تعالى : " وإني لغفارٌ لمنْ تابَ وآمنَ وعملَ صالحاً ثمّ اهتدى " طه / ٨٢ ، وقال تعالى : " إلا منْ تابَ وآمنَ وعَمِلَ عَمَلا صالحاً فأولئكَ يُبدِّلُ اللّهُ سيئاتِهم حسناتٍ ، وكانَ اللّهُ غفوراً رحيمًا ، ومَن تابَ وعملَ صالحاً فإنَّه يتوبُ إلى اللّه متاباً " الفرقان / ٧٠ ـ ٧١ ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنَّ الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " (١) ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء

---

(١) : رواه مسلم والنسائي .

ثم تبتم لتاب الله عليكم" (١) ، ويقول عليه الصلاة والسلام : " كل ابن آدم خطّاء ، وخير الخطائين التوابون" (٢) ، ويقول أيضاً : " التائب من الذنب كمن لا ذنب له " (٣) .

٥- الدين يقيم التوازن بين الجسم والروح والعقل التي يتكون منها الإنسان ، فإذا قويت عند الإنسان غرائزه وشهواته أصبح بالحيوان أشبه ، وإذا برز فيه التفكير والعقلانية وصل إلى الفلسفة والسفسطة والخيال ، وإذا انجرف وراء الروح وأهمل الجسم والمادة والحياة وصل الى العزلة والرهبنة وكبت الغرائز وتجميد العقل ، فلابد من الدين الذي ينظم حالات الإنسان ، ويقيم التوازن في جميع نواحيه (٤) .

ولقد كان موقف الإسلام وسطا في إقامة التوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، ويصور هذا التوازن قوله تعالى : " وابتغ فيما آتاكَ اللَّهُ الدارَ الآخرةَ ، ولا تَنْسَ نصيبكَ مِنَ الدُّنيا ، وأَحْسِنْ كما أحسنَ اللَّهُ إليكَ ، ولا تبغِ الفسادَ في الأرضِ ، إِنَّ اللَّهَ لا يحبُّ المفسدين" القصص / ٧٧ ، وقوله تعالى : " وكلُوا واشربُوا ولا تسرفُوا إنَّه لا يحبُّ المسرفين " الأعراف / ٣١ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " أما إني أصوم وأفطر ، وأقوم وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (٥) ، وأثر علي رضي الله عنه : اعمل لدنياك

---

(١) : رواه ابن ماجه بإسناد جيد .
(٢) : رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم .
(٣) : رواه ابن ماجه والطبراني وابن أبي الدنيا والبيهقي ، انظر الترغيب والترهيب : ٤ / ٨٨ — ٩٠ — ٩٧ .
(٤) : انظر منهج التربية الاسلامية : ٣١ — ٤٣ ، دراسات في النفس الانسانية : ٢٣٦ .
(٥) : هذا جزء من حديث طويل رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد عن أنس .

كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا " ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه ، حتي يصيب منهما جميعا ، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس " (١) .

رابعا : <u>الناحية الجسدية</u> :

إن الإسلام اهتم برعاية الجسم رعاية كاملة ، فدعا إلى النظافة والطهارة ، وندب إلى الرياضة والمبارزة ، واعتبر القوة الجسدية ميزة في الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " (٢) .

ونلاحظ أن الحديث جمع بين القوة الجسدية وبين القوة النفسية والمعنوية ، ثم ربط الأمرين بالايمان بالله وبالقضاء والقدر .

وطلب الإسلام البعد عن كل ما فيه هلاك محقق للجسم ، أو خطر منتظر ، وحرم كل ما يضر الجسم ، أو يوهنه أو يضعفه ، واتخذ جميع الوسائل لحفظ الحياة ، وبذل الطاقة في صيانتها وسلامتها ، وحذر من الأمراض ، وشرع التداوي ، وأباح الزينة والاعتدال في الطعام والشراب والإنفاق وغيرها من الطيبات ، وأنكر الامتناع عن الطعام زهدا وتقشفا ، ونهى عن التبتل في العبادة ، وحرم صوم الوصال ، ومنع صوم الدهر ، وحرم القتل ،

---

(١) : رواه الديلمي وابن عساكر عن أنس .

(٢) : رواه مسلم وابن ماجه وأحمد عن أبي هريرة .

واستنكر الانتحار، ورهّب من فعله وتوعّد فاعله ، وجعل التكليف بقدر الاستطاعة ، وفتح أبواب الرخص في العبادات والأحكام خشية العنت ، وصرح الفقهاء بقاعدة : " صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان "، وأقام الاسلام منهجا سديدا لتنظيم الغرائز المختلفة والميول المتباينه والعواطف المتعدده ، وحرص على التوازن بينها ، دون أن تطغى غريزة على أخرى ، فيقع الانسان في المهالك ، وينتابه الشذوذ ، أو تتحكم فيه الغرائز والشهوات وتصرفه عن الجوانب العقلية والنفسية والروحية ، ومن هنا قدس الإسلام العمل وكرم العاملين ، وجعل أطيب الطعام ما يأكله المرء من عمل يده ، دون أن يكون عالة على غيره، كما اعتبر الكسب في سبيل العيال وعفة النفس عبادة ، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة ، ولكن يكفرها الهمّ في طلب المعيشة (١)" .

---

(١) : رواه ابن عساكر وأبو نعيم في الحلية .

الفصل الرابع

وظيفة الدين في حياة المجتمع

يتكون المجتمع من الأفراد ، ومتى تربى الفرد ، وكمل عقله ، وصفت نفسه ، وتهذبت روحه ، وتقوّى جسده ، كان المجتمع صالحا وقويا ومهذبا ، ومع ذلك فقد رعى الإسلام المجتمع ، وخصه بالتوجيه والتربية والتشريع ليكون مجتمعا فاضلا ، لأن الاسلام — وهو الدين الخالد — جاء لبناء الفرد ولبناء المجتمع معاً ، ولتربية الفرد وإقامة الدولة ، ولرعاية الإنسان وقيادة المجتمع والانسانية .

وتظهر آثار الدين في المجتمع بمايلي :

١— إقامة الروابط الاجتماعية الحية كلها عن طريق الدين ، سواء أكانت على نطاق الأسرة أم على مستوى الوطن ، أم على المستوى الأمم والدول والشعوب ، وخاصة الروابط المعنوية والأخلاقية ، كالتراحم والتعاطف والتكافل والمحبة والأخوة والتعاون والمساواة . . . وغير ذلك من المبادئ الأخلاقية ، والتشريعات الاجتماعية والأنظمة والأحكام والقوانين العادلة .

ويهدف الإسلام من ذلك أن يربط الفرد بالمجتمع ، وأن يغرس فيه الشعور بالولاء والانتماء إليه ، وأن يكون الفرد مشاركا في شؤون المجتمع ، ومسؤولا فيه في ذات الوقت ، وخشية أن يكون تأثير المجتمع سلبيا أو منحرفا ، وبالتالي يفرض هذا الانحراف على الأفراد الذين يستظلون به فقد أقامت الشريعة الغراء مؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى الفردي والجماعي ، وعلى الصعيد الخاص والعام ، لضمان التوجيه السديد ، وايجاد المناخ الصالح ، وتهيئة البيئة الخصبة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ،

وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه ، وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " (١) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان " (٢) .

كما تتجلى مسؤولية المجتمع عن الفرد في مبدأ التكافل الاجتماعي والجهاد وحفظ الحقوق والأموال والأنفس بالعدل ، واقامة الجانب الثاني من مؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواقع على عاتق الدولة والأمة ، لقوله تعالى : " ولتكنْ منكم أمةٌ يَدْعُونَ إلى الخيرِ ، ويأمرونَ بالمعروفِ ، ويَنْهونَ عن المُنْكَرِ " آل عمران / ١٠٤ ، ووصف القرآن الكريم المجتمع الفاضل بذلك في قوله تعالى : " كُنْتُمْ خيرَ أمةٍ أُخرِجَت للنَّاسِ ، تأمرونَ بالمعروفِ ، وتنهونَ عن المُنْكَرِ ، وتُؤْمِنُونَ باللَّهِ " آل عمران / ١١٠ ، وهدد القرآن الكريم الأمة التي ترضى بالمنكرات والظلم والطغيان الذي يصدر عن الأفراد وبيّن لهم أن الاثم يعم الجميع ، وأن البلاء ينذر المجتمع ، فقال تعالى : " واتقُوا فتنةً لا تصيبنَّ الذينَ ظَلَمُوا منكم خاصَّةً ، واعلمُوا أنَّ اللَّهَ شديدُ العقابِ " الانفال / ٢٥ ، وقال تعالى : " ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فتمسَّكم النَّارُ ، ومالكم منْ دُونِ اللَّهِ من أولياءَ ، ثمَّ لا تُنْصَرُون " هود / ١١٣ .

---

(١) : رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد عن ابن عمر .

(٢) : رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة وأحمد ، عن أبي سعيد الخدري .

وصوررسول الله صلى الله عليه وسلم هذه العلاقة الوطيدة بين الفرد والمجتمع بقوله عليه الصلاة والسلام : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "(١) ، ويؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الترابط بين أفراد المجتمع ، والتأثير المتبادل بينهم ، ووجوب الأخذ على يد الظالم والمنحرف لإنقاذ الجميع بقوله عليه الصلاة والسلام : " مثل القائم في حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجُوا ونجَوْا جميعا (٢) " .

وأهم الروابط الاجتماعية على الاطلاق رابطة الدم في الأسرة التي تتكون من مجموعة من الأفراد ، ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع فكانت عناية الإسلام بالأسرة جلية وصريحة منذ أول تكوينها باختيار الزوجين ، ثم في تربية الأولاد بدءً من الحمل وانتهاء الى تحقيق العدل والتوازن والحكمة والتكافل والمساواة في تنفيذ الوصية والميراث بعد الموت ، وتقرير مبدأ النفقة بين الأقارب .

وقد حرص الاسلام على وضع التشريع والنظام الاجتماعي على مختلف المستويات ، وهي :

١ـ الأسرة .

---

(١) : رواه مسلم وأحمد عن النعمان بن بشير .

(٢) : رواه البخاري والترمذي وأحمد عن النعمان بن بشير .

٢- علاقة المسلمين فيما بينهم .

٣- علاقة المسلمين بغير المسلمين في ظل الدولة الاسلامية .

٤- علاقة الدولة الاسلامية بالدول الأخرى .

٥- علاقة الدولة الاسلامية بالمسلمين القاطنين خارج الدولة الاسلامية .

وهذه الروابط الأسرية والتشريعات الاجتماعية والأخلاق الفاضلة تدعو إليها النظم الأخرى، ولكن يبقى الفارق واضحا، ويبقى أثر الدين متميزا، لأن هذه الروابط والأنظمة تعتمد في ظل الدين على العقيدة، وترتكز على الايمان، وهذه العقيدة تكون رقيبا داخليا ومحاسبا ذاتيا على الالتزام بالأخلاق، ومحاسبة النفس، واحياء الضمير، في مراقبة الله تعالى في السر والعلن .

يقول الاستاذ أحمد الشرباصي عن الأخلاق والوازع الديني :

" إنما يفعل الانسان الخير، ويتمسك بخصال البر، ويتصرف التصرف النبيل، ويتحلى بالخلق الجميل، لفائدة عاجلة يرجوها، أو لثواب آجل ينتظره، أو لضرر يريد دفعه، أو لاعجاب بالخلق الجميل في حد ذاته، دون نظر إلى ثواب أو إلى عقاب " .

" والوازع الديني الصادق يحقق لصاحبه كل هذه المعاني، فهو الذى يحدث صاحبه دائما بأن الدين خلق ومعاملة، وأن هذا الخلق المستقيم يجلب لصاحبه السعادة في الدنيا والنعيم في الآخرة، ويصد عنه غضب الله وغضب الناس، ويحقق في نفسه الاحساس بالنبل والشعور بالجمال، والدخول في عباد الله الجميل الذى يحب الجمال، وينيله رضى الله عنه، كما يرضيه عن الله عز وجل : " إِنَّ الذينَ قالُوا: ربُّنا اللَّهُ ثمَّ استقامُوا، تتنزَّلُ عليهم الملائكةُ ألا تخافُوا ولا تَحْزَنُوا، وأبشِرُوا بالجنَّةِ التي كُنْتُمْ

توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ماتدعون ، نزلاً من غفور رحيم ، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين !! (١) " .

أما الأنظمة الوضعية فقد تدعو إلى الأخلاق ، ولكن لا تؤمن الوسائل الكفيلة للتطبيق والتهذيب ، لأنها عاجزة عنها ، ولا تملك الأساليب التي تحيي الضمير الذي يحاسب النفس والذات ، وقد تدعو للأخلاق ولا تؤمن بها أو لا تلتزم بها ، ويضاف إلى ذلك أن بعض الأنظمة الوضعية تتعارض في حقيقتها وفلسفتها /ووجودها مع القيم المعنوية ، وتتنكر للأخلاق والقيم الثابتة ، وتفترض التطور في الأخلاق بما يناسب المبادئ /المادية التي تضعها ، فتجعل المادة أساس الحياة ، وتخلق الطبقات في المجتمع ، وتقيم أو تفرض الصراع الطبقي بينهم لزرع الحقد والضغائن والكراهية في النفوس لتكون النتيجة الضرورية لذلك أن يعتقد كل شخص أنه عدو للآخر من جهة ، وأن كل وسيلة تزيد في دخله الشخصي ، وترفع من مستواه المادي ، وتضيف شيئاً إلى ثروته ، وتحقق له منفعة خاصة فهي وسيلة سامية تتفق مع مبادئه مهما كانت النتائج ، ولو أدت إلى ايذاء الآخرين ، أو اضرار الغير ، أو حرمانه من لقمة العيش وإن كانت الوسيلة غصبا ونهبا ورشوة وسرقة كما نرى في حياتنا الحاضرة .

---

(١) : بين الدين والدنيا ، للدكتور أحمد الشرباصي : ١٠٩ — ١١٠ ، وانظر نظام الحياة في الاسلام ، للمفكر الإسلامي أبو الاعلى المودودي : ١٦ .

فالدين يهدف إلى إقامة المجتمع الفاضل الذى يقوم على الاخلاق والفضيلة والتكافل والتعاون والتراحم والمساواة ، والذي ينفي من صفوفه الفحشاء والفقر والتفرقة والتخاذل والضعف .

فالدين إذن يهذب الأخلاق ، ويمنع الفساد الاجتماعي الذى يؤديه إلى انهيار الحضارات .

٢- يعتبر الدين من أقوى الروابط التي توحد المجتمع، وتدعم كيانه وتقوى روابطه وتماسكه ، وتجعل منه كتلة متراصة ، تتعاون على الخير والبر والتقوى والعمل الصالح ، وتحافظ على مقوماته ، وتدفع عنه غائلة الأعداء ، ولذا يصون الدين المجتمع من الغزو الاستعماري ، سياسيا وعسكريا وفكريا واقتصاديا ، لأن الدين وسيلة إلى تحقيق الانسجام بين الجماعات ، وذلك بإقامة الروابط والوشائج بين أصحاب الدين الواحد ، وإن تناءت بهم الديار والبلدان والأوطان (١) فالمسلم يعطف على أخيه المسلم في جميع أنحاء العالم كلما حزبه أمر ، أو وقع في محنة ، أو ألمت به مصيبة ، وقد ظهرت هذه العواطف والمشاعر في العالم الاسلامي الحاضر في حالات كثيرة ، وبسبب أحداث متعددة ، منها : حادث احراق المسجد الأقصى ، والحرب الغادرة على باكستان ، والمباراة على بطولة العالم بين محمد علي كلاي وجورج فورمان ، وفي حرب رمضان وقضية فلسطين والمسجد الاقصى وبقية المقدسات الإسلامية في القدس الشريف .

وبالمقابل كان التعصب الديني هو المحرك للحروب الصليبية في التاريخ القديم ، كما نلمس اليوم تعاطفا وتعاونا بين اليهود في جميع أنحاء العالم ، ونرى الارتباط بين الشيوعيين في مختلف الأقاليم والقارات .

وكان الدين هو محرك الثورات ضد المستعمرين في البلاد

(١) : الدين والحضارة الانسانية : ٢٢ ، الموجه الفني : ٣٣٣ .

العربية وآسيا وافريقيا لأن الدين يوحد الأمة ، ويصونهــا من الاضمحلال والذوبان والزوال مع غيرها ،وثورة الجزائر أكبر مثــل على ذلك ، وكذا الثورات في الهند والفلبين والملايو .

٣ ـ الدين سلطان يكفل مهابة النظام الاجتماعي في النفوس، ويمنــع انتهاك حرماته ،وذلك أن كل نظام لا بدله من رادع وســلطـة تضمن تنفيذه ،وتلاحق من يخرج عليه ،وتعاقب المخالف، مثل : قانون العقوبات ،وجهاز الشرطة والأمن . . . ولكن تبقى جميع القوانين والمؤسسات والأجهزة عاجزة عن ملاحقة كل فرد بعينه ، فالقانون أو الشرطي لا يطول كل إنسان ، ولذلك يظهر عامــل الدين كرقيب ذاتي داخلي ،ويبقى المتدين يشعر بمراقبة اللــه تعالى الذى يعلم السر وماتخفي الصدور، فيكون هذا العامــل أعظم سلطان يكفل حفظ النظام والأحكام والحقوق [1] .

يقول المرحوم الدكتور عبد الله دراز : " فالذى نريـــد أن نثبته في هذه الحلقة أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قـــوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام القانون ، وضمان تماســـك المجتمع ،واستقرار نظامه ، والتئام أسباب الراحــة والطمأنينة فيــه [2] " .

ويقول الاستاذ أبو الأعلى المودودي : " والشــخص الذى وقر في سويداء قلبه وأعماق ضميره الايمان القوى الصحيح بالآخرة يكون حاله كرجــل يصحبه في كل حال من الأحوال رقيب يمنعه من كل إرادة تجره إلى السوء ،يردعه عن اتخاذ كل خطـــوة

---

(١) : الأصول العامة لوحدة الدين الحق : ٢٤ ،الإسلام وحاجـــة الإنسانية إليه : ٢٦٧ ، الدين والحضارة الإنسانية : ٨٩ .

(٢) : الدين ،له : ١٠١ .

تخطو نحو الإثم ، يؤنبه على كل عمل ينكره الإسلام سواء أكان في الظاهر بوليس يقبض عليه أم بينة تُدينه ،أو محكمة تعاقبه أو رأي عام يلومه على مايفعله أم لا يكون ، إذ يستقر في نفس الإنسان حسيب صعب المراس لا يجرؤ الإنسان - خشية منه - أن يتهرب من فرائض الله تعالى في الخلوة أو في الغابة أو في الظلام أو في البادية ،ولا يقدر على اقتراف ماحرمه الله ، وإذا اقترف - على سبيل الافتراض - يندم على ذلك ويتوب إلى الله".

" ولا نجد سلاحا أقوى من ذلك للاصلاح الخلقي وتنشئة الإنسان على السلوك المستقيم ، فالقيم الثابتة التي يعطيها قانون الله الذي هو أسمى من كل شيء لا يستطيع الإنسان أن يعض عليها بالنواجذ ، ولا أن ينصرف عنها بحال من الأحوال إلا بفضل هذه العقيدة ،أي : الايمان بالآخرة (١)" .

والسبب أن تصرفات الانسان وحركاته تنبع من فكره وقلبه وعقله وتتوجه حسب ماتمليه عليه عقيدته وقيمه ، وليس العكس كما يدعي ماركس .

يقول الاستاذ العقاد : " والغالب على الأوامر القانونية أنها إرادية تكتفي بتحقيق السلامة ،ولا تذهب وراء الأسلم الألزم إلى شوط بعيد" .

" والغالب على الأوامر الأخلاقية أنها لدنّية تعمل فيها الإرادة شيئا ، ولكنها لا تعمل كل شيء ،بل يتولى الشعور أهم البواعث في أعمال الاخلاق ، ويشاهد فيها كثيرا نزوع إلى ماوراء السلامة واللزوم ، وتفضيل للأجمل الأمثل من الأمر ، فصاحب الوازع الأخلاقي لا يقنع بفروض القانون ، ولا يزال متطلعا إلى

(١) : انظر مجلة حضارة الاسلام : عدد ٥-٦ لعام ١٣٩٦-١٩٧٦ صفحة : ٢١ .

درجة أعلى من درجات القانعين باجتناب العقاب والتزام أدنى الحدود" .

"أما الغالب على الأوامر الدينية أو آداب العقيدة فهو الشمول الذي يحيط بالإرادة والشعور والظاهر والباطن ، ولا يسمح لجانب من النفس أن يخلو منه ، ولا يقنع بالسلامة أو بالجمال إلا أن تكون معهما الثقة التي لا تتزعزع في صميم الحياة ، بل في صميم الوجود" (١) .

٤ - الدين يحقق التوازن بين الفرد والمجتمع ، فلا يطغى الفرد ويستأثر بالحقوق ، ولو أدى الأمر إلى شقاء المجتمع ، كما هو الحال في النظام الرأسمالي ، ولا يستبد المجتمع بالفرد ويتحكم فيه ويسلخ منه قيمته وخصائصه وفطرته ووظيفته في الكون ، وهو ما تحاوله الشيوعية لتجعل من الفرد آلة للانتاج وعبداً للدولة أو للحاكمين فيها .

وإن الدين الذى يحقق للفرد تنمية العقل وكمال النفس وتهذيب الروح وتقوية الجسد يؤدى إلى إصلاحه ، ويكون صلاحه وإصلاحه وقوة للمجتمع ، لأن المجتمع مجموعة أفراد ، وإن الأمة تتكون من مجموع أفرادها ، وإن بناء الأمة يقوم على أكتاف أبنائها ، وإن قوة الأمة من قوة العناصر فيها ، وإن صلاح المجتمع يتحقق عند صلاح الافراد .

ومن جهة أخرى ، فإن المجتمع يتكون من مؤسسات وهيئات وجهات متعددة ، فإن تقدمت جهة على أخرى وقع الاختلال في المجتمع ، والفساد في الأفراد ، فمثلا فإن التقدم في العلوم اليوم ، والترقي في المدنية والحضارة ، مع التخلف في الطاقات الروحية والأخلاقية ، أو الضمور والانكماش في المبادئ السامية

---

(١) : الإسلام في القرن العشرين : ٢٦ .

والقيم الانسانية ، أدى إلى شقاء المجتمع ، وسيطرة المادة عليه .
وأصبح الفرد عبدا للآلة والتقنية ، وضعف الوازع الديني ، وفقدت
الثقة بالدين نفسه ، ثم زاد الانحراف ، وتصدع البناء الاجتماعي ،
وحينئذ تأتي وظيفة الدين الإنسانية بإقامة التوازن بين جميع
النواحي الاجتماعية ، دون أن يسيطر جانب على جانب ، أو يهتم
بناحية ويعرض عن أخرى ، أو يستأثر بميزات وخصائص ، ويحرم
منها غيره .

فلابد في التنظيم الاجتماعي — على نطاق الآداب والأخلاق
أو على مستوى التعامل اليومي ، أو على صعيد التشريع والنظام —
لا بد أن يقوم هذا التوازن بين الروح والجسد ، وبين الحياة
المادية والحياة الروحية ، وبين القيم والمبادئ النظرية مع المصالح
والمنافع العملية ، وإلا تسرب الانهيار إلى المجتمع ، وبرز التفكك
في بنيانه ، وإن حاول المشرع الوضعي أن يصلح في ناحية دون
أخرى فلا يجدي الإصلاح لوجود هذا الشرخ والتناقض في التوجيه ،
وإن سعى المشرع الوضعي إلى اصلاح المعاملات والتشريع
بالقوانين مثلا مع فساد الأخلاق ، ونسيان القيم والمبادئ ، فسعيه
كمن يضع رأسه في التراب ويعتقد أن الناس لا تراه ، أو كمن يزرع
في الرمال ، أو كمن يضع النقود في كيس مثقوب ، أو في جيب
مفتوح الأسفل ، لا يمسك على شيء ، ولا يحافظ عليه ، فمثلا : قانون
السير مع فساد الأخلاق وقلة التربية وفقدان الوازع الديني أدى
إلى رفع تسعيرة الرشوة ، وكذا سن التدابير والإجراءات الإدارية وحصر
المواد الاستهلاكية أدى إلى وجود السوق السوداء في كل طرف
وجانب ، ومثل وجود اليمين في القضاء ، وقبول الشهادة في
الدعوى مع فقدان العقيدة والتربية والضمير والوازع الديني ،

ومع نمو النزعة المادية والجشع المادي أدى إلى الاسراع في اليمين الكاذبة ، أو التبرع بشهادة الزور مقابل ليرة سورية واحدة .

والمجتمع كالفرد لا يصلح إلا بإقامة هذا التوازن والتكامل في الالتزام بالعقيدة والتحلي بالأخلاق ، ومراعاة الشعائر والواجبات الدينية ، وتوفير التشريع الرباني والنظام السديد .

٥ — وأخيرا فإن الدين — من الناحية التاريخية — يشكل شطرا جوهريا من كيان أمتنا التي ورثت العقيدة من الأجداد والأسلاف عن طريق التضحية والفداء ، وأصبح الدين يجري في عروقنا مجرى الدم ، كما أن بلادنا مهبط الرسالات السماوية ، ومنطلق الأديان، وهي محط أنظار البشرية في الشرق والغرب ، وتهوي إليها أفئدة الناس جميعا ، فيجدر الاستفادة من هذه المعاني ، مع المزيد من الاحترام والتقديس والتمسك بالدين ، والاهتمام بتدريسه للحفاظ على هذه الثروة والطاقة في نفوس الأمة وأفراد الشعب ، ولنربط الحاضر بالماضي ، وندفع بالافراد والمجتمع نحو المستقبل الأفضل .

ويبقى الدين اليوم هو الأمل لدى جماهير الأمة لتحقيق ما تصبو إليه من السعادة والنصر والوحدة والتفاؤل والتقدم إلى الحياة الرغيدة مهما حاول الاستعمار وأتباعه إبعاد الدين عن الحياة والحكم والسلطة ، كما فعل كمال أتاتورك في تركيا ، مع أن الدين يسري في قلوب الناس وفي حياتهم ومشاعرهم في كل لحظة ، وفي كل تصرف من تصرفاتهم اليومية (١) .

وبقيت نقطة أخيرة وهي السؤال عن مصير الدين أمام التقدم العلمي اليوم ، وهل تبقى وظيفة الدين في الحياة

---

(١) : انظر : الدين والحضارة والإنسانية : ٢٠ ومابعدها .

كما كانــت طيه في القديـــم ؟ وهل تبقى الحاجة إليه موجودة ؟
وهل يغني العلم والمكتشفات الحديثة عن وظيفة الدين ؟ .

والجواب على هذه الأســــــــــئلة

هو موضــــــوع

" الفصــل القـــــادم "

==============

الفصل الخامس

الديـن والعلـم

يشيع على ألسنة كثير من الناس لفظ العلم والتقدم العلمي، ويحاول المنحرفون أن يستغلوا هذه الألفاظ ، ويتخذوها ثغرة للتشكيك في وظيفة الدين وأهميته في الحياة وحاجة الناس إليه ،وإذا سمعوا بالحجج السابقة والبراهين المتقدمة عن البواعث الفطرية للتدين وأثر الدين في حياة الفرد والمجتمع أثاروا هذه الشبه مرة ثانية ،وأن الدين الذي لعب دورا بارزا في القديم لم تبق له هذه المكانة ، ويمكن الاستغناء عنه مع تقدم العلم والمدنية والحضارة ،وأن العلم حلّ ، بل يجب أن يحل محل الدين لما يقدمه للبشرية من خدمات ورفاهية ،ومعارف ومكتشفات ، أصبحت في خدمة البشرية ،وصار الناس يستخدمونها في حياتهم وأعمالهم.

والحقيقة أن هذه الشبه والافتراءات والأسئلة تنطوي على تمويه وتلفيق ومراوغة ومكر وخداع للبسطاء والسذج من جهة ،ومن جهة أخرى فإنها تضع أيديها في آذانها ، وتطمس أعينها وتحجب عقلها عن المفهوم الصحيح للدين الذى عرضناه في الفصل الأول ، وإزالةً لكل لبس أو اشتباه ، وتنويراً لمن يريد الحق ،ويبحث عن الحقيقة فإننا نبين بإيجاز واختصار وظيفة العلم ومجاله ،وموقف الدين منه ، ومدى الارتباط بين الدين والعلم .

أولا ــ وظيفة العلم ومجاله :

ان وظيفة العلم والمجال الذى يعمل به والدائرة التي يدور فيها والإطار الذى يغطيه محصور في النواحي الحسية ،ويقتصر على الأمور التجريبية التي تخضع للتجربة وتدركها الحواس من السمع والبصر واللمس والشم والذوق ،وهي أمور مادية محضة فالعلم يقف عند حدود لا يتجاوزها .

أما وظيفة الدين في الحياة فانها ذات مجال رحب ، وتعمل في دائرة أوسع بكثير جدا وتخرج عن هذا الاطار بأضعاف مضاعفة ، فيبحث الدين عن الكون وما وراء الكون ، ويتحدث عن المادة والروح ، ويتناول الحياة وما وراء الحياة ، ويدرك الأمور الحسية والقضايا الغيبية ، ويهتم بالإنسان من النواحي الجسمية والروحية والنفسية والاجتماعية والتربوية ... وغيرها من المسائل المعنوية التي لايطولها العلم ، ولا تدخل تحت وسائله المادية التجريبية المحدودة .

ويضاف إلى ذلك أن الدين يدعو إلى العلم ، ويرشدنا إلى أسرار الكون ، ويحثنا على كشف مافيه ويمنّ علينا أنه سخر لنا مافي الأرض جميعا ، ولذلك فكل ماوصل إليه العلم من اختراعات واكتشافات ، وكل ماقدمه للبشرية فهو جزء من دعوة الدين ، مع التنبيه المتكرر إلى المفهوم الصحيح للدين الذى حددناه سابقا ، وهو دين الله الحقيقي ، وهو الإسلام " إنَّ الدينَ عندَ اللَّهِ الاسلامُ " الذى دعا الى العلم ، وجعله فرضا عينيا أو كفائيا على المسلمين ، ولا نعني بالدين المفهوم الكهنوتي الكنسي الذي حارب العلم وحجر على العلماء وقتل المخترعين والمكتشفين وفرض على الناس تفسيرات باطلة ، وسخافات ساذجة ، وتأويلات باطلة، صبغوها باسم الدين ، علما بأن هذه القضايا تدركها الحواس وتخبرها الوسائل والأدوات المادية ، وتستطيع الوصول إلى غورها بالبحث والمشاهدة والتجارب والتفكير ، وتدخل تحت مقدور الإنسان ، فلا تحتاج إلى وحي السماء ولا إلى أخبار الرسل والأنبياء ولذلك لم تأت بها الكتب السماوية ، وإنما اقتصرت على مجرد الإشارة إلى بعض أسرار الكون وأرشدت إلى وجوب الاستفادة منها والسعي وراءها .

ولذلك فان مجال الدين الصحيح أوسع بكثير من مجال العلم ، فالدين يشمل كل شيء في الحياة الدنيا ، ويفتح لنا نافذة على الحياة الأخرى

وإذا أردنا التمثيل الهندسي للدين والعلم فتكون دائرة الدين كبيرة جدا ، وقد يصعب تقدير محيطها ، ويمثل العلم دائرة صغيرة ضمن دائرة الدين ، وقد يتغير محيط دائرة العلم ضيقا واتساعا ، وقد تنقص وتزيد ، وقد تضمر وتنمو ، حسب التقدم العلمي والرقي الحضاري والاكتشافات الكونية والتطور التقني في الوسائل والأساليب .

الدين

العلم

وينتج عن معرفة مجال العلم ومجال الدين أن العلم عاجز عن قضايا كثيرة لا تدخل في إطاره ، ويستحيل عليه معرفتها لأنها خارجة عن نطاقه وامكانياته ومجاله واختصاصه ، مما يستوجب أن نتلمس لها مصدرا آخر غير العلم ، ونكون بحاجة إليه ليمدنا بالمعرفة مما يعجز عنه العلم ، وأهمها :

١ــ معرفة الغيب : سواء كان في الدنيا أم في الآخرة ، في الماضي السحيق أو المستقبل ، فالعلم مثلا يعجز عن معرفة المستقبل سواء كان بعيدا لشهور وسنوات ، أم كان قريبا لساعة ولحظات ، كما أنه عاجز عن معرفة أصل الكون والحياة ، ومبدأ الكون والحياة ، ومبدأ الخليقة والإنسان ، والهدف من وجود الإنسان ، والغاية من الحياة ونهاية الكون والإنسان والحياة ، ومصير الكون والإنسان ، فلا يعرف العلم حقيقة الموت الذي يرى أثره بالعين ، ويعجز أكثر من ذلك في معرفة ما بعد

الموت والفناء ، وغير ذلك من المعارف التي يقف العلم أمامها حاسرا ، لذلك تفضّل الله على عباده بها عن طريق الوحي والدين (١) .

٢ـ قضية الخلود في الأرض التي يطمح إليها الإنسان ويسعى جاهدا للبقاء ما أمكنه ، ويبذل طاقاته لحصته فيها وإبعاد الموت عنه ، فهل يمكن للعلم أنْ يزيد في عمر إنسان لحظة واحدة أو يوما واحدا ؟ .

إن التقدم العلمي السريع في الطبّ والجراحة والادوية يستطيع أن يوفر له حياة أفضل ، وسعادة أكثر ، وراحة أرحب . ولكنها تعجز عن أن تمنحه لحظة زيادة في عمره ، مصداقا لقوله تعالى " : فإذا جاءَ أجلُهم لا يستأخِرُونَ ساعةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ " الاعراف / ٣٤ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : " إن روح القدس نفث في روعي أنَّ نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها (٢) " .

٣ـ كما يعجز العلم بشكل ملموس في القضايا النفسية التي تشكل شطرا بارزا في حياة الإنسان في الدنيا ، فلا يمكن للعلم أن يمنع عن الإنسان القلق ، ولا يستطيع أن ينزع منه الخوف إذا تعرض لأسبابه ، سواء كان الخوف من أسباب مادية ، أم من أسباب معنوية كالخوف من الموت ، والخوف من الحوادث ، وإذا قدَّم العلم أحدث ما وصل إليه من وسائل المواصلات كالسيارة والطيارة والصاروخ فإنه عاجز عن ضمان السلامة فيها ، وإذا تعرضت لخطر أو عطل أو حادث ، فالعلم أعجز ما يكون عن غرس الطمأنينة في نفس الراكب ووقايته من الخوف والاضطراب .

كما أن العلم عاجز عمّا يخرج عن نطاقه ولا يخضع للحس والتجربة والمشاهدة وأكبر مثل على ذلك روح الإنسان وعقله ، فما هي الروح ، وما هو العقل ؟؟ .

كما أن العلم لا يتناول القضايا الإنسانية كالأخلاق التي تقوم عليها الشعوب والأمم والحضارات ، لذلك فإن الأخلاق تعتمد على

---

(١) : انظر كتاب الزميل الفاضل الدكتور عدنان زرزور : مقالة في المعرفة .
(٢) : هذا طرف من حديث رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي امامة .

الدين الذي يدعو إلى الأخلاق الفاضلة ، ويحدد مدلولها ومفهومها ومداها ، ثم يكسبها صفة القدسية الدينية ، وهذا كفيل بحفظها وبقائها واستمرارها.

يقول المربي الفرنسي بياجيه : "الأخلاق بلا دين عبث" .

ثانيا : إن التقدم العلمي – قديما وحديثا ومستقبلا – محصور في تفسير ظواهر الكون المرئية المحسوسة ، دون أن يستطيع العلم التأثير في حقيقتها وكيانها ، وهو عاجز عن التأثير في جوهرها ، أو التغيير في تركيبها ، أو التعديل في نظامها ، فالعلم الذي اكتشف تركيب الهواء والضغط الجوي ووصل إلى القمر لم يستطع – ولن يستطيع – أن يغير في تركيب الهواء ، أو يزيل أثر الضغط الجوي ، أو يبدل في نظام القمر ، وإذا كانت الإنسانية اليوم تقدم وتبذل وتنفق وتسرف بالمليارات للوصول إلى المريخ فإن الهدف المبتغى من كل ذلك هو أمر بسيط تافه ، لا ينفع البشرية ولا يضرها بشيء ، وهو اكتشاف الحياة على سطح المريخ ، فأين العلم إذن من حقيقة المريخ والكون من وراءه ؟ وإن علم الطب والتشريح قد اكتشف معظم الأجهزة العاملة في جسم الإنسان كالجهاز العصبي والهضمي والتنفسي ودوران الدم وجهاز البصر والسمع والشم ، ولكن هل استطاع العلم ، أو هل يستطيع أن يعدل في نظامها ، أو يغير من تركيبها ؟ فضلا عن ايجاد البديل والمثيل لها ؟ .

إنَّ عملية جراحية في زرع القلب أو فتح الرأس تشغل العالم أجمع ويتناقل أخبارها ذوو الشأن والاختصاص ، ويتباهى بها كل إنسان ، ولم يثبت لها إلا النجاح النسبي أو المؤقت ، فماذا نقول ، أو ماذا يقول العلم ، أمام الخلق والايجاد لملايين القلوب وملايين الأجساد والأدمغة والرؤوس التي تتكون في ظلمات ثلاث ، ولا تكلف إلا كلمة "كن فيكون" ؟ تبارك الله أحسن الخالقين .

ثالثا : إن المسائل الكونية التي تخضع لسلطان العلم ، وتدخل في

نطاقه ودائرته ، وتتم عليها التجارب والمشاهدات ، ويختص بها العلماء –

إن هذه المسائل الكونية العلمية لم يقطع العلم إلا بجزء يسير من حقائقها ، ولم يجزم إلا أحيانا بالنتائج التي توصل إليها ، وإن أكثر المسائل المطروحة على نطاق البحث العلمي لا تزال في حيز الاحتمالات والتكهنات ، وفي مجال الفرضيات ، وتتعرض لاحتمال الخطأ والصواب ، وإن الأمور اليقينية القطعية التي وصل إليها العلم لا تزال محدودة ، فما بالك في المغيبات وما وراء الطبيعة ؟ فإنه لن يصل إلى نتيجة فيها قطعا ؟ .

إن العلم التجريبي الناجح المتطور المتقدم في عصرنا الحاضر لا يزال في أول الطريق ، وإن المجهول أكثر من المعلوم بمئات المرات ، سواء في علم الطب أو الفلك أو الكون أو علم الطبقات أو الذرة أو التشريح ...

يقول عالم الأحياء الكبير ألكسيس كاريل : " فنحن لا ندرك غير جوانب من الإنسان وأجزاء منه ، بل إن هذه الأجزاء ليست سوى نتاج طرائقنا في البحث ، ليس كل منا غير موكب من الأشباح ، تسير وسطها الحقيقة التي لا يمكن معرفتها ، ثم يقول :

" الواقع أن جهلنا مطبق . . فأكثر الأسئلة التي يطرحها من يدرس أفراد الإنسان بقيت دون جواب . . ولا تزال مناطق شاسعة من عالمنا الداخلي غير معلومة . . . كيف تتوافق جزئيات المواد الكيميائية فيما بينها لتكوين الأعضاء المعقدة الانتقالية للخلايا ؟ كيف تحدد الموروثات التي تحتوى عليها نواة البويضة المخصبة مميزات الفرد الذى ينبثق من هذه البويضة ؟ كيف تنتظم الخلايا من تلقاء نفسها في جماعات هي الأنسجة والأعضاء ؟ وكأنها أشبه شيء بالنمل والنحل ، تعرف مقدما ما هو الدور الذي ينبغي لها أن تلعبه في حياة الجماعة ، ولكننا نجهل الآليات التي تعينها على بناء كائن عضوي معقد بسيط معا ، ما هي طبيعة عصر الكائن الإنساني والزمن السيكولوجي ؟ " .

" نحن نعرف أننا نتكون من أنسجة وأعضاء وسوائل وشعور ، ولكن العلاقات التي تربط بين الشعور والخلايا المخية لا زالت سرا غامضا ... بل إننا نجهل فسيولوجية هذه الخلايا ... إلى أي حد يمكن أن يتغير الكائن الحي بفعل الإرادة ؟ كيف تؤثر حالة الأعضاء في النفس ؟ على أي نحو يمكن أن تتغير المميزات العضوية والعقلية التي يرثها كل منا عن أبويه بفعل نمط الحياة والمواد الكيميائية في الأغذية ، والمناخ والنظام والعادات الفسيولوجية والنفسية ؟ ".

" نحن بعيدون عن معرفة العلاقات التي توجد بين نمو الهيكل العظمي والعضلات والأعضاء وبين نمو النشاط العقلي والروحي ، كذلك نحن لا نعرف ماالذي يسبب توازن الجهاز العصبي ومقاومة التعب والجرأة ؟ ... ماهي الأهمية النسبية لأوجه النشاط الفكري والخلقي والفني والصوفي ؟ ماهو مدلول الشعور بالجمال والتدين ؟ أي شكل من أشكال الطاقة هو المسؤول عن التواصل عن بعد ؟ ".

" توجد بكل تأكيد بعض عوامل فسيولوجية ونفسية تسبب هناء كل واحد منا أو شقاءه ، ولكنها مجهولة ، ويتعذر علينا أن نخلق المقدرة على السعادة " .

" ونحن لا نعرف ـ بعد ـ أي وسط يهيئ خير نمو للإنسان المتحضر ، هل يمكن القضاء على النضال والجهد والألم في كياننا الفسيولوجي والنفسي ؟ وما السبيل إلى تحاشي انحطاط الأفراد في حضارتنا الحديثة ؟ ويمكن أن يوجه عدد كبير من الأسئلة الأخرى عن الموضوعات التي تعنينا . وستبقى هذه الأسئلة بدون جواب هي الأخرى ".

ثم يختم حديثه فيقول : " من المؤكد تماما أن الجهد الذي بذلته كافة العلوم التي تبحث في الإنسان قد ظل ناقصا ، وأن معرفتنا لأنفسنا لا زالت جد ناقصة " (١).

---

(١) : الإنسان ذلك المجهول ، الكسيس كاريل : ٢٣ — ٢٤ .

لقد نقلنا هذا النص الكامل الطويل الذى يكشف عن عجز العلم عن معرفة حقيقة الإنسان وطبيعته ، وعجز العلم عن معرفة وظائف الجسم ، وكيف يعمل كل عضو فيه ؟ ولذلك سمى كتابه : "الإنسان ذلك المجهول" ، وإذا كان عجز العلم لا يزال في هذا الحد والمستوى عن الانسان الذى يعتبر قطب الرحى في المجال العلمي ، ويظفر بنصيب الأسد في البحث والاهتمام والجهد العلمي ، فما بالك عن عجز العلم عن معرفة غير الإنسان من الكون الكبير والحياة الواسعة .

إن هذا النص الطويل جواب قاطع لأولئك الذين يتغنون بالعلم ، وينادون بالعلمنة ، وكأن العلم عصا سحرية تحقق لهم المعجزات وتلبي لهم الرغبات ، وتقسلهم إلى الغايات والخيالات ، بينما يعلن العلم والعلماء أنهم عاجزون عن كل ذلك ، وأن العلم لا يزال يحبو في سيره ، بل لا يزال في أول الطريق .

رابعا ـ إن العلم سلاح ذو حدين ، يستعمل للخير ، كما يستعمل للشر ، وإن التقدم العلمي الذى يهيئ للانسان والبشرية حياة أرغد ، وسعادة أطيب ، ورقيا واسعا ، فإنه يهدد الإنسان والبشرية بالخراب والدمار والإبادة .

إن اختراع الذرة يمكن أن يكون من أجل السلام العالمي والتقدم الحضاري ، كما يمكن أن يكون للحرب وإبادة الشعوب وتشويه معالم الإنسان والكون .

وإن اختراع الأدوية والتقدم العلمي في مجال الطب يساعد الطبيب الحكيم على معالجة المرضى وإزالة الآلام ، ولكنه قد يكون وسيلة ميسرة للطبيب الجزار في قتل النفس الإنسانية في ثوان معدودة ، دون أن يطوله قانون أو يضبطه شرطي .

وإن التسارع العلمي في مجال الفضاء والكون قد يكون لخدمة

الانسانية في السفر والاتصال وتبادل الخبرات والمعارف والعلوم والمواد الانتاجية والصناعية ، ولكن قد يكون للتجسس واستعمار الشعوب وسرقة خيراتها . . . وهكذا .

ولذلك فلابد للعلم من تربية عالية ، وتوجيه سديد ، وعقيدة بناءة ، وايمان راسخ ، ودين رشيد ، يوجه العلماء لتسخير العلم الى خدمة البشرية ، ويكبح جماح النفوس الشريرة ، ويمنع استغلال المكتشفات للأغراض الدنيئة ، ونستطيع أن نقدم من الحياة المعاصرة أمثلة عملية وحججا واقعية وبراهين جازمة لادعياء العلم والعلمنة ليقنعوا أنفسهم وليخففوا من غلوائهم وليعودوا الى الحقيقة ، ويعترفوا بها ويلتزموا بحدودها (١) .

ان التقدم العلمي والحضارة المادية الراقية في أمريكا لم تكبح جماحها في استخدام القنبلة الذرية في هيروشيما وناغازاكي في الحرب العالمية الثانية ، وأن التقدم العلمي والمكتشفات الحديثة لم تمنع الولايات المتحدة الامريكية من اعلان الحرب في فيتنام وارسال الجيوش اليها وامدادقواتها بكل وسائل الدمار والقتل والتخريب للأرض والانسان ، وهل حقق العلم أغراضه داخل الولايات المتحدة بالتمييز العنصري مع السود ؟ .

وان التقدم العلمي والمستوى الراقي والمبادىء البراقة واعلان حقوق الانسان في فرنسا لم يمنعها من استعمار الأمم واحتلال بلادنا ومقدساتنا واستنزاف خيرات الشعوب العربية والافريقية والآسيوية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .

وان العلم الحضارى الذى وصلت اليه بريطانيا لم يعترضها في استعمار مختلف القارات ، ولم يقف حائلا بينها وبين التآمر على الشعوب وتقسيم المعمورة بينها وبين الدول الاستعمارية الأخرى ، بل ان العلم المادى الذى يتغنى به الناس لم يقف حجر عثرة في وجه بريطانيا في

(١) : أما شعار العلمانية الذى ظهر في الغرب فانه خداع في المجتمع الحديث ، وان المجتمع في أوربا مجتمع مسيحي ، كما يقول الدكتور محمد البهي في كتابه : الدين والحضارة الانسانية : ص ١٢–١٦ ، وقد ظهرت الصيحات العالية في فرنسا وبولندا وغيرهما بوجوب تدخل الكنيسة لحل المشاكل التي يعاني منها الناس .

استعمار فلسطين وتقديمها لقمة سائغة الى العصابات الصهيونية لاغتصاب الأرض وتشريد الشعب وطرده من أرض آبائه وأجداده .

وإن العلم المتقدم في روسيا لم يحل بينها وبين الغزو الارهابي على بلغاريا ، ولم يمنعها من إنزال خمسة آلاف دبابة وطائرة لغزو تشيكوسلوفاكيا في ليلة ظلماء داكنة ، وباختصار فإن قادة الاستعمار والاستغلال والاستعباد للشعوب في العصر الحديث هم رواد العلم وأصحاب التقدم المادي والمدنية والتقنية الصناعية ، والحضارة المادية ، وليسوا من الشعوب المتأخرة أو القبائل الهمجية ، أو الأمم الجاهلة .

هذا من ناحية الدول ، أما من ناحية الأفراد فإن مجرد المبادئ العلمية والتقدم العلمي في الطب لا يحجب بعض الأطباء عن المتاجرة بالطب ، ليكونوا جزارين في علمهم ، لا يهدفون إلا إلى جمع الثروة والثراء ليكونوا من أكبر الأغنياء ، وليتحولوا من علمهم الانساني النبيل ليكونوا تجار بناء أو مقاولين أو متعهدين .

وإن المستوى الرفيع الذى وصله العلم في الهندسة لا يمنع المهندس من الغش والسرقة والاحتيال والرشوة وخيانة الأمانة وتبديد أموال الدولة ، وهكذا المحامي والموظف والمدير والمعلم والمدرس والطالب والضابط والجندي والعامل والتاجر ورب العمل والأب والابن والشريك والجار .

وإن الحصول على أرقى درجة علمية لا يحجب صاحبها عن ارتكاب جميع الفواحش والرذائل والجرائم التي يندى لها الجبين ، بدءاً من المجال السياسي حتى المجال الاقتصادي والأخلاقي ، ويكفي أن نشير الى بعض الأمثلة : فضيحة ووترغيت مع الرئيس الأمريكي نيكسون ، قصة التجسس مع المستشار الألماني فيلي برانت ، الفضائح الأخلاقية مع عدد الوزراء والنواب واللوردات في بريطانيا ، الشذوذ الجنسي لوزير

خارجية بريطانيا ، فضيحة الرشوة مع رئيس وزراء اليابان ، فضيحة الرشوة مع أميرهولندا ، هذا على المستوى الدولي ، أما على المستوى المحلي فالأمثلة أكثر من أن تحصى ، ويشعر بها كل فرد ، حتى كاد أن يقترن الفساد والرشوة والفتن مع أصحاب الشهادات والمثقفين .

وبعد كل ذلك ألا يشعر كل إنسان أن العلم يحتاج إلى رديف بل إلى غذاء ديني ، وأنه لا يمكن أن يحقق أهدافه إلا إذا اقترن بالأخلاق القائمة على الدين ، وهل بقي في نفس القارئ الكريم شبهة في ضرورة الدين وحاجة البشرية إليه .

والخلاصة أنه لا تعارض بين وظيفة الدين وبين التقدم العلمي، وأن مجال كل منهما يكمل الآخر ، وأنه لا تناقض بين العلم والدين ، بل إن التقدم العلمي الصحيح يزيد الثقة بأمور الدين ، مصداقا لقوله تعالى: " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " فاطر / ٢٨ ، لأن العقل البشري محدود ، وأن النظام الدقيق للكون يؤكد وجود الخالق المبدع المنظم ، وأنه لا مجال للصدفة ، ولا مكان لنسبة ذلك إلى الطبيعة ، كما أن الدين يدعو إلى العلم ، ويرشد الناس إلى التعلم والبحث والاختراع والاكتشاف وتسخير كل ما في الكون والاستفادة منه ، ولذلك يلخص الأستاذ العقاد هذا التأثير المتبادل والتكامل الدقيق بين الدين الصحيح ــ وهو الإسلام ــ وبين التفكير المؤدي إلى العلم والمعرفة والتقدم والحضارة والمدنية ، فيقول :

" ويحق للمسلم على الحالين أن يعلم أن التفكير يوجب الإسلام ، وأن الإسلام يوجب التفكير (١) " .

أقوال العلماء في الدين : ونختم هذا الفصل بأقوال أساطين العلم في عصرنا الحاضر ، ونكتفي بذكر بعضها في هذا الموضوع (٢) :

(١) : التفكير فريضة اسلامية ، له : ٢٢٢ .
(٢) : انظر هذه الأقوال ومزيدا مثلها في كتاب الدين : ٨٤ ــ ٨٩ .

١ـ يقول سالمون ريناك : " ليس أمام الديانات مستقبل غير محدد فحسب بل لنا أن نكون على يقين من أنه سيبقى كل شيء منها أبدا ، ذلك لأنه سيبقى في الكون دائما أسرار ومجاهيل ، ولأن العلم لن يحقق أبدا مهمته على وجه الكمال " .

٢ـ ويقول الدكتور ماكس نوردو عن الشعور الديني : " هذا الاحساس أصيل يجده الإنسان غير المتمدن ، كما يجده أعلى الناس تفكيرا ، وأعظمهم حدسا ، وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية ، وستتطور بتطورها ، وستتجاوب دائما مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة " .

٣ـ يقول شاشاوان : " مهما يكن تقدمنا العجيب في عصرنا الحاضر .. علميا وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العملية ، وللجهاد والتنافس في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا ، فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء (عظاما كنا أو متواضعين ، خيارا كنا أو أشرارا) يعود إلى التأمل في هذه المسائل الأزلية : لم وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ وإلى التفكير في العلل الأولى أو الثانية ، وفي حقوقنا وواجباتنا " .

٤ـ يقول أرنست رينان في تاريخ الأديان : " إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه ، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين ، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي ، الذى يريد أن يحصر الفكر الانساني في المضايق الدنيئة للحياة الأرضية " .

٥ـ يقول الأستاذ محمد فريد وجدي تعليقا على كلمة رينان : " نعم يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين ، لأنها أرقى ميول النفس ، وأكرم عواطفها ، ناهيك بميل يرفع رأس الانسان ، بل إن هذا الميل

سيزداد . . . ففطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح ، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه ".

٦- يقول هنري برغسون : " لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة ".

٧- ويعقب الدكتور دراز رحمه الله على هذه الكلمات فيقول : " ولنقف قليلا عند هذه الكلمة ، لأنه قد يبدو من المفارقات العجيبة ، أن يكون ازدياد العلم ونمو المعرفة سببا في نمو غريزة التدين ، المبنية على طلب الغيب المجهول ، ولكننا لو تأملنا لتحققنا صحة هذه المفارقة ولعرفنا أن تقدمنا الحثيث في العلوم يقربنا حقيقة من الاعتراف بجهالتنا ، والاقرار بأن مثل مانعلمه من الكون في جانب مانجهله منه كمثل قطرة واحدة من محيط خضم عميق ، ذلك أنّ كل باب جديد يفتحه العلم من دلائل عظمة الكون وامتداده ينفتح معه أفق أوسع للسؤال عما يتصل بهذا الميدان الجديد من المشاكل الكثيرة الغامضة "(١).

ونختم الكلام بالتأكيد أن التقدم العلمي لا يؤثر من قريب ولا من بعيد في الأمور الغيبية التي تتوقف على الوحي الديني ولا يطولها بالبحث ، وأن العلم يحقق الموضوعية والاعتراف بالقوى المدبرة للكون ، وأنه من وجهة النظر الإسلامية فإن هذه العلوم فرض كفاية على المسلمين أن يتعلموها ، وأن يشاركوا فيها ، وأن تكون لهم اليد الطولى في حمل مشعل العلم والحضارة ، كما حملها أسلافهم من قبل ، وبذلك تتحقق رسالة السماء

---

(١) : الدين ، له : ٨٩ - ٩٠ " ومابعدها .

بالجمع بين أمور الدنيا والآخرة ، وتتم خلافة الإنسان في الأرض ، ويومئذ يفرح المؤمنون برضاء الله وتوفيقه .

وأخيرا فإننا نحيل القارئ الكريم الذى يريد الحق والعلم إلى كتاب " الله يتجلى في عصر العلم " الذى كتبه نخبة من العلماء في مختلف الاختصاصات ، لتدوين ما وصل إليه العلم الحديث .

* * *

خاتمـــة

الحاجة إلى الديـــن

وبعد هذا العرض السابق في الفصول الخمسة نطرح على أنفســنا أو نطرح على غيرنا ،أو يطرح الآخرون علينا هذا السؤال : هل نحـــن بحاجة إلى الدين ؟ وهل الناس اليوم بحاجة إلى الدين ؟

يظهر للقارئ الكريم ، وللعاقل الرشيد ، وللباحث المتجـــرد عن الأهواء والأحقاد ، ولعشاق الحق والحقيقة ،يظهر لهم أن وظيفــة الدين في الحياة مهمة وخطيرة وضرورية ، كما يظهر لهم بواعثه الفطريــة في النفس الإنسانية ،وأثره البارز في حياة الفرد والمجتمع ، ويتبيـــن للقارئ أن العلم لا يسد مسده ،ولا يقوم مقامه ، وأن الانسان لا يؤدى غرضه في هذه الحياة ، ولا يستكمل انسانيته ،ولا يلبي دوافعه وغرائزه وميوله، ولا تتحقق له السعادة ،ولا ينعم بالتوازن والاستقرار إلا بالتديـــن ، وأن الدين جزء من حياة الفرد والمجتمع ،وأنهم بحاجة إليه كالطعـــام والشراب والغذاء،فمن تخلى عنه ،أو أعرض عن الأخذ به فلا يكون إنسانا سويا ،وأقل مايقال فيه أنه شاذ عن الفطرة الإنسانية والوجود البشري ، ومثله كمثل من يحرم نفسه الفواكه أو الخضراوات أو اللحوم أو الطيبـــات ، أو يمتنع بصلف وإصرار عن التمتع بأشعة الشمس وضوء النهار لعاهة في عقله أو لعقدة في نفسه ، فيكون شاذ الفكر ،منحرف السلوك ، وبالتالي فهو هزيل البنية ،ضعيف الجسم ، ينتظر حتفه رغم أنفه ، ويلقى ســـوء خاتمته ،والعياذ بالله .

استدراك وتنبيه :

ولكن الدين لا يحقق وظيفته إلا إذا توفرت له ثلاثة شروط وهي :

١ ـ العلم بالدين بشكل كاف واف ومفصل .

٢ـ الايمان بكل ماجاء به الدين الصحيح ،فلايؤخذ بعضه ويهمل بعضه الآخر.

٣ـ الالتزام بأحكام الدين وتطبيقه .

وهذه الشروط بسيطة ومنطقية وبدهية ،ولا تحتاج إلى عناية كبيرة أو بحث مستفيض ،ولكنها ذات أثر خطير وبارز .

وإن كل سوء أو ضرر نجم عن الدين أو باسم الدين كان بسبب فقدان أحد هذه الشروط الثلاثة السابقة ، وإن كل ثغرة في الدين استغلها أعداء الدين ،أوردها الملحدون ليتخذوا منها ثلمة في الدين وطعنا بأهله ، كانت إما بسبب جهل أهل الدين بدينهم ، وإما بسبب النفاق وعدم الايمان الحقيقي الكامل به ،وإما بسبب الانحراف عن مبادئه ،أو بسبب التطبيق الجزئي والجانبي لأحكام الدين ،أو بسبب عدم الالتزام الكافي به ، أو بسبب الفصل بين عقيدته وعباداته وأخلاقه وتشريعه .

وإذا تبنى الدين من لم يؤمن به ،أو من كان جاهلا به ،أو متاجرا بمبادئه ، أو منافقا في عقيدته وايمانه ، أو مفرطا في أحد جوانبه ،فسوف تكون النتائج سيئة ، لامحالة ، والخطر عظيما ، وفي هذه الحالة فإن الضرر الناجم عن سوء تطبيق الدين أكثر بكثير من عدم الدين نهائيا ، وإنها أعمق وأبعد في الآثار السيئة .

ولذلك أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على هذه الشروط، وحذر سلفا من فقدانها ، وبين النتائج الوبيلة من انعدامها ، ثم نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك .

فعن الشرط الاول وهو وجوب العلم بالدين بشكل واف وردت آيات كثيرة تدعو إلى العلم ووجوبه ،وتؤكد وجوب التعلم والتعليم(١) ، منها

---

(١) : انظر باب العلم وماجاء من الأحاديث عن وجوب العلم والتعلم والتعليم في كتاب الترغيب والترهيب : ١ /٩٢ ومابعدها .

قوله تعالى : " وما كانَ المؤمنونَ لينفرُوا كافةً ، فلولا نَفَرَ من كلِ فرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقهُوا في الدِّين ولينْذِرُوا قومَهم إذَا رَجَعُوا إليهم لعلَّهم يَحْذَرُون" التوبة / ١٢٢ ، ويقول تعالى : " وجَعَلْنا مِنْهم أئمةً يهدُونَ بأمرنا لمَّا صَبَرُوا ، وكانوا بآياتنا يُوقنون " السجدة / ٢٤ .

وعن الشرط الثاني وهو الايمان بكل ما جاء به الدين الصحيح ، دون أن يؤخذ بعضه ويهمل بعضه الآخر ، ودون أن يتخذ الدين للمتاجرة به ، وبجعله صنعة وحرفة ، ويطبق بعضه ، ويتناسى الناس بعضه الآخر ، يقول تعالى :

" وآمِنُوا بما أنزلتُ مُصَدِّقاً لما مَعَكم ، ولا تكونُوا أولَ كافرٍ به ، ولا تَشْتَروا بآياتي ثَمناً قليلاً ، وإيايَ فارهَبُون " البقرة / ٤١ ، ويقول عز وجل : " فويلٌ للذين يكتبُونَ الكتابَ بأيديهم ، ثم يقولُونَ هو من عندِ اللَّهِ ، ليشترُوا به ثمناً قليلاً ، فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم ، وويلٌ لهم مما يَكْسِبُون" البقرة / ٧٩ ، ويقول تعالى : " أفتؤمنونَ ببعضِ الكتابِ ، وتَكْفُرونَ ببعضٍ ، فما جزاءُ مَنْ يفعلُ ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياةِ الدنيا ، ويومَ القيامةِ يُرَدُّونَ إلى أشدِ العذابِ ، وما اللَّهُ بغافلٍ عما تعملون " البقرة / ٨٥ ، فالإسلام كل لا يتجزأ ، إما أن يؤخذ كله ، وإما أن يترك كله ، بدون ترقيع أو تمزيق .

وعن الشرط الثالث وهو الالتزام بأحكام الدين وتطبيقه فعلا وعملا ، يقول تعالى منددا بمن يعرف حكم الله ولا يطبقه ، ويدعو الناس إلى دين الله وشرعه ، ويعفي نفسه من ذلك ، يقول تعالى : " أتأمرونَ النَّاسَ بالبرِ ، وتنسونَ أنفسَكم ، وأنتم تَتْلُونَ الكتابَ ، أفلا تَعْقلون " البقرة / ٤٤ ، ويقول تعالى : " ياأيُّها الذينَ آمنُوا لِمَ تقولونَ مالا تَفْعَلون ، كَبُرَ مَقْتًا عندَ اللَّهِ أن تقولُوا مالا تَفْعلون " الصف / ٢-٣ .

وأخيرا نستطيع أن نقدم خلاصة البحث ، ونبين نتائجه التي تؤكد حاجة الناس إلى الدين ، فنقول :

١- إن الدين الذى نقصده ونعنيه ونسعى وراءه هو الإسلام بمعناه الكامل الشامل العام الذى نص عليه ربنا سبحانه وتعالى بقوله :
" إِنَّ الدِّينَ عندَ اللَّهِ الاسلامُ " آل عمران / ١٩ ، وقوله تعالى : "ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلامِ دِيناً فلَنْ يُقْبَلَ منه ، وهو في الآخرةِ مِنَ الخاسرين" آل عمران / ٨٥ .

ولا يمكن بحال من الأحوال أن نقبل الدين بالمفهوم الكهنوتي الكنسي الاستعماري المستورد الدخيل ، بل إننا نبرأ إلى الله من هذا المفهوم ، والله برىء منه .

٢- نحن بحاجة إلى الدين لأنه جزء من فطرة الانسان وطبيعته ، ولا يمكن لإنسان سوى عاقل أن يستغني عن جزء من فطرته وكيانه ، وإلا كان شاذا ومنحرفا .

قال تعالى : " فأَقِمْ وجهَكَ للدِّينِ حَنيفا ، فطرةَ اللَّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليها ، لا تبديلَ لخلقِ اللَّهِ ، ذلك الدِّينُ القَيِّمُ ، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون " الروم/ ٣٠ .

٣- نحن بحاجة إلى الدين ، لأنه الوسيلة الوحيدة ، التي نأمن مخاطرها ، ونضمن نتائجها لتحقيق الحياة الإنسانية الكريمة ، وتأمين الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة .

٤- نحن بحاجة إلى الدين لتأمين الاستقرار النفسي والروحي في حياة الأفراد .

٥- نحن بحاجة إلى الدين للحصول على التفتح العقلي ، والتقدم العلمي ، لأن الدين في جوهره دعوة إلى التقدم والمدنية والحضارة والرقي في مختلف المستويات .

٦- نحن بحاجة إلى الدين لاقامة التوازن بين الفرد والمجتمع ، ولأنه يقيم العلاقة السديدة بين المواطن والدولة ، فيعرف كل منهما

حقه فيقف عنده ، فلا يخرج الفرد على الدولة والمجتمع بالعبث والفساد والاجرام والتحكم بأرزاق الشعب والتلاعب بمقدرات الأمة وقوت أفرادها ، ولا تتطاول الدولة على الفرد فتسلبه حقوقه الطبيعية والإنسانية ، وتقيم الظلم والطغيان والتسلط والديكتاتورية ، لتجعل من الإنسان آلة صماء أو حيوانا أبكم لا يهتم إلا بطعامه وشرابه وشهواته ، أو عضوا عاطلا أو متكاسلا أو متواكلا أو سلبيا .

٧ـ نحن بحاجة إلى الدين للقضاء على عبودية البشر للبشر ، وللقضاء على التشريع الوضعي الذي تضعه فئة أو جماعة أو طبقة للتحكم في غيرها .

٨ـ نحن بحاجة إلى الدين للقضاء على الوثنيات التي لا تزال سائدة في نصف المعمورة ، وللقضاء على الديانات البدائية الباطلة التي يعتنقها مئات الملايين من البشر ، دون أن يستطيع العلم أن يستأصل جذورها ، فتجد في أهلها العالم والباحث والسياسي ورئيس الدولة وهو يعتنق البوذية أو يقدس البقر ويشرب بولها .

٩ـ نحن بحاجة إلى الدين للقضاء على جاهلية القرن العشرين عقيدة وسلوكا ، فكرة ونظاما ، ليعود الناس إلى ربهم ، ويخرجوا من الظلمات إلى النور .

١٠ـ نحن بحاجة الى الدين لانها ء الردة التي ابتلي بها العالم الحديث باسم العلم والعلمانية التي روج لها الصهاينة منذ قرنين تقريبا .

١١ـ نحن بحاجة إلى الدين الذى ينشيء ويربي الإنسان الصالح ، ويحقق للانسانية مثلها وقيمها وأخوتها ، بدون تمييز عنصري ، ولا تفاوت طبقي ، ولا استعمار دولي ، ولا اضطهاد فردي أو طائفي ، ولا استغلال مادي .

١٢- نحن بحاجة الى الدين لتنمية الوازع الديني عند الطبيب والمهندس والمحامي والمعلم والمدير والمدرس والموظف والعامل ورب العمل والتاجر والطالب والأب والابن والأخ والجار ليشعر كل منهم بالآخر، وليؤدي عمله الذي خلق من أجله مع الحفاظ على القيم والأخلاق والمبادئ .

١٣- نحن بحاجة إلى الدين لتحقيق التوازن في الانسان بين روحه وجسده وعقله ، ولإقامة التوازن بين غرائزه المختلفة ، ولتوجيه ميوله وعواطفه الوجهة الصحيحة التي تحفظ الفرد وتخدم المجتمع والأمة .

١٤- نحن بحاجة إلى الدين الذي رضيه الله لنا ، ورضيناه لأنفسنا ، وجاء به محمد صلى الله عليه وسلم والتزمه أصحابه وأقاموا به المجتمع الإسلامي الفاضل ،فحققوا العزة لأمتهم ، والنصر لدينهم ،والفوز برضوان ربهم .

نسأل الله العلي القدير أن يعلمنا ما ينفعنا ،وأن ينفعنا بما علمنا ،وأن يلهمنا رشدنا ،وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ،وأن يسدد خطانا وأن يهدينا سبلنا ، وأن يردنا إلى ديننا ردا جميلا ، وأن يهدي قومنا فإنهم لا يعلمون ، وأن يفتح بيننا وبين قومنا بالحق ، إنه سميع مجيب ، وبالإجابة جدير .

* أهم الكتب والمراجع :

وفي ختام الباب الأول نشير إلى بعض الكتب والمراجع التي تبحث عن تاريخ الأديان للرجوع إليها والتوسع في دراستها لمن يرغب ذلك .

أولا : المصادر الأصلية :

١- القرآن الكريم .

٢- كتب السنة الشريفة .

وهما أول المصادر وأهم المراجع ، وأصح الكتب التي عرضت لمادة تاريخ الأديان منذ أول الخليقة ، إلى نهاية الكون .

٣- الكتاب المقدس (أي كتب العهد القديم ، والعهد الجديد).

٤- الزبور والتلمود ، وهما معتمدان عند اليهود حتى اليوم .

* ثانيا : المراجع القديمة :

١- أصول الدين ، للأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي ، المتوفي سنة ٤٢٩ هـ . (مطبعة استانبول ١٣٤٦-١٩٢٨)م

٢- إظهار الحق ، للشيخ رحمة الله الهندي ، المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ تقديم وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .
(طبع دار التراث العربي - بالقاهرة / ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

٣- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هـ (مطبوع عدة مرات) .

٤- الجواب الصحيح على من بدّل دين المسيح ، للامام أحمد ابن تيمية الحراني ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ (مطابع المجد التجارية) .

٥- الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (مطبوع قديما ، ومصور حديثا) .

٦ـ الملل والنحل ، للشهرستاني ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ .
(مطبوع على هامش الفصل في الملل والنحل ، ومطبوع بشـــكل مســتقل) .

* ثالثا : الكتب الحديثة :

١ـ الأديان في كفة الميزان ، محمد فؤاد الهاشمي .
(مطابع دار الكتاب العربي بمصر) .
٢ـ الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل ، للدكتور محمد وصفي (نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ بالقاهـرة ـ ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥ م) .
٣ـ الأحوال الشخصية لغير المسلمين ، للدكتور جميل الشرقاوي .
(نشر دار النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٥ م) .
٤ـ الأصول العامة لوحدة الدين الحق ، للدكتور وهبة الزحيلي .
(نشر المكتبة العباسية بدمشق ـ ١٩٧٢ م) .
٥ـ التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية ، نهاد الغادري .
(منشورات دار الكاتب العربي ـ بيروت ـ ١٩٦٩ م) .
٦ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، للدكتور مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ (الطبعة الثانية ـ بيروت ـ ١٩٥٧ م) .
٧ـ حكمة الصين ، فؤاد محمد شبل : (دار المعارف بمصـر ـ ١٩٦٧ م) .
٨ـ خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، عبد الله التل .
(دار القلم ـ بالقاهرة ـ ١٩٦٤ م) .
٩ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي .
(طبع دار المعارف ـ الطبعة الرابعة ـ ١٩٧٧ م) .

١٠- الصهيونية في الستينات ، محمود نعناعة .
(نشر الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة - ١٩٦٤م) .
١١- العرب واليهود في التاريخ ، للدكتور أحمد سوسة .
(نشر العربي للاعلان والطباعة والنشر بدمشق -١٩٧٣م) .
١٢- قصة الايمان ، للمرحوم الشيخ نديم الجسر .
(طبع بيروت - عدة مرات) .
١٣- قصة الديانات. ، سليمان مظهر .
(طبع دار الوطن العربي للطباعة والنشر بمصر) .
١٤- كتاب "الله" للأستاذ عباس محمود العقاد .
ويبحث عن نشأة العقيدة الإلهية وتطورها - مطابع الاهرام التجارية نديم الجسر .
١٥- محاضرات في النصرانية ، للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة .
(مطبعة يوسف - الطبعة الثالثة - ١٣٨٥- ١٩٦٦م) .
١٦- مقارنات الأديان - الديانات القديمة ،للمرحوم الشيخ محمد أبو زهرة (طبع دار الفكر العربي بالقاهرة - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م) .
١٧- مكائد يهودية ، للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني .
(دار القلم بدمشق - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) .
١٨- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين و عباده المرسلين ، لشيخ الاسلام مصطفى صبري .
(طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة -١٣٦٩هـ ١٩٥٠م) .
١٩- النبوة والأنبياء ،للشيخ محمد علي الصابوني .
(نشر مكتبة الغزالي بدمشق) .
٢٠- وظيفة الدين في الحياة ،وحاجة الناس اليه ، للدكتور محمد

الزحيلي ـ نشر دار القلم بدمشق ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧ م ٠
ويضاف الى ذلك كتب التاريخ العام القديمة والحديثة ، والكتب
التي ورد ذكرها في الهوامش ٠

الباب الثاني

في

الأديان الكتابية أو المنزلة

قلنا في مقدمة الباب الأول أن الدين بدأ منذ هبوط آدم إلى الأرض، وذلك أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام، وجعله خليفته في الأرض، وأخبر الملائكة بذلك، قال تعالى: " وإذْ قَالَ ربُّكَ للملائكةِ إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً " ، فسار التساؤل في نفوسهم عن الحكمة من ذلك، وسألوا رب العالمين: " قالُوا: أتجعلُ فيها من يُفسِدُ فيها ويُسفكُ الدماءَ، ونحنُ نسبحُ بحمدِكَ ونقدسُ لك ؟" فأجابهم ربُّ العالمين: " إني أعلمُ ما لا تعلمونَ" البقرة / ٣٠ .

وكرم الله تعالى بني آدم، وخلقهم في أحسن تقويم، وسخر لهم ما في السموات والأرض، ولم يخلقهم عبثا، ولم يتركهم سدى، وإنما أمدهم بحبل من السماء، وبين لهم طريق النور والهداية، وأنزل عليهم الوحي، واصطفى منهم أنبياء ورسلا، وأوحى إليهم بالكتب والصحف والشرائع والأحكام، ليهتدوا بها، ويسيروا على منوالها، ويسلكوا الصراط المستقيم، صراط الله العزيز الحميد، وطريقه القويم.

ولا يعلم عدد الأنبياء والرسل أحد إلاّ الله تعالى، وذكر القرآن الكريم/منهم خمسة وعشرين رسولا، وأنزل الله كتبا كثيرة، ذكر لنا بعضها كالتوراة الذى أنزله الله تعالى على سيدنا موسى، والزبور الذي أنزله الله تعالى على سيدنا داود، والانجيل الذى أنزله الله تعالى على سيدنا عيسى، والقرآن الذي أنزله الله تعالى على سيدنا محمد، ومنها صحف ابراهيم وشيث وغيرها.

ولم يبق من الأديان المنزلة إلا اليهودية والنصرانية والإسلام، وتسمى الأديان السماوية، ويدرس الطالب في مقرر " العقيدة ": الدين

الإسلامي ، ويدرس في مقرر " تاريخ الأديان " : اليهودية والنصرانية ، وتسمى الأديان الكتابية .

ولكن هذين الدينين طرأ عليهما خلال التاريخ وقبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم تطورات وتغييرات ، وحلت عليهما بعض العوارض التي ذكرناها في مطلع الباب الأول من التحريف والتبديل والمتاجرة والمشاركة في السلطة والحكم وغيرها .

قال تعالى عن اليهود : " من الذينَ هادُوا يحرفُونَ الكلمَ عنْ مواضِعه " النساء / ٤٦ ، وقال عز وجل : " وقد كانَ فريقاً منهم يَسْمَعُونَ كلامَ اللَّهِ ثم يُحَرِّفونَهَ من بَعْد ما عقلُوه ، وهم يَعْلمونَ " البقرة / ٧٥ ، وقال تعالى : " يُحَرِّفونَ الكَلِمَ عن مواضِعه ، ونَسُوا حظاً مما ذُكِّروا به " المائدة / ١٣ ، وغير ذلك مما ورد في الآية ٤١ من المائدة ، والآية ٥٩ من البقرة ، والآية ١٦٢ من الأعراف ، والآية ٢٨ من ابراهيم ، والآية ١٥ من الفتح .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالله وما أنزل علينا — الآية" .

كما أن الدراسات العلمية والتاريخية الحديثة أكدت هذا التحريف والتبديل في الانجيل المنزل على عيسى عليه السلام ، وأن الأناجيل الموجودة الآن ، المنسوبة إلى متى ولوقا ومرقص ويوحنا هي من وحي كاتبها ، وإلهام لهم من روح القدس ، وهذا ما جاء في تعاليم المسيحية ، فقالوا : " الإلهام فهو عون روحي من قبل الروح القدس ، يحث الكاتب أن يعبر عما يريد الله أن يطلع الناس عليه من الحقائق الدينية الضرورية لخلاص نفوسهم (١) ، وقالوا : " ان الله هو الذى ألهم مختاريه في تدوين الكتاب المقدس ، . . . ، وكون الكتاب المقدس ملهماً لا يعني أن الروح القدس أملاه على الكاتب حرفا حرفا وكلمة كلمة ، ولا أنه صحح المعلومات الطبيعية والجغرافية والتاريخية التي كان الكاتب قد استقاها من بيئته ،

(١) : تعاليم الديانة المسيحية ، للصف الثالث الثانوى : ص ٩ .

بل تركه يستعين بتلك المعلومات الطبيعية ليعبر بها عن مقاصد الله بأسلوبه الشخصي" (١) .

ويقولون بالحرف الواحد : " إن الكتاب المقدس هو من صنع الله ومن صنع الانسان معا ،كل بحسب مرتبته ، فالله هو واضعه الرئيسي وأما الانسان فأداته الناطقة الواعية والأمينة ،فالله مثلا هو الواضع الرئيسي للانجيل بحسب لوقا ، أما لوقا فكان أداته الواعية" (٢) .

ولكن هذا التحريف والتبديل لم يأت على جميع عقائد هذين الدينين ، ولم يبدل جميع الأحكام المنزلة ، لذلك جاء في الحديث الشريف السابق ــ في رواية أبي داود ــ " ماحدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا : آمنا بالله ورسله ، فإن كان باطلا لم تصدقوه ،وإن كان حقا لم تكذبوه " ، وبقيت عندهم بعض العقائد الصحيحة ،ذات الأصل الصحيح ، كمابقي لديهم آثار كثير من الأحكام السماوية ،ولما جاء الاسلام وجد " صعيدا مشتركا" طيبا بين هذين الدينين وبين الإسلام ، فسماهم القرآن " أهل الكتاب " ، واتجه القرآن الكريم في آيات كثيرة لمخاطبة أهل الكتاب لتحريك نوازع الفطرة والايمان في قلوبهم ، وأنهم أولى الناس بقبول الإسلام ، وتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك الآية الجامعة في قوله تعالى :" قُلْ : ياأهلَ الكتابِ تَعالَوْاإلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم ، ألا نعبدَ الاّ اللهَ ، ولا نشركَ به شيئا ، ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ اللّهِ، فإنْ تولوا فقولُوا : اشهدُوا بأنّـا مُسْلِمُونَ " آل عمران / ٦٤ ، ولبى لفيف كبير منهم فعلا دعوة القرآن ،وانضوى تحت ظلال الإسلام ،وبقي أكثرهم على دينهم ،فعاملهم الإسلام معاملة خاصة ، وميزهم على المشركين من

(١) : المرجع السابق ،ص ١٣ .

(٢) : المرجع السابق ،ص ١٣ .

عبدة الأوثان والأصنام ، ومنحهم لقب " أهل الذمة " لأن المسلمين أعطوهم ذمة الله ورسوله ، وتعاهدوا معهم بالعيش بسلام وأمن في الوطن الواحد ، وتحت راية الدولة الاسلامية ، وتحددت العلاقة بعقد الذمة ، وعاشوا طوال التاريخ الإسلامي مع المسلمين ، وفي أرض المسلمين حتى اليوم (١) .

وحدة الأديان وتعدد الشرائع :

ولا بد من التنبيه هنا أن دعوة جميع الأديان السماوية ودعوة جميع الرسل والأنبياء واحدة ، وأنها متفقة في العقيدة أصولا وفروعا ، وأن الأنبياء والمرسلين منذ أول الأنبياء والبشر آدم ، إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد رسول الله ، كانوا يدعون إلى عبادة الله وحده واجتناب الطواغيت ، والاستسلام لله وحده ، وعدم الاشراك به ، والدخول في عبادته وطاعته ، والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره .

قال تعالى : " ولقد بَعَثْنا في كلِ أمةٍ رسولاً أنْ اعبدُوا اللَّـهَ" النحل / ٣٦ ، وقال تعالى : " إذ جاءتْهم الرسلُ من بين أيديهم ومن خلفِهم ألا تَعْبُدُوا إلاّ اللَّهَ " فصلت / ١٤ ، وقال تعالى : " إنِ الحكمُ إلا للهِ ، أمرَ ألا تَعْبدوا الاّ إيَّاه " يوسف / ٤٠ ، وقال عز وجل : " وقَضَى رُبك ألا تعْبدُوا إلا إيّاه " الاسراء / ٢٣ ، وقال تعالى : " آمن الرسولُ بما أُنزِلَ إليه منْ ربهِ ، والمؤمنونَ كلٌّ آمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ ، لا نفرقُ بين أحدٍ منْ رسلِهِ ، وقالُوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانَك ربَّنا وإليكَ المصيرُ » البقرة / ٢٨٥ .

ولكن هذه الديانات تختلف فيما بينها في الأحكام التشريعية

---

(١) : ألف العلامة ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) كتابا جامعا في بيان أحكام أهل الذمة وحقوقهم بعنوان " أحكام أهل الذمة" حققه الدكتور صبحي الصالح ، وطبعته جامعة دمشق سنة ١٩٦١م ، كما ألف الأستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان رسالة دكتوراه في هذا الموضوع ، بعنوان «أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام" ، طبعت في بغداد سنة / ١٩٦٣م .

التي أنزلها الله تعالى لتحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة ، وبما يصلح معاشهم ومعادهم ، ولما كانت المصالح تختلف من قوم إلى قوم ومن أمة إلى أمة ، ومن مجتمع إلى آخر ، ومن زمان إلى زمان ، ومن مكان إلى مكان ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يشرع للناس ما يناسبهم في ذلك ، فاختلفت الأحكام في بعض جوانبها ، وتعددت الشرائع السماوية ، وهذا ما يعرف بوحدة الأديان وتعدد الشرائع ، إلى أن نسخ الله تعالى جميع الشرائع السابقة بالإسلام ، وجعله الدين الخالد ، والشريعة الباقية إلى يوم الدين ، واختاره الله لعباده ، ورضيه لهم دينا ، لقوله تعالى :
" اليَوْمَ أكملتُ لكم دينَكم ، وأتممتُ عليكم نعمَتي ، ورَضِيتُ لكم الإسلامَ دِيناً "
المائدة / ٣ .

* * *

* **صعوبة البحث في تاريخ الأديان :**

تاريخ الأديان بحث شيق واسع يقتضي تكريس الجهد لوضعه الوضع الصالح ، والأديان كثيرة لا يمكن حصرها في بحث كبحثنا الموجز هنا . ولا في أوسع منه .

ولو كان هناك متسع من الوقت لأمكن البحث عن الديانات الابتدائية من طوطمية وغيرها . . . وعن الديانات التي تعبد فيها مظاهر الطبيعة والحيوانات والنباتات والجمادات ، لكنا سنقتصر في بحثنا هذا على الأديان التي تأخذ من معين متشابه . . . ، تلك هي الأديان التي تنظر إلى الاله على أنه رب مجرد عن الكائنات الحية والجمادات والظواهر الطبيعية ، وهذه الديانات هي : اليهودية وفكرة أخناتون والزرادشتية والمسيحية والبوذية ، والكونفشية ، وما يتبعها من الأديان .

قلنا إن البحث عن الديانات عامة صعب ، ونعود الآن فنقول : إنه صعب بصورة خاصة إذا أردنا أن نتناوله في ضوء الفكرة الإسلامية ، ويؤسفنا أن نقول : إن البحث عن الأديان لم يأخذ هذه الصفة حديثا . . . فكان لزاما علينا أن نوغل في البحث فيها إيغالا يجعلنا نتفهمها في ذلك الضوء ، وما بحثنا هذا إلا مقدمة وابتداء ، فيجب أن يستمر البحث ، وأن يوسع ، وأن يكون أدق وأحكم .

وسوف نبحث في هذا الباب الثاني الأديان الكتابية أو المنزلة ، وهما : الدين اليهودي ، والديانة النصرانية ، وذلك في فصلين :

=====

الفصل الأول

في

" الدين اليهودى "

الدين اليهودى أقدم دين من النوع الذى نريد أن نبحث فيه ، إذ هو أول دين جرد الإله عن الأوثان وظواهر الطبيعة ، ونؤكد على أنه في ذلك أول دين بالرغم من أن بعض الباحثين يقدمون عليه في الزمن أديانا أخرى ، ونحن نقول ذلك لأنه ينتمي إلى دين ابراهيم عليه السلام ، وابراهيم أتى في الزمن قبل غيره ، فقد مضى على زمنه مايقرب من أربعة آلاف سنة ، فهو اذن أقدم من " أخناتون " كما أنه أقدم من "زرادشت" وغيره . . .

ويعرض لبحثنا عن اليهودية صعوبات ، فاليهودية كما نعلم أوحيت إلى أنبياء بني اسرائيل ديانة توحيدية ، غير أن اليهود أنفسهم لم يكونوا في كل عصورهم موحدين ولم يأخذوا بالتوحيد دوما ، ومن هنا يبدو بعض الالتباس .

ثم إن اليهودية في تطورها مع الأنبياء ديانة فيها ناسخ ومنسوخ ، أو فيها أشياء جديدة تضم إلى القديم ، لكن اليهود لا يعترفون بالناسخ والمنسوخ ولا يعترفون بالضم .

وعرض تدرج الديانة اليهودية خلال التاريخ صعب وشاق لأننا لا نتبين كل التبين مراحل التاريخ بوضوح ، وليس عندنا في الأبحاث التي كتبها أهل الملل والنحل فكرة واضحة عن تاريخ اليهودية ، وعلينا في معظم الأحيان أن نرجع إلى علماء الأديان المقارنة الذين ينظرون إلى الأديان لا على أنها سماوية موحى بها من الله سبحانه وتعالى ، بل من صنع البشر ، هذا وأقوالهم مبنية على الشك والريبة ووجوه الاحتمال ،

فليست إذا علمية صرفة ، على أننا ينبغي أن نستفيد من الأشياء الثابتة التي أظهرها التاريخ في اكتشافاته وحفرياته ،وبكل ذلك ينفتح أمامنا باب السؤال كبيرا ،والصعوبات تترى في ذلك.

ولكي يكون البحث واضحا لا بد لنا من ذكر جانب من تاريخ اليهود في تطوراته السياسية والاجتماعية ،ثم عرض الكتب المقدسة التي يعتمدون عليها ، ثم ذكر أنبيائهم ، مبتدئين بابراهيم عليه السلام فموسى عليه السلام فالآخرين ،ونذكر خلال ذلك عقيدتهم وما آلت إليه فكرتهم عن اليوم الآخر، ثم نشرح عادات اليهود وشرعهم ،ثم نعرض لفرقهم والإصلاح الذي تناوله بعض مصلحيهم في القرن الثامن عشر .

(١)- التاريخ اليهودي :

ينسب اليهود أنفسهم إلى " اسرائيل " فيقولون عن أنفسهم : إنهم اسرائيليون ، واسرائيل هو " يعقوب " بن " اسحق " بن " ابراهيم " فليعقوب إذاً اسمان هما : " اسرائيل " ويعقوب ، ويقال للاسرائيليين أيضا " يهود " و " عبريون" فابراهيم على هذا هو جد اليهود ، وفي الوقت نفسه جد العرب المستعربة " اسماعيل بن ابراهيم ،وابراهيم عليه السلام هو ابن"تارة" ، وكان أبوه يسكن " قور " من كلدان ، ثم انتقل وابنه الى " حران" فأقاما فيها ، وهناك عرف ابراهيم ربه ، وتلقى منه كلمات ،ووعدا لشعبه بالأرض المقدسة ،فسر لهذا الوعد وترك حران . . . ثم إن قسما من اليهود استقروا في "غوش" شمال شرقي مصر ،وانتشروا فيها ومضى عليهم الزمن فاضطهدهم " رعمسيس الثاني " كثيرا حتى قادهم موسى إلى خارج مصر إلى الأرض الموعودة . ثم إن الله تعالى ألقى بكلماته إلى موسى عليه السلام في طور سيناء فأتى بها قومه . . . . لكن قسما منهم لم يتعظ بها وخالفها وامتد بهم التيه عددا كبيرا من السنين . . . ثم إنهم وجدوا

أنفسهم في حالة يستطيعون بها الهجوم على " كنعان " التي كانت تحتل مانعرفه اليوم بأرض " فلسطين " وفتحوها واستقروا فيها . . . ، إلا أنهم حاربوا عند ذلك عدوا لدودا ،حاربوا الفلسطينيين مدة طويلة . . . ، وأرادوا أن يكون عليهم ملك يقودهم ، فأصبح ملكهم " شارل " وحارب الفلسطينيين وأفلح في أول الأمر ،لكنه عاد فهزم أمامهم واستولى على الحكم مكانه " داوود " فحارب الفلسطينيين حربا موفقة ،وقتل داوود جالوت، وحكم اليهود ، ثم خلفه ابنه سليمان ، وتوسع الملك في عهد سليمان توسعا كبيرا ،وكثرت الأموال ،وبنى " سليمان " الهيكل . . . وبعد أن توفي سليمان أصاب الوهن اسرائيل ،فانقسمت قسمين ،قسم في الشمال وقسم في الجنوب، أما دولة الشمال فسميت (دولة اسرائيل) ،وأما دولة الجنوب فسميت (دولة جودا) وكانت دولة الجنوب أقوى من دولة الشمال . . . واستمر القتال بين الدولتين خلال قرنين من الزمن ،وفي عام (٧٢٢) ق م افتتحت جودا دولة اسرائيل ،ودخلوا عاصمتها ،ونفي أكثر أهلها ، وحصل توحيد بين المملكتين غير أن جودا مالبثت أن وقعت تحت نير " الآشوريين " ثم " المصريين " وهدم " البابليون " هيكل سليمان العظيم ،وفر الشعب اليهودي من أرضه ،ولم يعد الاسرائيليون اليها إلا في عهد " سيروس " وأصبحوا أقوياء في عهد اليونان على أن القدس هدمت عام / ٧٠ /م .

ومن ذلك التاريخ بدأ الربانيون يبحثون ويدرسون ويضعون قواعد الديانة ، وتشتت اليهود بعد ذلك ،ففر قسم منهم إلى غرب أوربا ،واستقروا فيها وازدهر شأنهم ، وأخذوا بالبحث والفلسفة ، ولقوا في أسبانيا في عهد المسلمين خاصة في القرن (٩ — ١٢) حرية وتسامحا شديدا فتقدمت الدراسة عندهم ، ولما بدأت الحروب الصليبية ، لقي اليهود اضطهادا شديدا في جميع أنحاء العالم الغربي لاسيما في أسبانيا بعد أن انتقلت إلى المسيحيين ،فقتل من اليهود في القرن الخامس عشر مائة ألف شخص،

وطرد اليهود من انكلترا عام (١٢٩٠) ومن فرنسا واسبانيا والبرتغال ، وفرضت القوانين القاسية عليهم ، فهم لا يستطيعون أن يملكوا الارض" ومنعوا من ممارسة بعض الحرف الحرة ، فاضطروا الى الأخذ بمهن لا قيمة لها ، وعاشوا بالذل والحرمان وكان الذين ينفون يلجوءون إلى المملكة الاسلامية التركية ، ولجأ قسم منهم إلى " بولندا " كما هرب اليهود الألمان إلى بولندا ، فقاسوا فيها أشد الويلات ، واضطهدوا أنى حلّوا إلا في البلاد الاسلامية ، على أن أفكار الثورة الفرنسية والثورة الامريكية عززت موقفهم ، وأعادت إليهم بعض حريتهم ، فعادوا يعملون ، واستفادوا من النظام الرأسمالي ، فقوى أمرهم أما في روسيا فإنهم لم ينالوا حقهم إلا في ثورة (١٩١٧) على أنهم ظلوا فيها غير قادرين على ممارسة شعائر دينهم حق الممارسة ، وأسس السوفييت الروس لليهود دولة يهودية في " بيروبد زان" وأدى تحرر اليهود إلى حركتين مختلفتين نزعة صهيونية ونزعة اصلاحية ، وتحاربت النزعتان ، إحداهما مع الأخرى ، ولما كان عهد هتلر اضطهد اليهود وضيق عليهم الخناق ، ويقال أنهم في أثناء الحرب العالمية الثانية قتل منها شنقا واعداما وذبحا من خمسة ملايين نسمة إلى ستة ملايين ، وأما عددهم اليوم فيقدر بعد القتل بما يقرب من / ١٢ / مليون شخصا ويظهر من هذا البحث أن اليهود اضطهدوا في أنحاء العالم إلا في بلاد المسلمين ، فقد رأوا فيها الحرية والسلام . . . هذه البلاد التي عاملتهم بالاحسان هي البلاد التي وجهوا سهامهم عليها ، فاستولوا على بعض أراضيها " فلسطين " ومثلوا بأهليها قتلا وسفكا وانتهاكا ، فكانوا أسوأ مثل لنكران الجميل .

٢) ـ الكتب المقدسة لليهود أو " العهد القديم" :

قبل أن ندخل في البحث عن اليهود ينبغي أن نأخذ فكرة من الكتب المقدسة التي يتخذها اليهود ، وأن نعرف كيف جمعت هذه الكتب المقدسة وما هي أجزاؤها وموضوعاتها فيمكن دراستها من حيث العقيدة ،

والعبادة والأخلاق ودراسة علمية ، فعقيدة اليهود وتاريخهم ورسالة أنبيائهم تظهر واضحة في الكتب المقدسة ، والكتب المقدسة حتى يومنا هذا معين فياض للبحث عن الديانة اليهودية وتاريخها ، وهي مصدر أول في ذلك ، وتكاد تكون أعظم المصادر وأوسعها .

والكتب المقدسة عند اليهود جمعت مع الأناجيل ، فكونت ما يسميه المسيحيون بالكتاب المقدس BiBLe ، فالكتاب المقدس اذن قسمان :

١ـ العهد القديم ٢ـ والعهد الجديد

والعهد القديم هو الذي يهمنا في بحثنا عن الديانة اليهودية لأن فيه مجموع كتبهم المقدسة ، وهذا العهد القديم ليس بين أيدينا نسخة منه ترجع إلى المصادر الأولى التي أخذ منها ، فلا شيء من عهد موسى عليه السلام ولا شيء من عهد الأنبياء الآخرين لليهود إنما جمع العهد القديم في أوقات متأخرة عن عهدهم ، وجمع جمعا مختلفا وبين أيدينا اليوم ثلاث نسخ منه مأخوذا بها عند اليهود والنصارى وهي نسخ تختلف الواحدة عن الاخرى .

ـ النسخة الأولى : تسمى (السبتاجنت) وهي ترجمة يونانية نقلت من اللغة العبرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي تتضمن الشرع اليهودي بصفة خاصة دون تاريخ اليهود وكانت هذه النسخة تقرأ في الكنائس القديمة في العصور النصرانية الأولى . النسخة الثانية هي (الماسورة) جمعت في القرن الأول الميلادي وتتضمن هذه النسخة نص العهد القديم بكامله باللغة العبرية ، وتختلف هذه النسخة عن الأولى (سبتاجنت) كل الاختلاف في ترتيبها وفي نصوصها ، وهذه النسخة هي المعترف بها عند اليهود والمعترف بها عند البروتستانت من النصارى .

ـ النسخة الثالثة : (الفولكات) وقد جمع هذه النسخة (سان جيروم) جمعها باللغة اللاتينية وهي تختلف عن الماسورة كل الاختلاق وتقارب بعض المقارنة النسخة الأولى .

التي تأخذ بها الكنيسة المسيحية من غير البروتستانت ،أما البروتستانت فعدوها منحولة وجعلوها ذيلا للماسورة ،وسموها بالعهد المنحول .

هذه النسخ الثلاث من العهد القديم تختلف كما رأينا في نصها وفي تركيبها وفي أقسامها ، وسنبحث الآن بهذا الترتيب وأقسامه ،وسنأخذ فيه بما يقول اليهود التقليديون .

ينقسم العهد القديم الى ثلاثة أقسام :

١- التوراة ٢- أسفار الأنبياء ٣- الكتابات .

١- التوراة : وهي تنقسم إلى خمسة أسفار ،وفي هذه الاسفار تاريخ اليهود وشريعتهم المنزلة ، والقرآن الكريم يشير إلى التوراة كثيرا ،ويقصد بها هذه الاسفار الخمسة على الأخص وقليلا من غيرها ، أما الاسفار الخمسة فهي كما يلي:

آ- سفر التكوين :

وفيه تاريخ بدء الخليقة وتاريخ العالم حتى عهد النبي " يوسف عليه السلام " وهو سفر تاريخي فيه عبر وأقاصيص .

ب - سفر التيه :

(اكسوديوس) وفيه تاريخ اليهود من خروجهم من مصر حتى اليوم الذين لقنهم فيه موسى شريعته وفي هذا السفر مختصر الشريعة ، وبيانها الموجز العام .

جـ - سفر التوابين أو اللاويين :

وهذا السفر يحوى على وجه الاجمال والتقريب العبادات والأخلاق والنكاح وماشابه ذلك من شرع اليهود .

د - سفر الاعداد :

وفي هذا السفر سرد لتجول اسرائيل في الصحراء ، وغزوهم كنعان ، وتقسيم الأراضي بينهم وتعدادهم .

هـ - سفر تثنية الاشتراع :

عرض تاريخي سريع ،ونصائح أخلاقية ،وتشريعات خاصة ،وتبريك

موسى لقومه ثم وفاته .

٢- أسفار الأنبياء :

وأسفار الانبياء أقل قدسية من التوراة عند اليهود وهي تتضمن أسفار أنبيائهم مثل أسفار (يشوع - والقضاة - والملوك - وراعون - وصمويل...) وعددها ثمانية أسفار .

٣- الكتابات :

والكتابات هي نصوص مختلفة الاتجاه في شكلها ، وأهمها الزبور وغير ذلك من الآثار .

ويجب أن نضيف إلى هذه الاقسام الثلاثة التي تكون العهد القديم قسما آخر هو " التلمود " ويعتبر اليهود التلمود الشرع الشفهي الذى جمع فيما بعد وأضيفت إليه شروح الربانيين وأعمالهم وأقوالهم وتحليلاتهم للكتاب المقدس، واليهود الأرثوذكس يعتمدون هذا القسم، ويعتبرونه عندهم كتابا مقدسا .

٣- الأنبياء :

نتكلم هنا عن أنبياء اسرائيل خاصة ، لكنا نقدم لذلك بحثا عن نبي لم يكن يهوديا وإنما كان حنيفا وهو (ابراهيم عليه السلام) .

١)- ابراهيم :

كانت فكرة مؤرخي الأديان العلمية - أى غير الدينية أن شخصية ابراهيم عليه السلام خيالية لا يؤيدها التاريخ ، غير أن هذا الرأي الذى يخالف فكرة الأديان السماوية رأي تبين أنه غير صحيح ، نتيجة لدراسة عالم كبير يسير على نفس الطريقة العلمية اللادينية ، وهو العالم ليونارد وولي.

تبين له ذلك وهو يدرس التاريخ في أرض الجزيرة - شمال شرقي سورية - وقد عرفها و عرف وضع الكلدانيين ، واستمر عددا من السنين يحقق ويتبع ، فاهتدى أخيراً إلى أن شخصية ابراهيم هي شخصية حقيقية ونشر ما انتهى اليه بحثه عام ١٩٣٦ في كتاب اسماه : اكتشافات تاريخ ابراهيم والدين اليهودى" .

واننا نتبع بحثه في ذلك مع بعض الاستطراد والشرح فنقول : كــان أهل بابل يعتقدون بمظاهر الطبيعة ، ويؤمنون خاصة بالــه يسمونه ننّــار، وهو إله القمر ، وكانت عبادة الأوثان منتشرة في الهلال الخصيب ، تلك العبادة التي تجعل الرب صفة مادية ، فهو يتمثل بمظهر من مظاهرالطبيعة ، أو وثن من الأوثان . هذه العبادة كانت منتشرة حينما كان أبو ابراهيم وابراهيم في " قور " ، وحينما انتقل إلى " حران " ويقول " وولي " إنهما لعلهما هناك كانا يؤمنان بالاله "ننّــار" وحدث في عهدهما حوادث غيرت الآراء ، وجعلت نفس ابراهيم تمجّ عبادة الأوثان، ذلك أن الكلدانيين هزموا في حروبهم ، وكانوا في حالة سيئة ، وهزمت آلهتهم التي يؤمنون بها . . . فنظر ابراهيم فوجــد أن آلهته غير قادرة على أمرها ، فنبذها وصار يبحث عن إله يوفي حق الفكـــرة السامية التي يجدر أن تنسب للاله فسمع صوت الوحي ، فأوحى إليه بوجـــود الاله الواحد الأحد ، ويشرح لنا وولي تصور ابراهيم للاله الجديد ، فــإذا بتلك الفكرة تعطينا ثلاث صفات جديده لله هي :

١- أن (يهوا) أي الله – إله مجرد لا تمثيل مادي له ، فليس حجـــرا ولا حيوانا ولا مظهرا من مظاهر الطبيعة ، إنما هو منزه عن المادة ممثل في الأذهان ، وهو خالق يخلق بكلمه منه ، فيقول للشيء كن فيكون ، وهو يتصرف بمخلوقاته كيف يشاء .

٢- إنه إله عدل وخير ، فهو حريص على مصلحة ابراهيم ، وهو حريــص على الخير كله إذ هو يحضّ عليه ويدعو إليه والى فعله .

٣- إنه يعطي للإنسان فرديته وشخصيته ، فلا يفعل كالأرباب الذيــن يهتمون بصورة خاصة بالقبيلة نفسها دون أفرادها والذين يهتمون بحوادثها جميعها وأفرادها جميعهم دون شخص معين ، إنه إلــه ابراهيم واسحق ويعقوب وابراهيم خليل " يهوا " .

وكذلك تظهر الشخصية الانسانية منفردة عن القبيلة ، لها قيمتها

الخاصة كما ظهرت شخصية الاله منفردة عن المادة ومظاهر الطبيعة.

هذه الصفات الثلاث هي أهم تقدم للبشرية ، فقد دخلت الإنسانية في صراط جديد هو صراط التجريد والخير والشخصية الفردية.

ووعد "يهوا" ابراهيم أن يعطي أولاده أرض كنعان ، فهي "أرض الميعاد" وتقول التوراة التي بين أيدينا ويقول/ وللو أن ابراهيم وضع عادة الختان ، وميز بهذه العادة اتباعه عن غيرهم .

٢)- موسى : ومضى زمن اليهود بعد أن نزل الوحي على ابراهيم فلم يعودوا يدركون ما كان يقرره لهم ابراهيم عن يهوا ، إنهم عرفوا اسم يهوا وعرفوا أنه اله ، لكنهم كانوا يعتقدون أنه اله "اسرائيل" كما يؤمن غيرهم بأربابهم وكانوا يعتقدون أيضا أن الإلهة الأخرى موجودة ولها قوتها إلا أن يهوا هو اله اسرائيل ، يساعدها ويقويها وجاء موسى عليه السلام بشرعه وهو قائد كبير يستطيع أن يقود الناس وراءه بقوة وحكمة ومعرفة ، وخرج ببني اسرائيل من مصر ، وكان "رعمسيس الثاني" يضطهدهم كثيرا ، ثم إنه تلقى وحيه في طور سيناء على نار العوسج ، وعاد "بألواحه" وفيها قانون شرعه ، وهو قانون يحوي الفكرة الخالصة عن الله ، وعن القانون الجزائي وعن الشرع التعبدي ومادة ذلك نجدها في السفرين الثاني والثالث من العهد القديم ، وكان هذا الشرع الديانة اليهودية بالإضافة إلى شرع ابراهيم عليه السلام.

٣)- الأنبياء الآخرون : ولم يأخذ اليهود جميعا بفكرة موسى ، ولم يفهموها كلهم حق فهمها ، بل إن منهم من خرج عليها ، ومنهم من اعتقد الآلهة الآخرين للأمم الأخرى أربابا ولا ريب أن اليهود كانوا يعتقدون أن يهوا إلههم وأنه قادر على كل شيء ، ولكن قسما كبيرا منهم يعتقد أن الآلهة الآخرين للشعوب الأخرى آلهة ، فكانوا يخشون هذه الآلهة ويطلبون العون من إلههم يهوا أمامها ، ويتلقون إشاراته عن طريق الأحلام وغير ذلك .

وأصيبوا في تاريخهم بما رأيناه من ذي قبل ، فتفرقوا دولتين شمالية وجنوبية ووقعت الحرب بين الدولتين ، وكان الأنبياء يظهرون بين الآونة والأخرى في هذا الشعب المضطرب فينصحونه ويوبخونه ، ويعدونه ويتوعدونه وكانوا يصبون لعنا تهم على الأغنياء والظالمين والملوك، وما زالوا بهم حتى بثوا في أذهانهم أن الله واحد أحد ، وأن الارباب الاخرى ليسوا آلهة ، ولا قيمة لهم ، وأن الله هو الذى خلق الكون بأجمعه ، وأنه هو الذي يتحكم فيه ، ووضعوا لهم بعض القواعد والشروح للألواح ، فتوسعت الديانة وأخذت شكلا موسعا موضحا .

٤)ـ الربانيون : ويقول أبو الفدا ، وينقل عنه ذلك القلقشندي " إنه ليس في التوراة فكرة اليوم الآخر والمعاد " ويؤيد الباحثون الأجانب ذلك ، غير أنهم يضيفون أن اليهود كانوا يعتقدون بوجود الروح ، وهي ثانية الجسد وتدخل فيه فيحيا وتخرج منه فيموت ويجعلون للأرواح وجودا خاصا ، فالأرواح تجتمع في مكان يدعى " شئيول " وتبقى فيه عائشة ، ويقدم لها اليهود القرابين ، ويخشون شرها ، ويقومون بتعويذاتهم خوفا منها ،

على أنهم يعتقدون أن الانسان يجزى في هذه الدنيا عما عمل إن خيرا فخيرا وان شرا فشرا وقد يكون بين الناس من يفعل الخير لكنه يجزى بالشر ، وتفسيره عندهم أنه مسؤول عن أعمال غيره فيجزى بالشر الذى فعلته قبيلته والانسان ابن شعبه ، وهو مسؤول عما يفعله غيره . . .

ولما تقدم بهم التاريخ وأصابتهم النكبات وجدوا أن العدل لا يتم في هذا العالم ، وأن كثيرا من ذوى الشر يتمتعون سعيدين ، فقام منهم الربانيون فشرعوا يفكرون في الأمر ، ونظروا في الأرواح فقالوا: أنها ستبقى جزاءها ، وهكذا قال الربانيون بيوم آخر تجزىء فيه الأرواح ، وهو يوم الميعاد ، على أن جميع اليهود لم يقولوا بهذه الفكرة ، فمنهم (السديسيون) لم يأخذوا بهذه الفكرة ، وظلوا يعتقدون أنه لا معاد ، واستمر الربانيون

يفسرون التوراة ويشرحونها ، ويفصلون الاحكام التي ليست فيها ، ومجموع أبحاثهم وكتاباتهم نجدها في " التلمود " وفيه أحدث شريعة لليهود .

٤)ـ الشريعة اليهودية : تبين معنا في البحث بعض هذه الشريعة اليهودية فقد شرحنا فكرة الاله ـ والمعاد ـ والوعد بأرض كنعان والختان ، ونضيف إلى ذلك أن اليهود آمنوا بأنه سيأتي " المشيخة " يعني المسيح عليه السلام لينقذهم مما هم عليه من السوء والشر ، ويجعل العدل والسلام والمحبة والامن تسود العالم .

ومن شريعة اليهود النهي عن أكل لحم الخنزير أو لمسه أو لمس جلده وأكبر أعيادهم هو عيد الفصح ويقع في ١٤ / نيسان ـ أي نيسانهم ـ يعني أواخر آذار ، ويمتد إلى نيسان ، ويستمر سبعة أيام ، يمتنعون فيه عن أكل الخبز الذي تدخله الخميرة ، يحتفلون بهذا العيد لخروجهم من مصر ، وكأنهم يريدون باحتفالهم هذا أن يبدأوا عاما جديدا ، ولا يصح لهم أن يستعملوا أواني المطبخ التي استعملوها في العام السابق ، وهم يحتفلون أيضا بيوم السبت ، وهو عندهم اليوم السابع من الخلق ، استراح فيه الرب بعد خلقه للعوالم على ما يقولون ، فهم يتوقفون فيه عن العمل ويقومون فيه بالعبادات لكنهم ليس لزاما عليهم أن يؤدوا تلك العبادات في الكنيس الذي حل محل الهيكل القديم بل يؤدون قسما كبيرا منها في بيوتهم .

٥)ـ فرقهم : ولليهود فرق عديدة في السابق ، وفي يوم الناس هذا نجتزئ منها بذكر ثلاث تمثل مجموعهم ، فقد قام فيلسوف ألماني يهودي اسمه (موسى مندلزون) فقال بأن اليهود يجب أن يتمثلوا ثقافيا بالشعب الذي يعيشون بينه وأن يعتبروا أنفسهم من ذلك الشعب مواطنين كبقية المواطنين ، إن هذه النظرية تقتضي التخلي عن كثير من عقائد اليهود ، ونظرتهم إلى الحياة والعمل فيها .

وبيان ذلك فيما يلي :

أولا :ـ أن اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار الذى ارتبط بعهد
متين مع الله ، فعليه أن يقوم العهد ـ فقد عاهد الله أن يطيع
أوامره وأن يتحمل مصائب الدهر ليكون شعبه المختار . وهو
بتحمله المصائب يغسل خطاياه ويستحق ذلك الاختيار أما
مندلزون فيدعوه الى أن يختلط بالشعوب الاخرى وأن يصبح منها
وفيها ، فهو يدعوه اذن الى أن يتخلى عن فكرة الشعب المختار .

ثانيا :ـ ان الحياة العادية بين الشعوب الاخرى على طريقتها تقتضي
من اليهود أن يتخلوا عن مبدأ السبت وأن يعملوا فيه وأن
يعيشوا كغيرهم .

ثالثا :ـ ان انصهار اليهود في الشعوب الاخرى يبعدهم حتما عن فكرة
العودة الى الارض الموعودة فانهاتصبح لهم أرض وطن يقيمون
فيها وينتمون إليها وهذا خلاف مايدعون من أنهم سيعودون الى
موطنهم الاول .

لقد اضطر مندلزون واتباعه بأن يتخلوا عن فكرة الشعب المختار
وعن السبت وعن الأرض الموعودة . بل أصبح الدين عندهم نوعا
مبهما من التوحيد والايمان بالله .

ولا ريب أن اليهود الآخرون تصدوا لهم وبدأ العراك بين الطرفين
وانتهى الأمر بأن أصبح المتعلقون بالدين القديم يسمون الارثوذوكس ،
والفرق الاخرى تسمى اللاارثوذوكس انقسمت قسمين فقسم منها لا يأخذون
بكثير من التقاليد القديمة فهم يقرؤون التوراة باللغات المترجمة ويأكلون
لحم الخنزير ولا يعطلون يوم السبت بل الأحد ، وهم يدعون بالفرقة
المصلحة ، ومن هذه الفرقة عدد كبير في أميركا وألمانيا .

والقسم الآخر يشكلون الفرقة المحافظة وهي لا تأكل لحم الخنزير
ولا تعمل يوم السبت وإن كانت تحاول أن تبدو متمثلة بالشعب الذى تعيش
فيه .

٦)ــ الصهيونية:وأهم حادثة في تاريخ اليهود اليهود في العصر الحديث
هوقيام فكرة الصهيونية اى اعادة تكوين الوطن اليهودى . وصهيون
قطعة من مدينة القدس حددت في العهد القديم على أنها مدينة
داوود، والصيونية ليست حركة دينية بل هي حركة قومية وهي
لا تأخذ بالاصول العقائدية للديانة اليهودية كفكرة العهد بين
الله واليهود وفكرةالشعب المختار ووجوب تحمل المصائب والسمع
والطاعة للشرع . ولا ريب أن اليهود المتمسكين بشرعهم يقاومون
فكرة الصهيونية كل المقاومة ويعتقدون أن وجوداسرائيل هو/سُبّة في جبين
اليهود ،لكن هوءلاء أقلية ومعظم اليهود ميالون الى كيان اسرائيل
وان لم يكونوا صهاينة كلهم .

وفكرة دولة اسرائيل تقوم على أساس متناقض كل التناقض من وجهة النظر اليهودية المحضة، ولننقل هنا كلمة لأحد أساتذة الجامعة العربية بالقدس وهو فيريلروسكي ،اذ يقول ماترجمته :

ان السر الغامض لاسرائيل يظهر الآن كاملا . فاسرائيل اسم الدولة والاقلية الدينية .

ان اسرائيل في العالم (وبعيدة) منه في الوقت نفسه ان اسرائيل قومية ودولية معا . ويظهر سرتناقض اليهودية في كونها عالمية وخاصة (بشعب معين) يظهر الآن بشكل جديد فهنالك دولة يهودية يجب أن تحوي المسلمين والمسيحيين وغيرهم كمواطنين اسرائيليين ثم هنالك (في بلاد العالم) أقلية دينية من اسرائيليين تضم مواطنين مخلصين لفرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة .

حقا إن اسرائيل دولة قائمة على أصول متناقضة ،ولا يمكن أن تقوم أو تستمر في الحياة،وأساتذتها يعترفون بتناقض وضعها ولا يخفونه .

xxxxxxxxxxxxxxx

الفصل الثانـــي

فــي :

" النصرانيـــــــــــة "

النصرانية دين تطور مع الزمن تطورا كبيرا في عقائده وأفكاره وعباداته وطقوسه ،وهو دين المسيح عليه السلام ، لكنه لم يقتصر على التعاليم التـي أتى بها المسيح عليه السلام بل تعداها إلى غيرها ،فكون من ذلك مجموعة كبيرة من العقائد والطقوس ،وسنرى أن السبب في هذا التطور والمســـاعد عليه والوصول له هو بالدرجة الأولى فكرة الكنيسة ،ومع الكنيسة فكرة روح القدس.

وإذا أردنا في بحثنا عن النصرانية أن نكون واضحين في عـــــرض المذاهب واضحين في عرض التاريخ ،رأينا أن عرض المذاهب وعرض التاريـــخ يتفقان كل الاتفاق فيها لو اتخذنا العرض التاريخي أساسا فأدخلنا فيــه عرض المذاهب ذلك أن المذاهب كما قلنا ليست واحدة وجدت في عصر واحد واستقت من معين واحد بل كان هنالك تطور يتأثر المذهب به فيأخـــذ شكلا دون شكل تبعا لذلك التطور ، واذن فسنعرض النصرانية على أساس تاريخها على أن ندمج في التاريخ العقائد والمذاهب العامة .

* حياة المسيح :

ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم عام أربعة قبل الميلاد ،وهذا هو التاريخ الذي اتفق عليه المؤرخون بالرغم من التاريخ الميلادي المعروف والمسيح كلمة من الله وروح منه ، أما شخصيته ، فشخصية جذابة ســاحرة ذات مغناطيسية على حد تعبيرنا اليوم ـ هائلةـ فائقةـ تؤثر في مستمعيه تأثيرا قويا ،فتنفذ إلى أعماق قلوبهم .

وكان يتكلم كما يتكلم الشعراء ، لكن دون اتخاذ الوزن والقافيـــة ، يستعمل الاستعارات والتشابيه ،ويطلق الخيال لنفسه ،فيمثل الأشياء للناس

بطريقة فصيحة بينة ، والصور الاستعارية المبثوثة خلال الأناجيل والمنقولة عنه صور فنية رائعة ،كان يؤثر في الناس بها إلى جانب أثر شخصه وقوته . وكان يبرئ الأكمه ويشفي المرضى من أمراضهم ،وكان يحيي الموتى بإذن الله تعالى .

وليس غريبا بعد ذلك أن يجتمع حوله عدد كبير من الناس ،وأن يتخذوه إماما ، وشرع ينشر بدينه ، وله من العمر ما يقارب الثلاثين عاما أو يفوق ،يبشر في الطرقات فيتكلم مع الناس ويجيب عن أسئلتهم ،وشرع يدخل الكنيس فيعترض المصلين فيه ويحدثهم ويستمع إليهم ويستمعون إليه : يتكلم اليهم بتلك الصور الاستعارية التي تنبههم إلى ما في نفوسهم وإلى واجبهم . وتحمل ثقلهم واصطبر عليهم ووعظهم بالتي هي أحسن ثم ترك الخليل وانتقل إلى القدس فدخلها على حمار والحواريون أصحابه وهم اثنا عشر يحيطون به ،فاجتمع الناس عليه زرافات ووحدانا ، وكانوا قد سمعوا بمعجزاته ، والتفوا حوله يستمعون إليه ، فماذا كان يقول لهم ، وماهي رسالته ؟ يمكن أن نلخص رسائله بمسائل ثلاث :

المسألة الأولى : أنه كان يؤمن بالتوراة وأتى مصدقا لما بين يديه من التوراة ،فهو اذن لا يرمي إلى تأسيس دين ينقض الذي قبله بل يصدقه ويتممه على أنه لم يكن يأخذ من الكتاب المقدس القديم بما ظنه الناس وأخذوا به مما يشير إلى ضيق في الفكر وعدم تعمق في الفهم ، فقد كان ينفر من الايمان بما يخالف الفكرة الدينية الأصيلة ، فكان إذا ذكر السبت قال: إن السبت خلق للناس ولم يخلق الناس للسبت ، وكان اليهود كما تعلمون متمسكين بالسبت وبحرمانية العمل فيه تمسكا أعمى حتى لقد امتنعوا يوما عن محاربة " انطونيوش الرابع " وتركوه

يدخل مدينتهم يوم السبت لئلا يمسوا السلاح في ذلك اليوم كان المسيح عليه السلام يأخذ بالكتاب المقدس، ولكنه يعلم الناس التبصر بما فيه ويمنعهم عن التوغل فيما يخالفه .

المسألة الثانية : أنه كان يقول : إن الله أب للناس جميعا يحبهم كلهم بمقدار متساو ، وهذا الرأي هو أساس من أسس الدين الذي أتى به ،أساس يختلف كل الاختلاف عما كان يراه اليهود قبله ، فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن الله الاههم بصفة خاصة قبل أن يكون إله غيرهم، أما المسيح فبين لهم أن الله إله الناس جميعا ، وانه ليس الها لليهود وحدهم وان دينه دين عام للبشر لا لفئة من خاصة من البشر . وبيّن المسيح لأتباعه أنه لا تمييز بين الناس ، فلا درجات ولا طبقات : كلهم متساوون عند الله، والله يقصد خيرهم جميعا ولا يفضل أحدا منهم على أحد ، إلا بمقدار خدمتهم للناس والقيام بما فيه خير البشر ، والسعي في سبيلهم . وليس من عائلة مقربة في دين المسيح وليس من أخوة ذوي نسب مقربين ، فلا نسب ولا قرابة .

كان المسيح عليه السلام يبغي أن يصهر العالم في بوتقة واحدة ، وأن يعطيهم دينا واحدا ، وأن يجعل حبهم للدين وعملهم في خدمة الانسانية مقياسا لمحبة الله لهم .

المسألة الثالثة : هي تبشيره بمجيء ملكوت الله ، وفهم اليهود من هذه الدعوة أن هنالك ملكا وعرشا ، اما هو فقد كان يقصد

بملكوت الله السلام والصفاء التام ورفع الاختلاف بين
الناس . ذلك ملكوت الله وذلك عهده الى الناس ، انما
ينبغي من الناس أن يسود السلام بينهم ، وأن يحب
بعضهم بعضا ، وأن يتولى الصفاء قلوبهم . والسعي
لملكوت السماوات إنما هو السعي لهذا الصفاء والسلام
والوئام والحب . والتقرب من ملكوت السماء إنما هو فعل
الخيرات والحض عليها . بل سئل المسيح يوما عن دفع
الضريبة لقيصر ، فقال أعطوني دينارا ، فأعطوه دينارا
فنظر فيه فرأى صورة قيصر ، فقال ردوا مال قيصر لقيصر ،
فهو يرى أن يدفع كل إنسان حق غيره . وهو لا يرى بين
الناس اختلافا .

هذا مختصر ما يقال عن تعاليم المسيح عليه السلام . والأناجيل الأربعة تعطينا فكرة واسعة عن ذلك لا تتجاوز في مجملها هذه التعاليم ، ولا تتعداها إلى سواها ، مما وجد بعد ذلك واندمج في العقيدة المسيحية .

تلك إذن كانت تعاليم المسيح عليه السلام ، على أن المسيح خالف اتجاها واضحا كان في عصره ، ذلك هو اتجاه اليهود أنفسهم ، فقد كان اليهود في حالة ضنك شديد ، قبل ظهوره قد تلقوا المصائب من نفي وقتل وتشريد وتعذيب ، وكان الشعب اليهودي قد تشتت في أنحاء العالم ، واعتقد اليهود أنه سيأتي منقذ لهم ، وان هذا المنقذ سيعيد لهم دولتهم وملكهم ، وسيجعل القدس عاصمة العالم ، وسيعطي الشعب اليهودي المكانة الأولى بين شعوب العالم . وكان هنالك اتجاهان واضحان ، أحدهما اتجاه الفريسيين ، وهم فرقة من الفرق المتمسكة بكيان الديانة اليهودية تمسكا شديدا أعمى ، وهم الذين تركوا " انطيوخ الرابع" يدخل القدس ، لأن عليهم أن لا يحاربوا يوم السبت ، وكانوا لا يفهمون من

التوراة إلا ظاهرها ، يتحذلقون في فهمها الظاهر والاتجاه الثاني اتجاه السديسيين ، وهؤلاء فرقة متساهلة لم تكن تنظر إلى أن اليهود أمة قائمة بذاتها ، وأن الدين لها وحدها : بل اختلطوا باليونان ونشروا دينهم بينهم ، وتقبلوا منهم لغتهم ، وترجموا الكتاب المقدس إليها . هذان الاتجاهان كان يخالفهما اتجاه عام ، هو كما قلنا الاعتقاد بأن هنالك منقذا سينقذ اليهود مما وقعوا فيه ، وكانت الثورات والقلاقل لا تزال تترى فاليهود المتحمسون يقومون بالعصيان على روما .

كان الجو مثقلا إذا ، وكان انتظار المسيح قويا في النفوس ، حتى إذا ظهر المسيح التف الناس حوله . على أن اليهود لم يجدوا في أقوال المسيح ما يوافق رأيهم السابق ، فهو لم يكن يدعو إلى مملكة اسرائيل ، ولم يكن يقول إن اسرائيل شعب الله المختار ، بل تنبأ بخراب الهيكل ، وسوى بين الناس ولم يجعل للكهنوت اليهود يدا على غيرهم ، ولم يرفع من قيمة اليهود خاصة ، فكان من كل ذلك أن خاب أملهم فيه ، ثم أنه حارب الفكرة اليهودية الضيقة في الطقوس والعادات ، كما رأينا ، وحارب التقيد والحذلقة التي تمسك بها الفريسيون ، فوجدوه خطرا شديدا عليهم ، ووجد المتعصفون فيه الخير أيضا ، فسعوا جميعا إلى اهلاكه ، ووشى به " يهوذا " أحد أتباعه فألقي القبض عليه وحاكمه الكهنوت اليهودي ، فحكموا عليه بالصلب ، وصدق هذا الحكم مندوب روما المسمى بيلات .

وتقول المصادر التاريخية ، أن المسيح صلب بين لصين صلبا ، وأن أتباعه وتلاميذه وحوارييه خافوا فلم يحضروا الصلب ، ولما كان في اليوم الثاني أتت بعض النسوة فلم يجدن الجثة ثم رأت " مريم مجدلينا " المسيح عليه السلام بكامل هيئته ورآه غيرها أيضا ، فاعتقدوا أنه أحي ثانية وبعث .

أما عقيدتنا التي نأخذها من القرآن والسنة ، والتي يؤيدها انجيل برنابا ، الذي سنتكلم عنه ، فهي أنه لم يصلب ولكن شبه لهم .

" الانجيل والاناجيل "

ترد في آيات مختلفة من القرآن الكريم ذكر الانجيل الذي أنـزل على عيسى عليه السلام ونرجع إلى الكتب التي عدها النصارى كتبهـم المقدسة ، فلانجد بينها كتابا منزلا يدعى بالانجيل إنما الذي تجده فيها أناجيل أربعة كتبها أربعة من تلاميذه وفي كل منها ترجمة لحياة المسيح عليه السلام وأقواله ، فأين الانجيل المنزل ؟ ؟ .

إن المجامع الكنسية وأصحاب السلطات فيها اتفقوا على عدد من الكتب عدوها صادقة تعبر عن دينهم وعقيدتهم وتترجم للمسيح ، فأقروها وعدوا ماسواها مزيفا . والذي أقروه هي الأناجيل الأربعة : متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

وأقروا رسائل لبعض تلامذة المسيح ممن دعوهم بالرسل وسموها رسائل أعمال الرسل وأقروا رسائل أخرى دعوها بالرسائل التعليمية وهناك أناجيل أي تراجم لحياة المسيح عدوها مزيفة غير صحيحة كانجيل برنابا . وهنالك رسائل رفضوها أيضا .

على أنهم يدعون أنه ليس من انجيل أنزل على نبيهم ، وكل مايعترفون به أن أقواله وأعماله قد سجلها أصحابه بعد وفاته بالهام صحيح ، فهي صحيحة هذا مايدعون غير أن هنالك اشارات في الأناجيل التي يعترفون بها تدل على أن المسيح كان يتكلم عن انجيل ويسمى في الترجمة اليونانية (بشارة) وهي كلمة تترجم كلمة في اليونانية هي انجيل ويأخذ مؤرخو الأديان بوجود هذا الانجيل ويسمونه بالوثيقة " ك " ويستنبطون وجوده مما يظهر من اتفاق بيّن في بعض أقوال المسيح وأعماله كما تظهر في الأناجيل الثلاثة خاصة (متى ومرقس ولوقا) وهذه الاناجيل كلها ترجع الى مصدر واحد .

أما الأناجيل الاربعة فيقتضي الكلام عنها بنص الشرح . فقد شرع

المسيح عليه السلام بوضع ترجمة حياته وأقواله وأفعاله في كتب . وهذه الكتب وضعت بعد رفعه بمدة من الزمن . وظهر أول الأمر ثلاثة أناجيل منها كتبها متى ومرقص ولوقا وهي أناجيل تستقي من معين واحد ويقول رجال الكهنوت المسيحي أنها كتبت بإلهام من الله ولذلك فهي صحيحة.

وهي تضع أصول الدين المسيحي وتبين رغبات المسيح عليه السلام مع ترجمة لحياته مفصلة .

على أن الشيخ الهندي رحمه الله درس في كتابه (اظهار الحق) هذه الاناجيل واستخرج منها أكثر من مائة مكان يظهر فيها الاختلاف بينها ولو أنه اختلاف ليس في العقيدة بل في التفاصيل . وهذه الاختلافات تدل على أنها ليست بنت الوحي والالهام .

وأيا كان فهذه الاناجيل الثلاثة لا تتكلم عن ألوهية المسيح ولا تدل عليها بشيء ثم يظهر بعدها بزمن انجيل رابع يتحدث عن تلك الالوهية ويأتي بالعقيدة التي يعتقدها المسيحيون اليوم وهو انجيل يوحنا . ويقول الباحثون أنه كانت بعد عام / ٦٠ / للميلاد طوائف تنكر ألوهية المسيح ، فطلب من يوحنا أن يبين ما أهمله متى ومرقص ولوقا من تلك الالوهية فكتب انجيله وعده النصارى رابع الاناجيل الصحيحة . وأتى بأشياء عن الالوهية لم تذكر عند غيره مع أنها أصل الدين عند النصارى وعلى ذلك فان كتب المسيحيين المعترف بها قبل عام / ٦٠ / للميلاد لم تكن تحوي شيئا عن دعوى الالوهية ، وان كان بعض النصارى كانوا يعتقدون آنذاك تلك الالوهية دون نص يثبتها .

وهنا يقتضي الامر بنا أن نورد مايعرف عن انجيل برنابا ، فهذا الانجيل الذي اكتشف عام ١٧٠٩ بنسخته الايطالية والذي يشابه الاناجيل الاخرى من حيث أنه ترجمة لحياة المسيح عليه السلام ولأقواله وأفعاله يذكر مايلي :

" قال يسوع : إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني

بريء من كل ما قاله الناس عني من أني أعظم من بشر ، لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام ".

وهذا القول واضح يؤيد ما يعتقده الإسلام من رد دعوى الالوهية.

فماذا يقول علماء النصارى في ذلك . إنهم يدعون أن هذا الانجيل من وضع نصراني أسلم فوضع انجيلا نسبه إلى برنابا وجعله يؤيد عقيدة المسلمين .

أما أن يكون هنالك انجيل لبرنابا ، فهو أمر لا يمكن نفيه ، فان ذلك الانجيل كان معروفا منذ القديم وقد عده كهنوت النصارى انجيلا منحولا وأدخلوه في عداد الكتب المنحولة .

وأما أن يكون برنابا - وهو من الذين يبجل النصارى مكانتهم ويسمونهم رسلا كان له رأى مخالف لاهل عصره في قضية الانحراف عن العقيدة الاولى المسيحية التي هي عقيدة التوحيد كما كان يقول بها اليهود فذلك أمر يقول به مؤرخوا الأديان بل إن من الوثائق التي اكتشفت في جوار البحر الميت (وهي وثائق قديمة من القرن الأول الميلادي) ان بينها رسالة تحمل اسمه وهي تستنكر ذلك الانحراف الذى حصل في الأوساط المسيحية .

فانجيل برنابا وموقف برنابا من غيره من المنحرفين بيّن لا مجال لرفضه . والذى يبقى أن نسخة الانجيل التي اكتشفت عام ١٧٠٩ وآلت إلى البلاط الملكي بفيينا هي النسخة الصحيحة لانجيل برنابا . وفي هذا خلاف ومناقشة ليس محلها هنا . وعرضها في مقدمة نسخة انجيل برنابا التي ترجمت إلى العربية وفي كتاب محاضرات في النصرانية للاستاذ محمد أبو زهرة .

وأهم ما في هذه المناقشة أنه ليس في صياغة الانجيل هذا وعرضه ما لا يأتي متفقا مع ما يجب أن تكون عليه الاناجيل ، ثم انه لو كان من وضع

مسيحي أسلم لكان انتشر بين المسلمين ونددوا بما فيه وهوليس معروفا بينهم ، وهو انما اكتشف في خزائن النصارى لا في خزائن المسلمين .

ومن البديهي أن ترفض الكنيسة المسيحية هذا الانجيل فهو لا يخالف رأيها في قضية الثالوث فحسب ، بل في قضية الصلب أيضا . وهو مؤيد تأييدا تاما لما يقول به المسلمون بناء على آيات القرآن الكريم من أن المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم لطالبيه فهو يذكر أنه يوم جاء طالبوه كان مع أصحابه ثم دخل هو ويهوذا الاسخريوطي غرفة مجاورة ، خرج منها يهوذا وهيئته تشابه هيئة المسيح ، فصار أصحابه يدعونه باسم المسيح وهو يقول لهم لست المسيح . أنا يهوذا ويسأل هو عن المسيح أين ذهب . ثم أتى طالبوا المسيح فقبضوا عليه .

وهذه الرواية عن حادثة نهاية دعوى الصلب هي رواية مؤرخي الاديان عن برنابا ويقولون أنها كانت معروفة عنه ويقول بها . وهي نفس العقيدة الاسلامية .

* * *

" تكوين العقيدة المسيحية "

رأينا في الدرس الماضي حياة المسيح عليه السلام وتعاليمه والرسالة التي أتى بها والأناجيل واختلافها وأن ثلاثة فيها لا تحوى شيئا يؤيد عقيدة المسيحيين وهي الأناجيل القديمة وأن جوهر هذه الأناجيل الثلاثة غير جوهر الانجيل الرابع ، فكيف حدث كل ذلك وكيف انتهت عقيدة المسيحيين إلى ما انتهت اليه ، هذا ما سنشرع فيه اليوم . وأول سؤال نطرحه ونجيب عنه هو :

ما هي العقيدة المسيحية : التي يأخذ بها أكثر المسيحيين وجل طوائفهم ؟
إنها عقيدة أخذت شكلها النهائي في القرن الرابع الميلادى وفيه عرفت واستقرت على ما هي عليه .

ما هي خلاصتها :

نورد هذه الخلاصة بالشكل التالي وهي : عصى الانسان ربه في الجنة فأخطأ خطيئته الكبرى وأخرجه الله من جنته الارضية ثم أراد أن ينقذه فأرسل ابنه منقذا له يفتدى خطيئته بدمه . وما صلبه وسفك دمه إلا فدية لخطيئة الإنسان . والخطيئة تبقى مع الانسان فيجب عليه أن يشارك بدم المسيح لكي ينقذ نفسه . ومن هنا كان ما يسمى بسر القربان المقدس، فإذا أكل الانسان من القربان اشترك بدم المسيح وافتدى خطيئته الكبرى . وأسس المسيح كنيسته قبل أن يصلب والكنيسة هي جماعة المؤمنين يجمعهم ايمان واحد بسر القربان المقدس وايمان بالمسيح وبأنه منقذ لهم من أخطائهم وايمان بحرية الانسان في أفعاله وبأنه ينقذ نفسه بتلك الأفعال وبأنه يتمتع بشفاعة القديسين وبأنه يظهر في آخر الزمان حاكم عام يخلص الانسان والبشرية ويهديهم سواء السبيل .

هذا هو ملخص النظرية المسيحية وأنتم تجدون في هذا الملخص نقاطا جديدة لم نجدها في بحثنا الماضي وهي قضية الفداء وسر القربان

المقدس وشفاعة القديسين والمشاركة بخفايا القربان المقدس . هذه القضايا يقول المسيحيون أنها دين المسيح عليه السلام وداخلة في رسالته فهو قد ترك روح القدس فما اتفق عليه الآباء والمرسلون والكنيسة يدخل في صميم الفكرة المسيحية بارشاد وتوجيه من روح القدس . على أن العلماء المحدثيـــن يفسرون التطور الذي حدث في الديانة المسيحية تفسيرا علميا / منهم شـــارل غينيبير وكان أستاذا في السوربون ومن كتبه كتاب اسماه (النصرانية القديمة) فسّر فيه تطور النصرانية ولا سيما أثر الرسول بولس في هذا التطور ونحـــن نلخص هنا كتابه هذا لنطلع على وجهة النظر العلمية في الأمر .

يقول غينيبير إن اتباع المسيح عليه السلام رأوه بعد محاكمته وبعد تنفيذ حكم الصلب فيه فاشتدت عقيدتهم به ورأوا أن الله مؤيد له وأن له عنده منزلة كبيرة وتمسكوا بالتبشير بدينه أكثر من ذي قبل وتأصلت في نفوسهم فكرة عودة المسيح وأنه هو المسيح المذكور في التوراة .

هذا وكان هنالك فئتان قد اتبعتا الدين الجديد : أولاهما فئة الآباء الذين عاشروا المسيح عليه السلام وتتلمذوا عليه . وهنالك أيضـــا الدياسبورة وهم يهود تركوا مملكة اسرائيل وهاجروا في جهات سورية وغيرها فأقاموا بين السكان «أي الجانتيل» واختلطوا بهم واستقبلهم عوام الناس بالكره والحقد لكن المتعلمين من الناس عطفوا عليهم وأخذوا يتجادلـــون معهم ويتفهمون مذهبهم وآراءهم ويفسرون لهم آرائهم هم . وهكذا دخـــل في فكرة الدياسبورة الشيء الكثير من العقائد المحلية ، فكانت لهم اذن فكرة لا تشابه فكرة اليهود المقيمين في اسرائيل تميل إلى الناحية اليونانيـــة الشرقية وبذلك كانوا يختلفون عن الآبـــاء الأولين . وفي وسط الدياسبورة نشأ الأب بولس وكان اسمه قبل ذلك " شاءول " وطبيعي أن يكون متشربـــا بروح الدياسبورة وبعقيدتها وطبيعي أن يفهم فكرة المحيط الذي عاش فيه وفكرة الجانتيل وهم غير اليهود ومن أهل البلاد الاصليين . نشـــأ الأب

بولس في طرطوس وكان في أول أمره عدوا للنصرانية عنيفا . على أنه اطلع على الدين الجديد من أبناء قومه الذين زاروا القدس بعد عهد المسيح عليه السلام واتصلوا بالآباء المسيحيين الأول .

ويقول غينيبير إن الديانة التي اطلع عليها الأب بولس لا بد أنها تختلف عن الديانة التي كان يأخذ بها الآباء الأول فلا بد أن تكون مشربة بروح الدياسبورة . وماذا كان يجد الدياسبورة في محيطهم الذي يعيشون فيه : إن ديانة الجانتيل وهي الديانة الشرقية " الهيلينية الشرقية " كانت تؤمن بآلهة يموتون ويحيون في العالم نفسه . وكان الجانتيل يقيمون بمناسبة موت هذه الآلهة وبعثها احتفالات يقربون فيها القرابين ويبذلون دماء الحيوانات ويأكلون منها فيشتركون مع الآلهة المنقذين ويشتركون في الخلود معهم .

وكان في طرطوس إله من هذه الآلهة إله يموت ويحيا واسمه " صندان " وكان الدياسبورة يعرفون ذلك ولا بد أن الأب بولس كان مطلعا على هذه الديانة ، فقد كان عالما عارفا وعلمه واسع كبير أد هش المسيحيين من اليهود الأصليين . وبعد فليس عجيبا ، أن يتشرب بولس والدياسبورة بفكرة تلك الآلهة التي تموت وتحيا وتقدم القرابين لأجلها ويأكل الناس من قرابينها ويشاركونها فيها ويقول غينيبير أن الدياسبورة كانت أميل الى أن تعتقد وجود السيد المنقذ أكثر من أن تعتقد وجود السيد المسيح ذلك الأنسان ابن الرجل الذي كان يبشر به النبي " دانيال " فالسيد المنقذ كانت صورته في تلك الآلهة اليونانية المنقذة .

وأطلع الأب بولس على الديانة التي جلبتها فئة الدياسبورة التي كانت في القدس وفيما كان يسير في الطريق تصور المسيح واعتقد أنه رآه ، فعاد يبشر بالمسيحية وبالرسالة التي اعتقدها قائلا أنه أخذها من المسيح نفسه وبوحي منه . وكان يعتقد ذلك اعتقادا جازما هو اعتقاد

المؤمن . ويفسر غينيبير كيف آل/ الأب بولس الى ما آل إليه من رأي في الدين فهو حقا ذهب إلى بيت المقدس بحض من الأب برنابا لكنه لم يبق فيه بل سار يطوف العالم ووجد خلال رحلاته أن الناس يفهمون فكرة السيد المنقذ ويستسيغونها أكثر من الفكرة اليهودية نفسها عن المسيح . ولعله وجد أيضا أن اليهود أنفسهم مع مخالفاتهم له بالرأي يسيرون معه إن رفع من شأن المسيح عليه السلام إلى منزلة المنقذ . دخل ذلك الرأي في أعماق قلبه فاعتقد أنه الحق وأنه دين المسيح نفسه ولما آل إلى هذه النتيجة أخذ يبشر بما انتهى إليه فيقول :

إن المسيح عليه السلام منقذ للناس من خطيئتهم يفتديهم بنفسه ودمه عن طريق الصلب . ونشر مذهبه بين الجانتيل فوجده هؤلاء قريبا من نفوسهم يفهمونه إذ يشابه عقيدتهم في الآلهة التي تموت وتحيا والتي يشاركونها في القربان المقدس .

ولم يستقبل المسيحيون من اليهود الأصليين هذا الرأي استقبالا سيئا فهو يرفع من مكانة المسيح عليه السلام ويجعله فداء عظيما للانسانية .

وأحدث الأب بولس شيئا جديدا وهو أنه جعل المسيحية دينا عاما عالميا لا خاصا باليهود كما كانوا يظنون .

هكذا يفسر لنا غينيبر ما انتهى إليه أمر العقيدة المسيحية على يد الأب بولس بشأن ابن الله والقربان المقدس .

هذه خلاصة لما قاله غينيبر . ويفسر لنا ولز هذه الفكرة في كتابه معالم تاريخ الانسانية (ص ٥٤٥ من الطبعة الانكليزية لعام ١٩٤٠) فيقول :

إن ذهن بولس اللامع جعل لحياة المسيح معنى صوفيا وكان المسيح قد دعا الناس إلى عمل هائل ، إلى نكران تام لشخصهم ، إلى بعث جديد في عالم الحب . وكان معتنقو المذهب يتبعون سيدهم بخطى متثاقلة ولا بد أنهم كانوا يميلون بالطبع إلى أن يبتعدوا عن هذا المذهب السهل وهذه

العقيدة الواضحة متخذين ذكاءهم دليلا لهم وأن يبحثوا عن ملجأ لهم في تلك النظريات والحفلات المعقدة . . . أوليس اسباغ الجسم بالدم أيسر من تطهيرها من كل شر ومن كل تحاسد . أوليس من السهل أكل الخبز وشرب الخمر ثم الزعم بأن ما أكل هو شخص الاله ، أوليس تقديم الشموع أيسر من تقديم خالص النفس والقلب ، أوليس سهلا حلق الرأس في حين أن الدماغ يحيك بالسر ألفا من صغير المؤامرات .

وإليكم الآن قول ولز (ص ٥٣٠) في خلو الأناجيل من النقاط النهائية التي آلت إليها العقيدة المسيحية قال :

" وهنالك أمر ثابت وهو أننا لا نجد في الأناجيل شيئا تقريبا يثبت ما تؤكده النصوص اللاهوتية مما يشكل في مجموعه دين المسيحية . فلا يوجد في أي موضع منها بصورة صريحة ما يثبت بوضوح المذاهب التي يعتبرها كل المبشرين من شتى الفرق ضرورية للسلام ، والقارئ يمكن أن يتأكد من ذلك بنفسه . ومن العسير أن نجد كلمة خرجت من فم المسيح يمكن بها أن تدل على أنه كان يعتبر نفسه مسيح اليهود أو أنه كان يعتقد بأنه يشارك في الألوهية .

والمسيح يفسر أيضا مذهب الفداء ولا يبين لاتباعه ضرورة القربان والتقديس (أي الطقوس التي يقوم بها الكهنوت) ولقد مزق المسيحية الجدل حول الثالوث . مع أنه ليس أي دليل على أن رسل المسيح سمعوا شيئا عن الثالوث أو على الأقل سمعوا شيئا عن ذلك من سيدهم نفسه . . . . وكذلك لا يقول عيسى كلمة واحدة عن عبادة والدته مريم . . . "

وبعد أن أسس الأب بولس مذهبه على الشكل الذي رويناه نقلا عن غينيبير كان لا بد من أن يحدث انشقاق الكنيسة المسيحية عن مجموعة اليهود . حقا أن المسيح عليه السلام يقول انه أتى مصدقا للتوراة على انه تم الآن ترتيب جديد في العقيدة يختلف عن الديانة اليهودية وحصل

بعد عنها وعن شرحها وتكونت الديانة المسيحية مستقلة متمتعة بحريتها مع كنيسة ليست على اتفاق مع اليهودية .

وسارت المسيحية طريقها في التطور . وإذا بها تكون فكرتها عن الثالوث المقدس والثالوث المقدس هو " الله " ، المسيح ، روح القدس" كيف تشكلت هذه الفكرة وما هي اسمها .

لا ريب أن المسيحيين يعتقدون وجود الله خالق كل شيء لكنهم رأوا معجزات المسيح عليه السلام واعتقدوا أنه صلب ثم ظهر ثانية فتكونت في نفوسهم فكرة راسخة عن مكانته وعن قدرته وعن قوته فصاروا يبحثون في طبيعته : من هو ؟ ما هي خصائصه ؟ وبحثوا في ذلك بحثا واسعا فتكونت عندهم قبل القرن الرابع آراء مختلفة في هذا الصدد نذكر منها ثلاثة :

١- رأي الاب بولس الذي يرى أن المسيح شخص سماوي نزل إلى الأرض وأنه روح الله وصورته .

٢- رأي اليوصفية : وهم يقولون أن المسيح هو كلمة الله " لوغوس " فهو إله لأن الكلمة فيض من الله .

٣- وهناك رأي ثالث يقول بأن عيسى ليس رجلا إلا في مظهره وظاهره .

وهكذا نرى أن هذه الآراء الثلاثة تعطي للمسيح صفة أكبر من الصفة البشرية وتصله بالله .

وظهر أمام المسيحيين قبل القرن الرابع مشكلة عويصة فلسفية بشأن عقيدة الثالوث فكيف يكون وضع ذلك الثالوث المقدس : لا ريب أن المسيحية التي خرجت من اليهودية يجب أن تكون ديانة توحيدية توحد الاله لكن الثالوث المقدس يعارض فكرة التوحيد فكيف تحل المشكلة إذا استبقي على التوحيد وجب إهمال الثالوث أما إذا لم يحتفظ بالثالوث فقد وقع التناقض بين التوحيد وبينه . وبعد الأخذ والرد رأى المسيحيون على ما يقول غنيبير أن يفضلوا التناقض على إهمال الثالوث فقالوا " باله واحد في ثلاثة "

هذه النتيجة التي انتهوا اليها وأقروها لقيت مخالفة شديدة جدا عند طبقة أبناء اليهود المتنصرين في عهد المسيحية لكن المسيحية بقوة كنيستها لم تأبه لهذه المقاومة بل عدتها زندقة وطردت جماعتها منها .

ومهما يكن من أمر فالمسيح هو صاحب الدين ومؤسسه وهو الذي يضع قواعده وإليه ينتسب . وعلى ذلك فما أمر به كان حقا ووجب اتباعه . والانجيل يحدث عن المسيح بوجود روح القدس ويصفه بأنه معز وروح الحقيقة يقود الناس في طريق السلام ويهديهم الصراط المستقيم وهو حاضر معهم حضور الله الازلي الدائم . ومتى اجتمع عدد من المسيحيين وصفت نيتهم كان روح القدس معهم . وبالاستناد إلى هذا الوعد من المسيح اعتبر روح القدس مبدأ إلهيا دائما حاضرا يعمل للمسيحية أي للكنيسة المسيحية يعمل لأجلها وفيها . وتتفق كل المبادىء المسيحية تقريبا على وجود روح القدس شاهدا أزليا بين المسيحيين . وإذا كان الأمر كذلك فإنه إذا حضر بينهم وأوحى الى بعضهم وجب أن يعتبر ايحاؤه من الدين نفسه وان يدخل مايوصيه في العقيدة . وعلى ذلك فكل الاعترافات المسيحية التي وردت عن جماعة ثبت أنهم من القديسين ومن المتصلين بروح القدس تكون صحيحة ثابتة وتدخل في مجموعة العقائد . ولعل هذا الرأي يفسر لنا السلطة الواسعة التي حصلت عليها الكنيسة ولا سيما الكنيسة الكاثوليكية .

يقول غينيير أنه ليس في الانجيل إشارة الى الكنيسة كمنظمة تامة تقوم بشؤون المسيحيين بل لفظ الكنيسة يعني في الانجيل مجموعة للمسيحيين وكتلتهم العامة وصلتهم الروحانية بعضهم ببعض. نعم إن في الانجيل اعتبارا خاصا لبطرس الرسول . ففي " انجيل متى " ما معناه أن المسيح قال ان في يد بطرس مفاتيح السماء فما أسسه المسيح وما أسقطه أسقطه على أن المسيحيين يختلفون في تفسير هذا القول . ومهما يكن من أمر فقد وضع الآباء الأولون أسس الكنيسة دون أن يشعروا أنهم يؤسسون شيئا جديدا دفعتهم إلى ذلك

الحاجة إلى وجود الكنيسة وإلى ضم شملهم وإلى اتحادهم في الرأي وإلى توجيه الدعوة . وأخذوا شكل الكنيسة وكيانها من شكل كنيس الدياسبورة ومن المؤسسات الوثنية اليونانية . ثم أصبحت الكنيسة جزءًا من أجزاء العقيدة ولها سلطانها المعروف ذلك السلطان الذي قلنا أنه يستمد عن روح القدس ، ومما ذكره المسيح عن بطرس .

وعلى رأس الكنيسة في كل مدينة " المطران " وكان أول الأمر مراقبا للأمور فيها ثم أصبح رئيسا لكنيستها ثم أصبح رئيس الجماعة المسيحية فيها فلا يبت أمر دونه . وهو الذي يسأل عن كل شيء . وامتد الترتيب قبل القرن الرابع الميلادي فشمل نوعا من التسلسل والتدرج في الكنيسة وفي النظام الكنوتي . ويأخذ الكهنوت سلطانهم من الآباء الرسل .

وكان المسيحيون ينتخبون المطران انتخابا ثم أصبح المطران يستبعد شيئا فشيئا سلطة رعاياه من غير الكهنوت . يستبعد تلك السلطة لا سيما فيما يتعلق بالاستيحاء من روح القدس .

وهكذا أصبح التنظيم الكنائسي يكاد يكون تاما وقريبا مما نعهده في عصرنا الحاضر وأصبح لكرسي بطرس في روما مكانة خاصة استنادا إلى ما قاله المسيح في انجيل متى . هكذا يفسر لنا غينيبر تكون الكنيسة والمكانة التي وصلت إليها . وبذلك تمت في القرن الثالث والرابع الصورة التي تكاد تكون نهائية في شكلها العام عن النصرانية كما تعتقدها الطوائف التي تعد نفسها أرثوذكسية " يعني صاحبة الحق " .

وهكذا يظهر لنا كيف تأسست العقيدة المسيحية على الشكل العام وتظهر لنا المبادىء التي اعتمدت عليها . ويجب أن نقرر بأن هذه المبادىء يعتقد المسيحيون أنهم أخذوها عن صاحب شرعهم وصاحب دينهم وهو المسيح عليه السلام وأنهم لم يخرجوا عن الأسس التي وضعها . فهو قد يترك بينهم روح القدس يهديهم وروح القدس قد تهدي الأب بولس

إلى طريقة الفداء والانقاذ القرابين . وروح القدس هو الذي تستمد منه الكنيسة التي أسست وروح القدس هو الذي يوحي للقديسين آراء جديدة تهدي المسيحيين سواء السبيل كما أراه المسيح نفسه .

ويقول لنا غينيبر إن الآباء المسيحيين الأولين أسسوا العقيدة والكنيسة ولم يكونوا يشعرون أنهم يؤسسون شيئا جديدا يخرج عما وصفه المسيح في تعاليمه الأولى . ثم تكونت بعد ذلك أو أثناء ذلك الطقوس وظهرت الأناشيد والموسيقى مع القربان المقدس تتلى فيه واتخذت المسيحية سبلها في العبادة والتهجد .

* النزاع مع الدولة الرومانية :

انتشرت المسيحية كما قلنا خارج فلسطين وتوسعت حتى بلغت جميع الأقطار التي كان يحكمها الرومان واهتمت بصفة خاصة بروما حيث أسس بطرس كرسيه واحتكت بالدولة الرومانية فماذا كان موقف هذه الدولة منها : لم يكن باستطاعة هذه الدولة أول الأمر أن ترضى عن اولئك الذين لا يشاركون في الحياة العامة لانهم متزهدون ولا يؤيدون فكرة الجندية والحرب لأنهم مسالمون ولا يحترمون الديانة الرسمية لأنها تعبد الأصنام من دون الله . اولئك الذين يكونون جماعات سرية تتخذ من القرارات مالا يعرف . لم يقبل الرومان هذا الاتجاه ولم يستطيعوا أن يفهموه وولوا فيه خطرا على دولتهم فتتبعوا أصحابه بالاضطهاد والتعذيب والتنكيل لكن المسيحيين تحملوا كل ذلك تحملا شديدا أو صبروا عليه صبرا جميلا يدل على مقدار تمسكهم بعقيدتهم . وكثر بينهم الشهداء لا سيما بآسيا الصغرى في عهد "تراجان" وفي عهد " مارك اوريل " بليون على أن كل هذا الاضطهاد مع كثرة عدد الشهداء الذين كانوا يعرضون على الوحوش تأكلهم أمام الناس ، كل هذا لم يفت في عضد المسيحيين ولم يجد الرومان نفعا . وامتد الزمن وإذا بحماة المسيحية يكثرون ويعتنق النصرانية بعض المتنفذين حتى إذا أتى قسطنطين

وشعر بحاجة الى الايمان بالله قبل أن يسير في حرب ضروس من حروبه عام ٣٩٣ وضع منشورا عرف بمنشور ميلان . واعتبر هذا المنشوراله المسيحية بمصاف الآلهة الأخرى فحل إذن إلههم مع غيره وسمح لهم بممارسة دينهم . على أن المسيحيين مازالوا يلقون الممانعة من قبل الارستقراطيين الذين يعتمدون على آلهة الرومان ويأخذون سلطانهم منها والذين هم متمسكون بعباداتهم القديمة للأصنام . وتساهل المسيحيون مع هوءلاء وأمثالهم فأدخلوا في عقيدة النصرانية شيئا يعوضهم عن عبادة الاصنام ألا وهو تقديس القديسيين ثم قويت الديانة المسيحية وانتشرت وإذا بها تصبح الديانة العامة للامبراطورية الرومانية .

****

" النصرانية في القرون الوسطى "

رأينا في المحاضرة السابقة كيف تشكلت العقيدة النصرانية بصيغتها العامة التي تكاد تكون نهائية وسنرى اليوم ماطرأ من أحداث على النصرانية خلال القرون الوسطى ونقصد بذلك خلال المدة التي وقعت بين القرن الرابع وعهد النهضة أي القرن الخامس عشر :

١- الأريوسية :

لم تمر تلك العقيدة التي استقرت عليها الكنيسة المسيحية دون مقاومة وممانعة ومعارضة ، فقد كان المسيحيون في الحبشة ومصر وسورية يخالفون مبادئ تلك الكنيسة ويناقشونها في كثير من الرأي ثم ظهرت حركة قوية في القرن الرابع وفيها المعارضة القوية ألا وهي حركة كاهن اسمه " آريوس " .

رأينا أن المسيحيين اتفقوا على الثالوث المقدس وعلى أن المسيح ابن الله وأنه منقذ ذو صفة الهية وأتى آريوس فقال : إذا كان المسيح ابن الله فينبغي أن يكون دون الله وأقل منه وفوق البشر ، وهذا القول مخالف كل المخالفة لرأي الكنيسة التي تقول أن المسيح إله حقيقي ورجل حقيقي . فبدت المشاحنة واتسع الجدال وكان في هذا الرأي خطر على ما استقر عليه المسيحيون لأنه يخفف من قيمة المسيح كاله ومن قيمته كمنقذ . إذ يضعه في مصاف دون مصاف الآلهة . وآل الأمر إلى أن جمع قسطنطين مجمعا في " نيس " فنظر هذا المجمع في وضع عقيدة نهائية للنصرانية وانتهى به الرأي الى أن أقر أن صفة المسيح الالهية أزلية مع الله سبحانه وتعالى واعتبر " أريوس " خارجا عن النصرانية . على أن المبدأ الذي بشر به آريوس استمرواعتنقته القبائل الجرمانية وامتد حتى أواخر القرن السادس .

٢- الرهبانية :

تشكلت الرهبانية في المسيحية على مراحل ثلاث تطورية :

* المرحلة الأولى :

كانت في أوائل القرون الوسطى وذلك أنه بعد أن انتشرت المسيحية وقوي نفوذها وتوسع سلطانها وانتقل إليها عدد من الناس لا يفهمون معنى استشهاد من استشهد من جماعة المسيحيين الأول كان عدد من معتنقي الدين الجدد قد دخلوا جلبا للمنفعة أو حرصا على الظهور أو سوى ذلك من الأمور الدنيوية . ووجد من بقي على طريقة المسيحيين الأول في خدمة الدين والدفاع عنه والتضحية لأجله أن العالم قد غرق في هذا التيار النفعي فامتعضوا وآثروا الانسحاب من الحياة المدنية إلى حياة الغابات والصحارى ومنهم عدد كبير من المصريين وانقطعوا لأنفسهم معتزلين العالم الخارجي وكان لكل واحد منهم شجرته أو صومعته يقيم فيها وحده فلا يعاشر الناس ولا يتصل بهم بل يعيش عيشة المنعزل البعيد عن كل شيء .

* المرحلة الثانية :

وجد القديس باكوميوس المتوفي سنة ٣٤٦ أن الانعزال هذا قد أبعد الرهبان عن الحياة الحقيقية وجعل فيهم بعض الوحشة فحض على اجتماعهم من حين إلى آخر للعبادة بعضهم مع بعض . وسار مبدأه في أوائل القرن الرابع وتبعه عدد كبير من المصريين فكانت الصلوات والتعبدات تقام مجتمعة ثم يعود كل فرد إلى نفسه في صومعته ينقطع فيها للعبادة .

* المرحلة الثالثة :

وتلت ذلك المرحلة الثالثة وإذا بالقديس باسيل يرى أن حياة الرهبنة على الصفة المتقدمة ليست أمرا عمليا وأن هناك حالا أفضل وهو أن ينقطع الرهبان عن الناس والعالم الخارجي على أن يعيشوا مجتمعين فيما سمي " بالأديرة " وسار رأيه فأسست الأديرة واجتمع فيها الرهبان وعاشوا

يؤدون صلواتهم وتعبداتهم .

٣- البابويـــة :

رأينا في الدرس الماضي أن كرسي الرسول بطرس في روما كان لــه شأن يراد منه أن يكون أوسع من شأن غيره على أن هذا الكرسي لم يكن لــه في الواقع سلطة أعلى من غيره من الكنائس الاخرى بل كان من حيث السلطة بمستوى يقارب سلطة غيره فلم يكن رئيس الكنائس جميعاً وان كان يستغنـــي بعض الأحيان باعتباره كرسيا ممتازا . ثم حصلت أسباب دعت إلى توســـع سلطة ذلك الكرسي وتشكل البابوية . أول هذه الأسباب أن القديس أوغستان وهو من افريقيا الشمالية وضع كتابا سماه " مدينة الله " دعا فيه إلى اعطــاء الدين سلطة الحكم . وذكر أن الأمور سيؤول إلى أن تسود سلطة الدين على الناس وسينقضي ذلك الزمن الذي يتسلط فيه الملوك . مهد هـــذا الكتاب الطريق إلى ايجاد سلطة كنائسية قوية .

وأتى شارلمان فاستولى على بقعة واسعة من بقاع المسيحية وخــدم ذلك الدين خدمة كبــرى وأنشأ المدارس وعلم الكهنوت . وكانت سلطـــة الملوك في ايطاليا قد تقلصت فأعطى روما رئيســا لها هو البابــا . وأسس الامبراطورية المقدسة فقويت سلطة ذلك الكرسي .

وكانت وضعية التســلســل في الكهنوت من الأصغر إلى الأكبـــر فالاكبر تثير في الاذهان فكرة ايجاد سلطة عليــا تنتهي اليها الســـلطات الاخرى ووجد بين المتعبدين من حاول أن يخدم الكنيسة بوضع رســـائل ملفقــة تظهر بها قيمــة البابويـــة ومكانتها والحاجة إلى سلطانها وخدمت هذه الرسائل البابويـــة ورفعت من شأنها .

وأتت الحرب الصليبية فعمل البابوات على تروسها وتقويتها فأعطوا بذلك لأنفسهم مكانة جديدة وكانت مكانتهم قد توسعت بعد أن اســـتقلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية كما سنرى واعتمدت كنيسة روما على نص

من الانجيل وقرئ هذا النص في مجمع من المجامع الدينية ومعنى هذا النص كما أوردناه سابقا أن المسيح قال لبطرس :

" انت بطرس الذي تلمع أولية كرسيك على كل الارض ويشكل كرسيك رأس كل كنيسة ".

لهذه الأسباب والعوامل استقامت سلطة البابا وتوسعت واشتدت حتى آلت يوما من الأيام إلى العقيدة بأنه معصوم وأن القرارات التي يضعها نهائية لها صفة دينية تامة .

٤ـ الأرثوذكسية :

كان بين الشرق والغرب نوع من الاختلاف في الطبيعة وفي فهم الطقوس الدينية وفي لون الحكم : تأسست في الشرق دولة روما الشرقية (دولة بيزانطية) وفي الغرب انقضى عهد سلطان الملوك في ايطاليا وقويت سلطة البابا كما رأينا .

ويتميز الشرقيون اليونانيون الذين تكونت منهم دولة روما الشرقية بميلهم إلى الجدل والمناقشة والتفكير في المسائل دون الأخذ بالسلطة العليا التي تفرض المسائل فرضا .

أما الرومان فهم معتادون على سلطة ملوكهم وعلى تقبل حكمهم . وهكذا نشأ بين الطرفين نوع من النزاع في طبيعة المسيحية نفسها من حيث ظواهرها الخارجية وأتى يوم أضافت فيه الكنيسة بروما إلى المعتقدات أن روح القدس ينجم من الابن ، كما ينجم عن الأب فلم تقبل الكنيسة الشرقية هذا المذهب الجديد . وفي عام (١٠٥٤) للميلاد أعلنت الكنيسة الشرقية في القسطنطينية انفصالها عن الكنيسة الغربية وأنها لن تتبعها في أحكامها ورضيت بذلك الكنيسة الغربية وازداد سلطانها في المناطق التي كانت تابعة لها . وكان قسم من المسيحيين في الشرق في سورية ومصر وايران والحبشة قد استقلوا عن الكنيسة الغربية قبل ذلك ولم يقبلوا بأحكامها ومنهم

من سموا بالنسطوريين فاجتمع جميعهم تحت لواء الكنيسة الشرقية في مذهب عام سمي بالارثوذكسية أي الدارين المستقيم طريق الآباء الأولين .
ونظرت الكنيسة الشرقية في طريقة توحيد المبادىء والمذاهب ووضع الخطط الواحدة الملائمة فرأت أن توكل ذلك إلى المجامع ، وشكلت هذه المجامع من بطاركة أربعة هم : بطاركة القسطنطينية وانطاكية والاسكندرية والقدس هذه المجامع تقرر في اجتماعها الأصول التي تتبع وتقوم بما يقوم به البابا في الكنيسة الغربية منفردا .

وسمحت الكنيسة الشرقية للكهنوت بالزواج خلافا للكنيسة الغربية على أن يتم الزواج قبل الانتساب إلى الكهنوت فلا يكون من زفاف بعد ذلك الانتساب واستبعدت الكنيسة الشرقية شفاعة القديسين وردت فكرة بيع الغفران . أما من حيث الطقوس والعبادات فقد عاشت ولا زالت تعيش في أبهة عظيمة من الاحتفالات والصلوات ، في كنائس زاهية وتكثر في احتفالاتها من الأناشيد المرتلة دون أن ترفق تلك الأناشيد بالموسيقى وهي تحظر التماثيل ،لكنها تأخذ بالزخرفة وبعض الصور وتوسعت رقعة الكنيسة الشرقية فضمت إليها بلغاريا وروسيا والبلاد السلافية عامة . ثم اعتنقت البلاد السلافية الشيوعية فانتسب قسم كبير منها إلى اتجاه مذهبي يخالف الاتجاه الكنائسي .

٥- السكولاستيك :

صادفت العقائد المسيحية في القرون الوسطى عند بعض الفلاسفة والمفكرين مقاومة وتعرضت منها للنقد ، فدافع أصحاب الكنائس أمام هؤلاء الزنادقة كما أسموهم . على أن الفكرة الفلسفية مالبثت أن تقدمت ولا سيما بعد أن عرف أرسطو عن طريق الأندلس ولم تقف الكنيسة مكتوفة الأيدي بل حاربت مذهب ارسطو ومن يقول به ومن يقرأه . ثم رأى بعض المسيحيين الذين اطلعوا على آثار المسلمين كالغزالي وابن رشد سبيلا إلى التوفيق

بين الدين وبين العقل . وكان أفلاطون يقول إن الله سبحانه وتعالى يجمع في ذاته بين العلم والدين فيجب إذن أن يكون العلم متفقا مع الدين . وهكذا قام في المسيحية القديس توماس الأكويني فوضع كتبا ورسائل عديدة في التوفيق بين الدين والعقل حذا فيها حذو علماء المسلمين . ووضع غيره رسائل وكتبا في البرهان على وجود الله . ووضعت كتب سميت "لا سوم" أي المجموع فيها مجموع الدين والعقيدة مع العلم العام ، والغاية منها التوفيق بين العلم ومجموع الدين وتتجه هذه الكتب اتجاهات عديدة بحسب وجهة النظر التي وضعت فيها ولكنها تؤول جميعا إلى أنه لا خلاف بين الدين والعقل وإلى أنه اذا ظهر خلاف بينهما وجب أن يرجع إلى الدين لأنه وحي صحيح لا كالعلم الذى معارفه قد تكون غير ثابتة ولا أكيدة .

+×+×+×+×+×+×+×+×+

المسيحية في العصور الأخيرة

والحركة الاصلاحية

كان القرن الخامس عشر يتمخض عن حركة جديدة فكان كل شيء يدل عليها . فقد كانت حالة الكنيسة المسيحية تستدعي الاصلاح . فبوادر الفساد ظهرت فيها والانتقاد كان شديدا حولها . وكان يظهر بابوات فيقابلهم بابوات آخرون يدعون بالصفة نفسها فينكر كل واحد منهم الآخر وتحصل مهازل ومآسي . هذا والكنيسة قد اتسعت اتساعا هائلا فأصبحت ذات ثروة هائلة . وكانت ثروتها وممتلكاتها موضع نقد لها . واتجه النقد أيضا إلى الكهنوت الذين صاروا يتزوجون مع أن قواعد الكنيسة تحرم عليهم ذلك . وأتهم الكهنوت بالجهل وكان منهم جهال في واقع الأمر لأن الدخول في الكهنوت كان وراثيا أكثر الحين ، والتعيين في المراكز الكهنوتية كان يتم من قبل السلطة الزمنية وتوافق عليه السلطة الروحية فخرج الكهنوت عن صفتهم الأساسية واهتموا بالعالم الارضي وبالمال وبالمعيشة . وكانت قد ظهرت حركة سميت بالانسانية " هومانيزم " وانتقد أصحاب هذه الحركة الكهان في أخلاقهم وسيرتهم . وقبح عند المتزهدون اهتمام الكهنوت بالعالم الأرضي وثاروا عليهم لذلك .

في هذه الظروف نشأ " مارتن لوثر " في ألمانيا وكان أبوه قد حصل على ثروة فأراد أن يدخل ابنه في ميدان العمل والثراء . ولكن هذا كان بعيدا في طبعه عن الميل الى الحياة الدنيا . وكان يوما تحت شجرة فأتت صاعقة أحرقت الشجرة ، فدعا الله ونذر نفسه بأن يكون راهبا . وحقق نفس نذره فانتسب إلى رهبنة " القديس اوغستان " وقرأ التوراة ووجد فيها أن الانسان لا يستطيع أن يفعل شيئا مهما من نفسه وأن الذي ينقذه هو الله لا أعماله . فمن كان ساقطا في نظر الخالق فلا شيء ينقذه . والايمان هو المنقذ الأصلي لا الأفعال . وليس لشفاعة القديسين أثر في

هذا الانقاذ . والرهبنة لا قيمة لها . ونظر لوثر في أمر الغفران وشـراته وبيعه من قبل الكهنوت فاستغفر ذلك نفسه وكتب رسالة فيها خمسة وأربعون موضوعا عن الغفران وبيعه وأسئلة حول ذلك . وأحدثت هذه الرسالة حين ترجمت إلى الالمانية أثرا عنيفا في نفوس الناس ، فتصدى له بالمناظرة عالم اسمه " ايكي " وتبين للوثر من نتيجة المناظرة أنه لم يتعمق في دراسـة تاريخ المسيحية فانقطع إلى ذلك ، فتبلورت فكرته ووضع مذهبه وإذا هو يرى أن العلوم الدينية ليست في قرارات الكنيسة انما هي في الكتاب المقدس، وحكم الكرسي البابـوي عليه وطرد من المسيحية فناصره الألمان من بنـي قومه ، وعدوه بطلا وطنيا . ورأوا أن الغرباء عنهم أصحاب الكرسي البابوي يستغلونهم ويأخذون أموالهم . وهكذا بدأ مذهبه ينتشر .

ثم حصلت حركـة إصلاحية أخرى هنا وهناك نجتزئ منها ذكـرى حركة " كالفـان " الذى قال بالجبر وأن الإنسان مسير لا مخير وأن أفعاله مكتوبة لا يمكنه أن يغيرها وأن القربان المقدس ليس إلا رمزا للمسيح وليس من دمه ولحمه . ورأت الكنيسة تلك الاصلاحات وأدركت سوء الوضع الذى تدنت هي فيه فوجدت ضرورة إلى الاصلاح فعقدت بين عام ١٥٤٥-١٥٦٣ مجمع ترانت ووضع هذا المجمع قواعد تنظيمية يتقيد بها الكهنوت وأصـولا لتعليمهم ورفـع جهالتهم، وحكم المجمع على الحركة الاصلاحية المنشقة .

* البروتستانت :

من الحركة الاصلاحية التي قام بها لوثر وكالفان وغيرهم تشـكل المذهب الجديد مذهب " البروتستانت" وخلاصة هذا المذهب أن المسيحي مسؤول أمام الله وحده لا أمام الكنيسة هذا هو جوهر المذهب وأساسـه وكل شيء يتفرع عن هذه النقطة . ويقـول البروتستانت بالحرية في الأمور الدينية والدنيوية أكثر من الكاثوليك الذين استمروا مع الكنيسة الأولى . ويقول البروتستانت بالتسامح الديني وبفكرة الحكم الشخصي لا الحكم الكنسي

وهم يبعدون الكنيسة عن التدخل في الامور الزمنية ويذهبون إلى شيء من الحرية في الطقوس والعبادات والنظرة اللاهوتية والكهنوتية .

انتشرت البروتستانتية في شمال غربي أوربا ماعدا جنوب المانيا وايرلندا ثم انتشرت البروتستانتية في الولايات المتحدة الامريكية .

* الموحدون (الاونيتاريون) :

رأينا في المحاضرة السابقة فكرة الاريوسية ورأينا أنها تجعل المسيح عليه السلام في مستوى دون مستوى الله وظهرت مذاهب أخرى فيها ميل إلى وحدة الله والى جعله فوق مستوى كل شيء ثم إن الاصلاح البروتستانتي (بعودته إلى الانجيل والكتاب المقدس وجعله ذلك الكتاب فوق كل القرارات الكنائسية مع ترجمته إلى اللغات الوطنية بحيث أصبح مقروءا في كل مكان) عاد بالأنظار إلى حالة المسيحية قبل تأسيس الكنيسة.

هذا الوضع سهل السبيل في القرن السابع عشر إلى ظهور فكرة جديدة قوية ذات نزعة إصلاحية بعيدة وهي فكرة الموحدين (الاونيتاريون). وظهرت هذه الفكرة في بولندا مع سوسان وفي ترانسيلفانيا مع فرانسيس دافيد" وظهرت في انكلترا أيضا وفي جهات أخرى .

ويقول هذا المذهب إن المسيحية قبل ظهور الثالوث كانت موحدة فليس في الكتاب المقدس اشارة أو دليل إلى الثالوث وأن الله واحد في ثلاثة ، فيجب إذن الرجوع إلى الفكرة الاولى للمسيحية واعتقاد أن الله واحد ، ويجب الرجوع إلى تعاليم المسيحية الأولى ، إلى تلك التعاليم التي وضعها المسيح عليه السلام ويمكن تلخيصها بشيئين :

١- محبة الله .

٢- محبة البشر .

ويقول الموحدون أن المذهب الاصلي للمسيحية هو أبوية الله للناس وعطفه عليهم وقصده لخيرهم . والمذهب الاصلي للمسيحية أيضا هو أن البشر أخوة

وان الخير يجب أن يسعى اليه وأن ينتصر وأن الملكوت الصحيح هو ملكوت الله وهنالك اليوم الآخر وفيه الحياة الخالدة للناس .

هذه هي عقيدة الموحدين على أنهم لم يحددوا هذه العقيدة بشكل نهائي بألفاظ وكلمات منهم ، فهم يعتقدون أنه يجب عليهم أن لا يضيقوا بألفاظ وأفكار محدودة يقتضي ترك ذلك للعقل والضمير . فالعقل والضمير دليلان للحقيقة الدينية . وأكثر مايقولونه ويشهدونه هو قولهم" باسم حب الحقيقة وبروح المسيح نتحد لخدمة الانسانية ولعبادة الله " وهم يعلقون الأهمية الكبرى على التسامح الديني ، فهم اذن يرجعون الى مبادئ المسيحية الاولى ويتخذونها أصولا ويقفون عندها .

* توحيد الكنائس :

رأينا أن الكنائس المسيحية كثيرة متعددة على أنها تجتمع في ثلاث كبرى :

١- الكنيسة الارثوذكسية .

٢- الكنيسة الكاثوليكية .

٣- الكنيسة البروتستانية .

وهنالك كنائس أخرى أقل أهمية من هذه وأقل انتشارا وحاول الامريكيون أن يقيموا اتحادا بين الكنائس ، فدعوا الى مجلس دولي للكنائس اجتمع عام ١٩٤٨ . على أن الكنيسة الكاثوليكية لم تشترك في هذا المجلس وخالفته ، فهي ترى أنه لا وحدة للمسيحيين الا بالعودة للكنيسة الكاثوليكية أي إلى كرسي البابا واجتمع المجلس ونظر نظرة واسعة في الأمور . ومما أقره أنه وافق على قبول الموحدين فيه وصهرهم في المسيحية وكانوا قبل ذلك يعدون زنادقة خارجين عن النصرانية .

××××××

الباب الثالث

في :

" الأديان غير الكتابيـــة "

قلنا إن الأديان السماوية الموجودة اليوم في العالم ثلاثة ، وهي اليهودية والنصرانية والاسلام ، وهناك أديان كثيرة أخرى لا يحصيها العد ، تنتشر هنا وهناك ، بعضها يعبد الأحجار والأوثان والحيوانات والكواكب وغيرها ، وبعضها يتجه في مجمله نحو الآلهة المجردة ، وقد أصبحت الفئة الأولى في حيز الأديان البدائية ، ولا يعتنقها إلا الشعوب النائية ، ولا يقبلها إلاّ العقول المتخلفة ، وأصبحت أشبه بعالم الخيال والأسطورة ، مع الاعتراف بوجودها وبقائها وانتشارها في أماكن كثيرة من العالم .

أما الفئة الثانية فكثيرة أيضا ، ويظهر على بعضها أنها أفكار فلسفية محضة ، ولا علاقة لها بالدين إلا بالاسم ، كما أن بعضها يتسم بطابع الاصلاح فقط ، ويجمع بعضها الثالث بين الأفكار الدينية والأحكام التشريعية ، ولا نستطيع ـ مبدئيا ـ أن نحكم عليها بحكم واحد ، فقد تكون أديانا وضعية من عند البشر ، وضعوها لغايات وأهداف خاصة ، وقد تكون في أصلها سماوية ، ثم طرأ عليها التغيير والتبديل والتحريف حتى جاء على آخرها ، وفقدت صلتها بأصلها الأول ، وقد يكون دعاتها أنبياء ورسلا من عند الله تعالى ، ثم تغيرت الصورة بعد وفاتهم ، وألحقت بهم الأساطير والخيالات ، حتى طمسوا حقيقتهم الأولى ، وقد يكونون متنبئين ودجالين ، اتخذوا الدين شعارا لمآربهم الخاصة .

وسوف نعرض في هذا الباب بعض هذه الأديان التي انتشرت في مصر وايران والهند والصين ، وذلك في خمسة فصول .

الفصـــل الأول

((د يـــن أخناتـــــــــــون))

* د ين أخناتون :

نستأنف البحث اليوم في الديانات التي تتصف بتوحيد الآلهـــة فنشرع في الكلام على ديانة وضعها فرعون من فراعنة مصر يسمى (اخناتون) وهي دين يدل على أن الانسان ان دقت مشاعره وحسن عقله ، استطاع أن يصل إلى درجة يدرك فيها أن للكون الها واحدا فردا أحدا .

ونبدأ بذكر ما كان عليه دين المصريين قبل (اخناتون) : كانت مصر غارقة في خضم من عبادة آلهة عديدة مختلفة أقدمها أرباب من الحيوانات انضم اليها أرباب تمثل مظاهر الطبيعة من الهواء والسماء والنجوم والشمس وتفرقت الآلهة في مدن مصر وفي قراها فكان لكل منطقة إله خاص بها تعبده وتدعوه وتطلب منه أن يحميها وأن يمنع عنها الشرور .

وأرواح الآلهة تجرى وتنتقل في كل مكان ، والآلهة يشبهون الانسان في نوع قوته ومقدرته لكن قوتهم ومقدرتهم أوسع من الانسان وأشد ، فحولهم أطول ومقدرتهم على جلب الخيرات أكثر ، على أنهم يموتون كما يموت الانسان . والانسان مكون من جسم وروح وجوهر الهي عام يسمى (الكا) هذا الجوهـر الالهي يستمر كالآلهة بعد الحياة فله اذن أن يعود لكنه لا يعود الاّ اذا بقي الجسم على شكله ومن هنا حدثت عادة التحنيط التي غايتها بقاء الجســـم على شكله ، وخصصت للأجسام المحنطة الهياكل العظيمة والمقابـر الفخمـة تدفن فيها فتبقى على ما هي عليه إلى أن يعود إليها الالكا . وكانت عـودة الحياة مختصة بملوك فرعون فهم الآلهة وإليهم تعود الروح . ولكن تعدد الآلهة وازديادها جعل عودة الروح إلى أجسام غير الملوك جائزة .

ثم أتى يوم قل فيه عدد الالهة وضاق محيطها ، وشرع الكهنـــــة

القوامون على المعابد والهياكل برفع أحد الالهة الى سوية أعلى من الآلهة الأخرى . وكان مقر الهيكل الأكبر في مدينة (هليوبوليس) وفي ذلك الهيكل عدد كبير من الكهنة المتعلمين فاستطاعوا بمساعدة آل منفيس أن يرفعوا آلهة مدينتهم واسمه آتوم فوق منزلة الآلهة الآخرين ثم صهروه بالـه الشمس فتكون إلها واحدا ضموا إليه الها آخر قويا عندهم هو اله الخصب والموت يدعى (ايزوريس) وهو رب عند المصريين يقدمون له المآكل والخضر والمنتجات الطبيعية ويعطيهم الخصب وكان لذلك مقدسا عندهم . وكذلك أصبح لديهم الهان (أتوم) وهو اله الشمس مصهور به اله (هليويوليس) واله الخصب (ايزوريس) هذا واله الشمس هو أصل الحياة عندهم ، أما اله الخصب ففيه الاستمرار والانتاج ، يلد كل ربيع ويموت كل خريف .

هذه هي ديانة المصريين القدماء . وقد وضعوا تاريخا للخلق يدل على تطور تلك الديانة منذ مبدأ الكون الى عصرهم ذكروا فيه تخاصم الالهة وتغلب بعضهم على بعض . وأنهوا ذلك التاريخ بأن اعترفوا بأن من يغدو فرعونا يصبح الها ويجب أن تحفظ مومياؤه لأنها تأتي بالخير لمصر . وبنوا الهياكل العظيمة للفراعنة وقعد فيها الكهان واستفادوا منها واستعملوا الشعوذة والسحر وتسلطوا على العامة وابتزوا الأموال ودخلوا في حياة من الترف كبيرة . بل إنهم باسم الآلهة استطاعوا أن يعيشوا حياة الاستهتار ، فاتخذوا في الهياكل نساء يقيمونهم في الظاهر لأمور ويستمتعون بهن في الحقيقة .

في هذا الجو استولى (امنحوتب) الرابع على الملك بعد أبيه (امنحوتب) الثالث وكان رقيقا في مشاعره رقيقا في نفسه عاليا في أخلاقه عفيفا ذا نفس طيبة غاية الطيبة . ويظهر على تلامح وجهه الذى نقل إلينا مرسوما أمائر الرقة المتناهية بحوله وطوله ورقته . ونظر (امنحوتب) في الديانة التي بين يديه فمجتها نفسه ومج منها بصفة خاصة أعمال الكهنوت

واستغلالهم للناس وانهماكهم في الملذات ، وأخذ يبحث عن اله جـــديد فرأى أن الشمس هي التي تعطي العالم الخير وهي التي تحي النبـــات وتنعش النفوس . رأى في الشمس مظهرا من مظاهر الالوهية ، فهي مبعث الحياة وهي اذن تمثل الآلهة . فدعا الناس الى عبادة الاله الجـــديد بعد أن كون دينه وأعطى الشمس اسما هو (آتون) .

وملخص دينه أنه يعتقد أن الاله واحد أحد خلق كل شيء في هذا الكون ويخلق الخلق بكلمة منه ، وهو ليس الى جانبه اله آخر وليس رب شعب محدد بل رب كل البشر وهو إله الخير لأنه يبعث الحيـاة ويكثر من الخيرات ويملأ العالم خيرا بواسطة أشعة الشمس ويملوءه بركـة ، تلك الأشعة وتصور تلك الأشعة عند فناني (أخناتون) على شكل تنتهي به بصورة يد مبســوطة تبارك بالخير ، والمظهر البرىء المرئي للاله الواحد الاحد هو قرص الشمس فهي / تمثل خير الله وتمثل بركاته . وهي عند اخناتون مبعث الحب . واللــه خلق حرارتها لتدفيء الناس وتبعث فيهم الحياة ، وتبعث في الحيوانات القوة وفي النبات النمو . ونجد تعبيرا عن هذه المعاني في الانشـودات التي كانت ترسل (لـ أتون) وتوجه اليه ، وهذه واحدة منها :

ماأجمل مطلعك في أفق الســماء . .

أي أتون الحي مبدأ الحيـــاة . .

فاذا ما أشرقت في الأفق الشرقي . .

ملأت الأرض كلها بجمـــالك . .

إنك جميل عظيم براق عال فوق كل الرؤوس . .

أشعتك تحيط بالارض ، بل بكل ماصنعت . .

xxxxxxxx

ومهما بعدت فان أشعتك تغمر الأرض . .

ومهما علوت فان آثار قدميك هي النهار . .

واذا ماغربت في أفق السماء الغربي . .

خيم على الارض ظلام كالمـــوت . .

xxxxxxxxxxxx

ماأبهى الأرض حين تشرق في الأفق . .

وحين تضيء ياأتون النهار تدفع أمامك الظلام .

واذا ماأرسلت أشعتك أضحت الارض في أعياد يومية . .

واستيقظ كل من عليها ووقفوا على أقدامهم . .

الاله الواحد الذى ليس لغيره سلطان كسلطانه . .

يامن خلقت الأرض كما يهوى قلبك .

xxxxxxxxxx

إن أشعتك تغذى كل الحدائق . .

فإذا ماأشرقت سرت فيها الحياة . .

فأنت الذى تنميها . . .

أنت موحد الفصول لكي تجســلق كل أعمالك . .

خلقت الشتاء لتأتي إليها بالبرد . .

وخلقت الحرارة لكي تتذوقك .

(من قصة الحضارة لديورانت ترجمة
محمد بدران)

٢/١٩٦٦-١٧٤

لما اكتشف اخناتون الهه ووجد أنه واحد أحد وأنه خير وأنه يعطي البركة وانه لم يخلق الكون مــع الآلهة الآخرين لم يعد يستطيع تحملهـــا ولا تحمل اسمها فغير كل شيء . وتتبعها . بل لم يرض بأن يقيم في مدينـــة (هليوبوليس) بل انتقل إلى مدينة جديدة انشأها لديانته دعاهـــا (ايخوت أتون) وبني فيها هياكل جديدة ، وبنى عواصم أخرى في مختلف أنحاء مصر بل لم يرض عن اسمه واتخذ اسما جديدا فدعى نفسه (اخناتون)

ومعناه (اتون راض) وتتبع الكهنة وقضى على سحرهم وشعوذتهم وأخذ منهم أموالهم وألزمهم بعبادة الله الجديد فأقبلوا عليه متأففين غير راضين .

وشرع اخناتون يضع لمصر اسلوبا جديدا في الفن يوافق طـــراز الدين الذى وضعه ، فطلب من الفنانين والرسامين والنحاتين أن يتركوا العرف القديم وأن يقبلوا على الطبيعة التي هي من خلق الاله ، والتي هي ظاهرة/فيأخذوا منها . وأطاعوه وصاروا يرسمون كل شيء بعاطفة جديدة من ظواهره ومنعهم من تصوير الاله ، فالاله عنده حقيقة لا صورة لها ، وكذلك ســمى فنهم بتعابيره الروحية سموا عظيما .

هذا الدين الذى وصل اليه (اخناتون) بذكائه ورقة عواطفه فأقر فيه بوجود اله واحد أحد خالق الكون جميعه وليس الى جانبه الــه آخر ، دين لم يكن أهل مصر بقادرين على فهمه .

فقد كان ذهنهم مشبعا بذلك العدد من الالهة الذين بيــن أيديهم ينظرون اليهم . . ويحطونهم ويحتمون بهم في كل حين ، وزاد الطين بلة عندهم أن (اخناتون) غير اسـمه فرفع اسم أبيه واستبدله ب (اخناتــون) . وهذا عند قدماء المصريين أمر خطيــر ، فالفراعنة عندهم آلهة ممجدون وليس لـ (اخناتون) أن يمتهنهم ، وحرك الثــورة في هذا الامر الكهنوت الذين أصيبوا في أموالهم و عملهم وربحهم .

ثم أتى حـادث آخر قضى على كل آمــال (اخناتـــون) وهو أن هذا الملك انشغل بشؤون دينه عن الاهتمام بشؤون امبراطوريته الواسعة ، وهذا الاهمـال سهل السبيل لبعض التابعين لتلك الامبراطورية فأعلنوا الانشقاق عن مصر وهذه سورية تعلن العصيان ثم تستقل ، ولــم يعالج (اخناتون) ذلك معالجة حاسمة ، فقد كان في أعمـاق نفســه لا يعتقد كل العقيدة حق مصر في حكـم الأمم الأخرى . ومهما يكن من أمر فان انشقاق المملكة عليه ولد له المتاعب والمشـاكل الكثيرة ، فاضطرب لها

ومات في الثلاثين من عمره مقهورا حزينا مجروح القلب مكلوم الفؤاد وما مات حتى قضى على دينه وعاد المصريون الى دينهم القديم ، ومحا الكهنة اسم (أتون) واسم (اخناتون) من المعابد والهياكل والجدران فقضوا على الدين وأزالوه بعد ان كان .

****

الفصل الثاني

في :

ـ الزرادشتية ـ

،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،،

ننتقل اليوم إلى البحث عن دين ثنوى ينتهي أمره بالتوحيد ، وهذا الدين عرف في العصور الاسلامية وفي يومنا هذا بالمجوسية ، على أن المجوسية ليست إلا تحريفا لذلك الدين الأصلي الذى هو دين (زرد شت).

وزرد شت عاش على ماقاله أكثر العلماء بالتقريب في القرن السادس قبل الميلاد ومنهم من يضبط تاريخ حياته كمايلي (٦٦٠ — ٥٨٠) ق ٠ م وكل هذا تقريب لا تعرف الحقيقة لتاريخه. بل يدعي بعض الناس أن وجوده نفسه رمزى ،وأنه لم يكن هناك شخص اسمه " زرد شت " .

انقطع زرد شت لنفسه مدة من الزمن يتعبد ويتهجد حتى إذا كان له من العمر بين الثلاثين والأربعين قال أنه أوحي اليه دين جديد . وشرع زرد شت يبشر بهذا الدين بين الناس بهمة لا تفتر ،وامتد به الزمن في هذا التبشير دون نجاح كبير ، ولكنه كان من حسن حظه أن اجتمع بملك الفرس واسمه (كتشمبا) ولعله والد (دارا) . وجاهد زرد شت ليقنع الملك فلم يقتنع هذا الا بعد أن ظهرت له المعجزة على ماقيل وهي : أن زرد شت أنبت شجرة أرز على عتبة قصره فآمن ودعا الناس الى الأخذ بذلك الدين الجديد ، وسار زرد شت في أنحاء المملكة يبشر بدونه ،وأقام على ذلك نحوا من سبعة وعشرون عاما لا يكل ولا يمل حتى قتل في حرب مع أهل بلخ فتوفي وترك من بعده دينه .

ويقال إنه وضع كتابا لدينه اسمه (الافيستا) على أن هذا الكتاب يحوى خمسة أسفار مختلفة مضطرب في نصوصه غير مستقيم ادمجت فيه نصوص ليست منه وأقحمت فيه اقحاما ومن الأسفار الخمسة كتاب صلاة يحوى (الغطس) ولعل الغطس أقدم قطعة من الافستا ولعل بعضه بقلم زرد شت نفسه والافستا

يدعى أيضا ب (زندافستا) ـ أي تفسير القانون والكتاب مكتوب باللغة الفارسية القديمة سوى النصوص التي ألحقت به في عصر الساسانيين باللغة الفهلوية وهي نصوص أدبية تفسيرية للكتاب ، تتمم بعض ما فيه .

أما الدين الذى أتى به زردشت فإنه قصد به اصلاح الدين القديم ، دين المظاهر الطبيعية الذى يعبد فيه عدد هائل من الآلهة . أراد زردشت أن يصلح هذا الدين وأن يقربه من التوحيد وأراد أن يبعث فيه حياة جديدة فوضع أسسا للاصلاح الاجتماعي ، وحض على العمل في الأرض والخوف من الدنس والابتعاد منه وتطهير النفس وتقديسها بالصفاء وفعل الخيرات ومن وصاياه وصايا ثلاث حض فيها على أن يكون للانسان نوايا حسنة وكلام حسن وأفعال حسنة فقصد اذن بدينه شيئا من الطهر والسمو بالنفس البشرية واصلاحها ورفعها عن المستوى الذى كانت عليه في دين الفرس القديم .

أما نظرته التي عن الاله فليس بوسعنا أن نعرفها وان نضبطها فقد دخل عليها كثير من الأشياء شوهتها وأبعدتها عما وضعها عليه زردشت ، ولم يتفق العلماء على الدين الذى أتى به زردشت بل اختلفوا فيه اختلافا كبيرا . ولم تنته الينا كتاباته صحيحة موثقة بل مضى زمن طويل عليها جهلت فيه ثم جمعت بعد قرون عديدة على غير حقيقتها الأولى . وعلى ذلك فلا ينتظر منا أن نعطي فكرة صحيحة عن دين زردشت ، والذى سنقوله تقريب لفكرته وتقرب منها ونعرض هذه الفكرة عرضا عاما لا على أنها حقيقة تاريخية بل على ما انتهت إليه أفكار المؤرخين المحدثين .

فعلى رأيهم أو رأى بعضهم أن زردشت كان يعتقد أنه وجد منذ الأزل إلهان أحدهما (اهورامزده) ويسمى أيضا (هرمز) أى (العلم السامي) والاله الاخر (أهرمان) وعمد هرمز إلى خلق النور والحياة ففار منه اهرمان وخلق الليل وجهنم ردا على خصمه وبدأ القتال بين الاثنين وهو قتال

سينتهي يوما . ثم إن هرمز خلق خصالا ستا هم وزراوءه . وهي الخير والخصال الحسنة والعدل والملك الالهي والتقى الصالح والعفو والخلود وعاد اهرمان فخلق مقابل ذلك خصالا شريرة هم وزراوءه وهي : القساوة والغضب والذنوب والسحر وغير ذلك واستمر القتال بين المبدأين مبدأ الخير ومبدأ الشر ثلاثة آلاف عام . ثم خلق هرمز الأرض والانسان والحيوان فخلق اهرمان الشياطين وامتد ذلك ثلاثة آلاف عام وفي الدورة الثالثة وهي تمتد ثلاثة آلاف عام وجد زردشت وبشر بدينه . وسيأتي بعده مصلحون ثلاثة . ثم تبدأ دورة رابعة يتغلب فيها هرمز على اهرمان فيقضي على كل الشرور وتسود الخيرات ولا يبقى في العالم إلا رب واحد والناس على اتصال وثيق به .

على أنه ينبغي للناس أن يساعدوا هرمز في القضاء على الشر، فللانسان أثره في ذلك الصراع بين الخير والشر . والإنسان مدعو إلى أن يحارب الى جانب الخير وفي ذلك عون لهرمز في القضاء على الشر. والناس محاسبون على أفعالهم وستوزن تلك الأفعال في اليوم الآخر وزنا دقيقا . وهي مسجلة تسجيلا تاما . ويمر الانسان على طريق تحته جهنم فان كان المار صاحب خيرات وجد الطريق عريضا وانتقل منه إلى عالم النور . أما اذا كان صاحب شرور فانه يجد طريقه ضيقا جدا فيقع منه الى جهنم . واذا توازنت أعماله الطيبة مع أعماله السيئة وجب عليه أن يمر بالمغسل وأن يغسل ذنوبه ثم ينتقل الى عالم النور .

وأنتم ترون أن هذه الديانة تبتدىء ثنوية فيها الخير وفيها الشر يتقاتلان ولكنها تنتهي وحدانية توحيدية إذ يتغلب الخير على الشر. ولعل زردشت وجد قبل عصره عددا من الآلهة تعبد ،فحول العقيدة بها بأن جعلها أفكارا لا آلهة ذات أشكال ،وقسمها إلى قسمين قسم خير وقسم شرير بحيث يقضي الخير على الشر. ولعله لم يكن في ذهن زردشت أن الخصال

التي خلقها " هرمز وأهرمان " هي آلهة انما هي تمثيل للاتجاهات فأتى من بعده فجعلوها آلهة يعبدونها . ومن هذه الآلهة اله أسقطه زردشت عن مكانته القديمة وهو كمترا . هذا الرب اعتقد أن الناس بعد زردشت في عصر الساسانيين أنه اله النور فجعل . لها حقيقيا . وقيل انه ضحى ثورا وخلق بدمه الكائنات ولذلك يضحي بثور عبادة له . كان زردشت على مايقال قد رأى أن الرب يمكن تمثيله بشكل جواهر طبيعية خالصة أهمها النار . وأتى الكهنة فأحدثوا من ذلك عبادة النار . وكان أن اشتهرت ديانة زردشت بالمجوسية أى عبادة النار . وعبادة النار إنما أصلها في دين زردشت تطهير النيران من الدنس باعتبارها من الجواهر الالهية المخلوقة . ولما عبدت بعد ذلك أحدثت لها هياكل ووضع في كل هيكل نار تتقد ولا تنطفئ أبدا . وكان للكهنة الذين يقيمون في المعابد بعد زردشت أثر كبير فهم المحامون لدينه وهم المطهرون لعبادته ووصل أثرهم الى الحكم نفسه فكانوا يوجهون الملوك .

وقد ذكرنا أن الدين الزرادشتي انتقل إلى عصر كان فيه مظلما لم يعرف ، ومجهولا مخفيا ، وامتد هذا العصر ونما ولعله بلغ أربعة أو خمسة من القرون ثم أعاد الساسانيون هذا الدين وترجموا " الافستا " إلى الفهلوية وأسسوا هياكل النيران في كل مدينة ووضعوا عليها الحفظة وامتد الأمر الى عصر الاسلام فقضى الاسلام على تلك العبادة ولا سيما في عهد المتوكل العباسي الذى قضى قضاء تاما على عبادة النار ، فانتقل بعض المتعبدين لها من بلاد الاسلام مهاجرين إلى بلاد الهند وفيها اليوم منهم عدد يدعون (بارسي) .

الفصل الثالث

في :

" أديان الهند الكبرى "

إن البحث عن الديانات الهندية أمر صعب غاية الصعوبة لما يتخلله من عقد ومشاكل وأهم هذه العقد تعدد الأديان واشتباكها بعضها مع بعض في مصادرها الأولى وتشابه أربابها وآرائها ثم اختلافها اختلافا لا يظهر واضحا في كل مراحل تطورها . ولقد اشترك عدد هائل من المفكرين والفلاسفة في وضع ديانات الهند فانتجوا انتاجا ضخما مشابها متخالفا موحدا متشابكا متضاربا . وتطورت الأديان الهندية فتعقدت وتشابكت مرة أخرى ، وعلى ذلك وجب حين بحثها تصنيفها وذكرها متطورا مع الإشارة إلى تفرعها بعضها من بعض حتى تتضح الأمور ويفهم السياق.

ومما يزيد في صعوبة البحث في الديانات الهندية انها لا عقيدة واضحة لها ولا أسلوب فلسفي موحد فيها وانها قد تخلو حينا من فكرة الالهة فتبقى دينا بلا إله وعرفا وممارسة لبعض العبادات . واذا أردنا أن نحصر الاديان المهمة في الهند أمكننا أن نقول أنها (الفدية ، البراهيمية ،الهندوسية ، البوذية ،الجينية وديانة السيخ) هذه هي الديانات الكبرى الأصلية في الهند ويتفرع منها فرق ومذاهب وقد يكون إلى جانبها أديان أخرى .

- الفدية :

كان في الهند قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد شعب يسمى (الدرافيدين) وكان لهذا الشعب حضارة قديمة وهو على شيء من الثقافة والمعرفة وكان له دينه أو أديانه ومعظمها مبنية على الاعتقاد بالحيوان الها . والى جانب الحيوان آلهة آخرون . وفي القرن (١٥) ق.م أو قبله

ورد الهند شعب جديد من أواسط آسيا وهو مايعرف الآن (بالآريين)
ويقال إن أصله من أوروبا ، وأنه من الأقوام التي سميت فيما بعد بـ(الهنود
الاوربيين) وقد اختلط هذا الشعب بالدرافيديين وكون فيهم مادعي
بـ (الكايست) وهي طبقات الناس وحرفهم وأعمالهم فالزم بألا يتعدى
أصحاب حرفة الى غيرها وجعل على رأس الكايست الشرفاء والنبلاء
وهم الآريون ،باجتماع هذين الشعبين نتج دين جديد هو الفدية
أخذت الفدية من الدين الدرافيدي القديم وأخذت من الدين الآرى القديم
أخذت من آلهة الآريين (آغنيت) إله النارو (اندرا) إله الجو و(سوريا)
إله الشمس وأخذت من الديانة الدراغيدية عبادة بعض قوى الطبيعة
والحيوانات .

والفدية تهتم بالأصل بالتضحية للالهة وللعالم. فليست الغاية منها
على مايظهر عبادة الآلهة في الدرجة الأولى بل الغاية منها أكثر من ذلك :
(دوام الخلق) ودوامه يكون بالقربان إلى الآلهة ، والذى يظهر أن الآلهة
لا تستطيع وحدها أن تسير العالم وتزيد فيه ، بل ينبغي لها التضاحي
والقربان وفي القربان أساس لتوسع الخلق ونموه وتعدده فالكون يتقدم
بالتضحية والقرابين وهي ضرورية لانعاشه وتقويته وبعث الحياة فيه. والعالم
(باراجاتي) وهو كائن هائل يستفيد من تلك القرابين ويأخذ قوته منها ،
وإذا أخذ قوته من القرابين أحدث الشيء الجديد ويظهر من ذلك أن العالم
واحد وأنه حلقة متصلة بعضها ببعض تأخذ من نفسها وتتوسع وتتطور.

تستند الفدية على كتب (الفيلدا) أو (فيداس) وهي مكتوبة باللغة
السنسكريتية القديمة التي سقطت من الاستعمال . وبكلمة واحدة ليست
العبادة في الفدية موجهة للالهة إنما هي لتقوية الكون والعلا فيه وللعودة
إلى الوحدة والالهة تنتهي إلى واحد هو البراها .

- **البرهمية :**

وخرجت البرهمية من الفدية مع تطور الزمن وأخذت شكلا فلسفيا بعض

الشيء فيه ايضاح لفكرة الفدية وتحديد لها ، فقد قالت الديانة البرهمية بوجود شيئين ، هما : (البرهمان) وهو مبدأ العالم وأصله و (الاتمان) مبدأ الانا أو الشعور بالشخصية وبالكون الخارجي أو بكلمة أخرى الروح ، فهنالك اذن ثنائية وهي أولا الكون المحيط بنا والمظاهر الخارجية وثانيا شعورنا بنفسنا وشخصنا . ولا بد من أن ينتهي الأمر باتحاد البراهمان مع الاتمان لتكون وحدة العالم التي ترمي اليها الاديان الهندية . ولكن كيف تكون تلك الوحدة ؟ .

ان الموت يحقق بداية تلك الوحدة فالروح تخرج من الجسد وتنتقل متدرجة إلى أجساد أخرى وأشكال أخرى حتى تنتهي يوما إلى الفناء بالعالم والخلود .

والآن كيف تكون هذه النهاية وكيف يمكن أن تعطي الاتمان قوة لتؤول إلى الفناء في العالم الخالد ؟ تقول الديانة البرهمية ان الانسان قد تنتقل روحه الى صورة أخرى حيوانية أو غير حيوانية وهذا هو التقمص . والتقمص قد يكون رقيا أو انحطاطا ، والرقي هو الذى يؤول الى النهاية المطلقة التي هي فناء في العالم الخالد . فعلينا اذن أن نبحث عن الرقي وأن نسعى اليه . والرقي يكون بعمل الخير وممارسة الفضائل . والفضائل تدفع الانسان الى الوحدة تدفعه الى ذلك خلال مراحل تقمصه تلك المراحل التي تدعى (الكارما) فالكرما هي ذلك النوع من التقمص المتدرج المتعدد الذى يؤول إلى الوحدة والذى قد يكون ربا قويا قادرا ، له أثره في تطور العالم .

هذه الديانة هي التي انتهي إليها رأي البراهمانيين ، ووضعوا لها طقوسا دقيقة وحددوها بعبادات منظمة متممة وقام الكهنة بتلك العبادات وطلبوا من المتعبدين أن يقدموا القرابين لهم ، فأصبحت الديانة في نظر الشعب ذلك الهيكل من الكهنة ، وتلك القرابين وأتى بوذا فوجد الأمر

على وماوصفنا فر بأت به نفسه من ذلك وأوجد دينا جديدا حاول أن يقضي به على عمل الكهنة وعلى القرابين .

* مقارنة بين البرهمية والنصرانية :

يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة : والقول الجملي أن الهنود يعتقدون في كرشنة مايعتقده المسيحيون في المسيح ، وقد عقد صاحب كتاب " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " موازنة بين أقوال الهنود في كرشنة ، وأقوال المسيحيين في المسيح ، فتقارب الاعتقادان حتى أوشكا أن يتطابقا ، وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة ، فقد علم اذن المشتق والمشتق منه ، والأصل وماتفرع عنه [1] .

---

(١) : مقارنات الأديان ص ٢٩ - ٤٢ .

ولننقل لك بعضاً من هذه الموازنة على سبيل المثال ، وغيره يقاس عليه

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنة ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح ابن الله
كرشنة : « هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والإبن وروح القدس »	يسوع المسيح : « هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والإبن وروح القدس »
١ ـ قد مجد الملائكة ديفاكى والدة كرشنة ابن الله ، وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة	١ ـ دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك أيها المنعم عليها ، الرب معك
٢ ـ عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذى ظهر فى السماء	٢ ـ لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه فى المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته .
٣ ـ لما ولد كرشنة سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا وطربا ورتل السحاب بأنغام مطربة	٣ ـ لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من السحاب أنغام مطربة

١ ـ كتاب تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣٢٩	١ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثالث ص ٢٨، ٢٩ وإنجيل مريم الإصحاح السابع
٢ ـ كتاب تاريخ الهند المجلد الثانى ٣١٧ ، ٣٦٧	٢ ـ إنجيل متى الإصحاح الثانى العدد ٣
٣ ـ كتاب فشنو بورانا ص ٥٠٢	٣ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثانى العدد ١٣

٤ ـ كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر	٤ ـ كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه « ملك اليهود » ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار
٥ ـ لما ولد كرشنة أضىء الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكى يرسل أشعة نور ومجد	٥ ـ لما ولد يسوع المسيح أضىء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عينى القابلة وعينى خطيب أمه يوسف النجار
٦ ـ ومن بعد ما وضعته صارت تبكى وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها	٦ ـ وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل: يا مريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذى أرسله أبى إليك وقد أتيت لأخلص العالم
٧ ـ وعرفت البقرة أن كرشنة إله وسجدت له	٧ ـ وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له
٨ ـ وآمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب	٨ ـ وآمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر

---

٤ ـ كتاب دوان ص ٢٩٧	٤ ـ دوان ص ٢٧٩
٥ ـ دوان ص ٢٩٧	٥ ـ إنجيل ولادة يسوع المسيح الإصحاح ١٢ والعدد ١٣
٦ ـ تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١١	٦ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح الأول العدد الثانى والثالث
٧ ـ دوان ص ٢٧٩	٧ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثانى عدد ٨ ـ ١٠
٨ ـ كتاب الديانات الشرقية ص ٥٠٠ وكتاب الديانات القديمة المجلد الثانى ص ٣٥٢	٨ ـ إنجيل متى الإصحاح الثانى العدد ٢

كرشنة	يسوع
٩ ـ وسمع نبي الهنود «نارده» بمولد الطفل الإلهي كرشنة فذهب وزاره في «توكول» وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد.	٩ ـ ولما ولد يسوع في بيت لحم ـ اليهودية في أيام هيرودس الملك إذ المجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود
١٠ ـ لما ولد كرشنة كان «ناندا» خطيب أمه ديفاكي غائباً عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ماعليه من الخراج للملك	١٠ ـ ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائباً عن البيت وأتى كي يدفع ماعليه من الخراج للملك
١١ ـ ولد كرشنة بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية	١١ ـ ولد يسوع المسيح بحالة الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية
١٢ ـ وسمع ناندا خطيب أمه ديفاكي والدة كرشنة نداء من السماء يقول له : قم وخذ الصبي وأمه فهربهما إلى كاكول واقطع نهر جمنة لأن الملك طالب إهلاكه	١٢ ـ وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفر بهما إلى مصر لأن الملك طالب إهلاكه

---

٩ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص٣١٧	٩ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١، ٢
١٠ ـ كتاب فشنو بورانا الفصل الثاني من الكتاب الخامس	١٠ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ١ — ١٧
١١ ـ التنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص٢٠٩ وتاريخ الهند المجلد الثاني ص١٣٠	١١ ـ انظر تعداد نسبه في إنجيل متى وإنجيل لوقا
١٢ ـ كتاب فشنو بورانا الفصل الثالث	١٢ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١٣

١٣ ـ وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الإلهى وطلب قتل الولد . وكى يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها كرشنة

٣ — وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الإلهى وطلب قتله وكى يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها يسوع المسيح .

١٤ ـ واسم المدينة التى ولد فيها كرشنة « مطرا » وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والاحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين عن كرشنة إنه ابن الله وإنه الله إلى يومنا هذا .

١٤ — واسم المدينة التى هاجر إليها يسوع المسيح فى مصر لما ترك اليهودية المطرية ، ويقال إنه عمل فيها آيات وقوات عديدة .

١٥ — كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة فى الناسوت بزمن قليل وقد سعى فانسا ملك البلاد فى إهلاك القديس راما وإهلاك كرشنه أيضاً .

١٥ — وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس فى إهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح

---

١٣ — دوان ص ٢٨٠ .

١٤ — تاريخ الهند المجلد الثانى ص ١٧ م والتنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص ٢٥٩ .

١٥ — تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٦ .

٢ — إنجيل متى الإصحاح الثانى

١٤ ـ المقدمة على إنجيل الطفولية تأليف هيجين .

١٥ ـ إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الإصحاح السادس

١٦ - وفى كرشنة بين الرعاة ولما جيء به إلى مطرا كان فى احتياج عظيم إلى التعليم فأتى له بمعلم خبير وفى وقت قليل فاق على أستاذه فى العلوم وأعياه فى المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقية .

١٧ - وفى أحد الأيام كان كرشنة سائراً مع قطيع من البقر فاختاروه ملكا عليهم وذهبت كل بقرة إلى المكان الذى عينه لها هذا الملك .

١٦ - وأرسل يسوع المسيح إلى عند المعلم زاخوس كى يعلمه فكتب له أحرف ألف ، باء وقال ليسوع قل - ألف - فقال الرب يسوع أخبرنى أولا عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول حرف الباء فتهدد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتى لها نقط وحركات والتى ليس لها نقط ولماذا وضعت فى هذا الترتيب أى بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبر عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها فى كتاب .

١٧ - وفى شهر أزار جمع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم وإذا مر بهم أحد كانوا يأخذونه غصباً ويأمرونه بالسجود للملك .

---

١٦ - دوان ص ٢٨٠ وتاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣٢١ .

١٧ - تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٢ .

١٦ - إنجيل الطفولية الإصحاح العشرين عدد ١ إلى ٨

١٧ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨ من عدد ١ - ٣

١٨ - وفى أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر إليهم بعين أبوهيته فقاموا سريعاً من الموت وعادوا أحياء.

١٩ - وسرق بعض أصحاب كرشنة مع عجولهم وأخفاهم السارقون فى غار فخلق كرشنة أصحابا وعجولا مثلهم فى الشكل والهيئة.

٢٠ - وأول الآيات والعجائب التى عملها كرشنة شفاء الأبرص

٢١ - وأوتى كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة ومعها إناء فيه طيب وزيت

١٨ - وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبى بيده فعاد إلى حال صحته.

١٩ - وأخفى الأولاد الذين يلعبون مع يسوع أنفسهم فى فرن فبدلوا إلى هيئة جداء فناداهم يسوع تعالوا إلى هنا يأيها الأولود لنلعب فأعيدت تلك الجداء إلى هيئتهم الأولى صبيانا.

٢٠ - وأول الآيات والعجائب التى عملها يسوع المسيح هى شفاء الأبرص

٢١ - وفيما كان يسوع فى بيت عتيا فى بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه

---

١٨ - تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣٤٣.

١٩ - تاريخ الهند المجلد الثانى ص ١٥ وكتاب خرافات الآريين المجلد الثانى ص ١٣٦

٢٠ - تاريخ الهند المجلد الثانى ص ٣١٩.

٢١ - تاريخ الهند المجلد الثانى

١٨ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨

١٩ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨

٢٠ - إنجيل متى الإصحاح الثامن العدد الثانى.

٢١ - إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرين عدد ٦، ٧

وصندل وزعفران وغير ذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة مخصوصة وسكبت الباقى على رأسه

٢٢ ـ كرشنة صلب ومات على الصليب .

٢٣ — لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس فى وسط النهار وأمطرت السماء ناراً ورماداً وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون فى الأرض وشاهد الناس ألوفاً من الأرواح فى جو السماء يتراوحون صباحا ومساء وكان ظهورها فى كل مكان .

٢٤ ـ وثقب جنب كرشنة بحربة

٢٥ ـ وقال كرشنة للصياد الذى

امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ .

٢٢ ـ يسوع صلب ومات على الصليب .

٢٣ — لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت ، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم .

٢٤ ـ وثقب جنب يسوع بحربة

٢٥ ـ وقال يسوع لأحد اللصين

---

٢٣ — كتاب ترقى التصورات الدينية المجلد الأول ص ١٧

٤٤ — دوان ص ٢٨٣

٢٥ — فشنو برانا ص ٢٨٢

٢٣ — إنجيل متى الإصحاح الثانى والعشرين وإنجيل لوقا أيضاً .

٢٤ — دوان ص ٢٨٢

٢٥ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثالث والعشرين عدد ٣ ، ٤

رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتى إلى السماء مسكن الآلهة	اللذين صلبا معه الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس .
٣٦ — ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات	٢٦ — ومات يسوع ثم قام من بين الأموات .
٢٧ - ونزل كرشنة إلى الجحيم	٢٧ - ونزل يسوع إلى الجحيم
٢٨ - وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً	٢٨ - وصعد يسوع إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا .
٢٩ - ولسوف يأتى كرشنة فى اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء	٢٩ - ولسوف يأتى يسوع فى اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء
٣٠ — وهو أى كرشنة يدين الأموات فى اليوم الأخير	٣٠ — ويدين يسوع الأموات فى اليوم الأخير .

---

٢٦ — دوان ص ٢٨٢	٢٦ — إنجيل متى الإصحاح ٢٨
٢٧ — دوان ص ٢٨٢	٢٧ - دوان ص ٢٨٢ وكذلك كتاب الإيمان المسيحى
٢٨ — دوان ص ٢٨٢	٢٨- إنجيل متى الإصحاح الرابع والعشرين.
٢٩ — دوان ص ٢٨٢	٢٩ — إنجيل متى الإصحاح ٢٤
٣٠ — دوان ص ٢٨٣	٣٠ — إنجيل متى الإصحاح ٢٤ العدد ١ ، ٣ ورسالة الرومانيين.

٣١- ويقولون عن كرشنة: الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٢- كرشنة الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء

٣٣- لما كان كرشنة على الأرض حارب الأرواح الشريرة غير مبال بالأخطار التى كانت تكتنفه ونشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات كإحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأعمى وإعادة المخلوع كما كان أولا ، ونصرة الضعيف على القوى ، والمظلوم على ظالمه وكانوا إذ ذاك يعبدونه ، ويزدحمون عليه ويعدونه إلها

---

٣١ — دوان ص ٢٨٢

٣٢ — دوان ص ٢٨٢

٣١- ويقولون عن يسوع المسيح: إنه الخالق لكل شيء ولولاه لما كان شيء مما كان فهو الصانع الأبدى

٣٢- يسوع الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شيء

٣٣- لما كان يسوع على الأرض كان يحارب الأرواح الشريرة غير مبال الأخطار التى كانت تكتنفه وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب والآيات ، كإحياء الميت وشفاء الأبرص والأصم والأخرس والأعمى والمريض ، وينصر الضعيف على القوى والمظلوم على ظالمه وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه إلها

---

٣١ — إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ١ ، ٣ ورسالة كورنسوس الأولى افسس الإصحاح الثالث العدد ٩

٣٢ — سفر الرؤية الإصحاح الأول العدد ٨

٣٣ - انظر الإنجيل والرسائل ترى كثيراً من هذا الذى ذكرناه

٤٣ - كان كرشنة يحب تلميذه أرجونا أكثر من بقية التلاميذ

٣٥ - وفى حضور ارجونا بدلت هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس ومجد العلى اجتمع إله الآلهة فأحنى أرجونا رأسه تذللا ومهابة وتكتف تواضعا وقال باحترام : الآن رأيت حقيقتك كما أنت وإنى أرجو رحمتك يارب الأرباب فعد واظهر فى ناسوتك ثانية أنت المحيط بالملكوت

٣٦ - وكان كرشنة خير الناس خلقاً وخلقاً وعلماً باخلاص ونصح وهو الطاهر العفيف مثال الإنسانية وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل البرهميين وهو الكاهن العظيم برهما وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت

---

٣٤ - كتاب بهاكافات كيتا

٣٥ - كتاب مورس وليمس المدعو « دين الهنود » ص ٢١٥

٣٦ - المرجع السابق ص ١٤٤

٣٤ - كان يسوع يحب تلميذه يوحنا أكثر من بقية التلاميذ

٣٥ - وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائل هذا هو ابن الحبيب الذى سررت له اسمعوا ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً

٣٦ - كان يسوع خير الناس خلقاً وعلماً بإخلاص وهو الطاهر العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت

---

٣٤ - إنجيل يوحنا الاصحاح ١٣ العدد ٢٣

٣٥ - إنجيل متى الإصحاح ١٧ من عدد ١ إلى ٩

٣٦ - إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣

٣٧ ـ كرشنة هو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية

٣٨ ـ كرشنة الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنيين القائلين بألوهيته

٣٩ — وأمر كرشنة كل من يطلب الإيمان بإخلاص أن يترك أملاكه وكافة ما يشتهيه ويحبه من بجد هذا العالم ويذهب إلى مكان خال من الناس ويجعل تصوره فى الله فقط

٤٠ — وقال كرشنة لتلميذه الحبيب أرجونا إنه مهما عملت

٣٧ — يسوع هو يهوه العظيم القدوس وظهوره فى الناسوت سر أسراره العظيمة الإلهية

٣٨ ـ يسوع الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس عند النصارى

٣٩ ـ وأمر يسوع كل من يطلب الإيمان بإخلاص أن يفعل كما يأتى وأما أنت فتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية

٤٠ — فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل

---

٣٧ ـ فشنوبورانا ص٤٩٢ عند شرح حاشية عدد ٣

٣٨ — كتاب مورس وليمس المدعو العقائد

٣٩ـ ديانة الهنود الوثنية ص٢١١

٤٠ — مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١١

٣٧ ـ رسالة تيموثاوس الأولى الإصحاح الثالث .

٣٨ ـ انظر كافة كتبهم الدينية وكذلك الأناجيل والرسائل

٣٩ ـ إنجيل متى الإصحاح٦ عدد٦

٤٠ـ رسالة كورنتسوس الأولى الإصحاح العاشر من عدد ١ : ٣

ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قربت من قربان ومهما فعلت من الأفعال المقدسة فليكن جميعه بإخلاص لى أنا الحكيم والعليم ليس لى ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ

٤١ — قال كرشنة أنا علة وجود الكائنات فى كانت وفى تحل وعلى جميع مافى الكون يتكل وفى يتعلق كاللؤلؤ المنظوم فى خيط

٤٢ — وقال كرشنة أنا النور الكائن فى الشمس والقمر وأنا النور الكائن فى اللهب وأنا نور كل ما يضىء ونور الأنوار ليس فى ظلمة

٤٣ — قال كرشنة أنا الحافظ للعالم وربه وملجؤه وطريقه

شيء لمجد الله

٤١ — من يسوع وفى يسوع وليسوع كل شيء . كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء به كان .

٤٢ — ثم كلمهم يسوع قائلا أنا هو نور العالم من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة

٤٣ — قال له يسوع أنا هو الطريق الحق والحياة ليس أحد يأتى الأب إلا بى

---

٤١ — مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٢

٤٢ — كتاب موريس وليمس ديانة الهنود ص ٢١٣

٤٣ — دوان ص ٢٨٣

---

٤١ — إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ٣١

٤٢ — إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ العدد ١٢

٤٣ — إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر عدد ٦

٤٤ — وقال كرشنه ، أنا صلاح الصالح وأنا الابتداء والوسط والأخير والأبدى وخالق كل شيء وأنا فناؤه ومهلكه

٤٤ـ وقال يسوع ، أناهو الأول والآخر ولى مفاتيح الهاوية والموت

٤٥ — وقال كرشنه لتلميذه الحبيب لاتحزن يا أرجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها فقط تثق بى وتتوكل على واعبدنى واسجد لى ولا تتصور أحداً سواى لأنك هكذا تأتى إلى المسكن العظيم الذى لا حاجة فيه لضوء الشمس والقمر اللذين نورهما منى

٤٥ — وقال يسوع للمفلوج ثق يابنى مغفورة لك خطاياك ، يابنى أعطنى قلبك والمدينة لاتحتاج إلى شمس ولا إلى قمر ليضيئا فيها الحروف سراجها

---

٤٤ — كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣

٤٥ — كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣

---

٤٤ — رؤيا يوحنا الإصحاح الأول من عدد ١٧ - ١٨

٤٥ — إنجيل متى الإصحاح ٩ عدد ٢ وسفر الأمثال الإصحاح ٣٢ عدد ٢٦ وسفر الرؤيا الإصحاح ١٢ عدد ٢٣

" الهندوسية "

أسس بوذا الدين الذي سنتناوله قريبا بالبحث فانتشر في عصره منذ القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد ، لكن الكهنة الذين سقطت قيمتهم حاربوا البوذية حربا شعواء فاضطرت البوذية الى أن تلتجئ الى الصين واضطر البرهمانيون الى أن ينظروا نظرة جديدة في دينهم القديم ويضعوه بشكل قريب إلى العامة مبسطة قريب منهم يفهمونه ، فوضعوا الديانة التي سميت بالهندوسية ونشرحها فيمايلي :

– (البرهمان) في الديانة الهندوسية هوشيء غير شخصي أي لا شخص له ، ظهر في ثلاثة آلهة في الـ (Trimûtré) وهي :

(البراهما) و (الفيشنو) و (الشيفا) والبراهما هو شخص الالهة وهو اله أحمر اللون له أربعة رؤوس كان يسبح في بيضة ثم كسر البيضة فأخرج من نصفها السماء ومن نصفها الآخر الأرض والتحق قسم منه بأحد النصفين والقسم الثاني بالآخر ، فالقسم الأول منه أصبح ذكرا والآخر أنثى ومن القسمين خلق الحيوان والانسان والكون وبعد أن أتم الخلق انسحب وأصبح بعيدا ولذلك فإن عبادته خفت وتضاءلت وفقدت شعبيتها فليس للبراهما من المعابد الا القليل .

أما فيشنو فإنه كان يحلق في السماء على أجنحة طائر سحري ، وهو شعبي له أثره عند المتعبدين ويعتقد أنه ينقذ الأرواح بالتقمص وبنزوله على الأرض . وله تقمصات عديدة . وثامن تقمص له هو كريشنا ذلك الاله الجذاب الذي حياته حياة شعرية تشبه الأغنية .

والاله الثالث أي شيفا هو اله الموت والخصب . في يده إماتة الطبيعة وإخصابها وهو غريب في أطواره قاس وشهواني يتنعم تارة ويتنزه أخرى .

وهنالك آلهة أخرى أقل أهمية مما وصفنا وعددها كثير وقيل أنها

بلغت ثلاثة ملايين آلهة وهي تتكون من كل شيء فهي من الحيوانات ومن البقر والقردة ومن الأشجار ومن غير ذلك . وهذه العبادة يعتقدها على الأغلب الناس من الطبقات الدنيا .

ولعل سبب انكباب الطبقات الدنيا من الناس على عبادة الحيوانات وبعض النباتات هي أنه تثبت في أذهانها أن الآلهة العظيمة الأخرى منطلقة إلى أعمالها ولا يمكن الوصول اليها وعبادتها إلا في المعابد فقط. فالرجوع عنهم إلى الالهة الصغيرة يظهر عند هذه الطبقات أقرب ويعتقدون أنها تساعدهم في حياتهم اليومية .

والبقرة بين هذه العبادات ذات مكانة خاصة وهي مقدسة يجب أن لا تمس بسوء مهما فعلت هي من سوء .

ويقول بعض الهندوسيين أن البقرة قدست للنفع الكبير الذى ينتج منها فهي تدر الألبان وتعطي السماد . على أن هذا الكلام تأويل للواقع أكثر مما هو حقيقة .

وإلى جانب البقرة يقدس الهندوس الثور لأنه يركبه شيفا على أن البقرة والثور ليسا إلهين عند الهندوس وليس لهما صفة الآلهة إنما هما مقدسان لهما حق شخصي إن صح هذا التعبير فلا يمسان بسوء ويبجلان ويقدسان .

واختلاف الآلهة عند الهندوسيين منشوء على الأغلب من اختلاف الهنود في قبائلهم وعروقهم ومستواهم . وفكرة الكايست عندهم تأخذ مكانها في الديانة الهندوسية وتنتهي إلى أن تشدد على فكرة اجتماعية خاصة وهي أن أفراد الطبقة العليا يجب أن لا يلمسوا أفراد الطبقة الدنيا لكن غاندي ثار على تلك الفكرة ثورة قوية ثم أن الجمهورية الهندوسية الحاضرة أصدرت قانونا يبطلها ويشجبها .

تلك هي آلهة الهندوسيين ومايحوم حولها من أفكار مع أن القضية

المهمة عند الهندوسيين ليست الاعتقاد بدين أو بآلهة ، بل الذى يأخذ مكانه الاهم عندهم هو صفة المعيشة الهندوسية والتقليدية واتباع أصول تلك المعيشة والقيام بالقربان والطقوس التي تتطلبها . وحياة الفرد عندهم مطبوعة بطابع العبادات والطقوس ذات الألوان المختلفة التي تلازم من المهد الى اللحد ، بل هي تبدأ من أشهر حمله الاولى حتى بعد وفاته بعهد بعيد وهي عبادات تدعي أنها تضمن له سلامته وأمنه وتذكره دوما بأنه عضو في المجتمع الذى يعيش فيه ويجب أن يقوم بما عليه نحوه ، وهي شعائر تظهر في معظم المناسبات من ولادة وزواج وموت وغير ذلك ويأتي على رأسها الحج إلى الاماكن المقدسة وهي ترمي بصفة خاصة إلى أن تجعل المجتمع هو الأصل الذى تبني عليه حياة الهندوسيين ، والمجتمع مقدم على الدولة عندهم وحياتهم الفردية والعامة يجب أن تتطبع بما يريد المجتمع أن تتطبع به .

وبعد فإذا كانت الآلهة العديدة من الهندوسيين والمجتمع المهيمن على حياتهم تميز دياناتهم تميزا خاصا ، فإن مايميزها أيضا ويضفي عليها طابع القوى/الغالب هو الاعتقاد بالتقمص . وتلك فلسفة دينية لها الأثر الاكبر عند الهنود في تفكيرهم وعقيدتهم .

فهم يرون أن هنالك روحا عاما ذات جوهر واحد مهما تعددت أشكالها الظاهرة وهذه الروح ليست خاصة بالانسان وحده بل تعم الحيوان أيضا ، وهي تنتقل من الحيوان إلى الانسان فالانسان في الهندوسية ليس كما في الديانات السماوية كائنا متميزا عن غيره من الحيوانات من أن تلك الحيوانات لا تمتلك روحه ، بل الهندوس يرون أن للحيوانات روحا هي من نفس روح الانسان ولا تختلف عنها إلا من حيث تطورها خلال مراحل انتقالها بأثر الكرما .

ويسعى الهندوسيون إلى أن يستفيدوا من هذا التطور ومن الكرمة التي هي تدخل الأرواح من جسم نسخت فيه إلى جسم آخر تولدت فيه ثانية

بشكل يختلف عن شكل الجسم الاول ويستعين بعض الهندوسيين بطريقة في جلب منافع الكرمة وهي طريقة اليوغا ، ويقصدون بهذه الطريقة أن يجعلوا اللقاء بالروح الشاملة ويمارسون في سبيل ذلك أعمالا جسدية ويقومون بتضحيات كثيرة ويتعرضون للآلام ويعتقدون أن طريقة اليوغا تفيد في الحصول على التقمص والتطور من أدنى الى أحسن .

وجملة القول أن الديانة الهندوسية هي مجموعة عبادات وطقوس وآراء وعقائد فيها المظاهر الابتدائية من التفكير والعقيدة ، وفيها الآراء الفلسفية وطابعها الأصلي أنها قومية هندية لم تسع إلى أن تجذب إليها أناسا من خارج الهند بل بقيت هندية خالصة .

=====

" البوذيـة "

بحثنا اليوم لا يتصل بدين له صفة الأديان الأخرى أي الاعتقاد بالاله بل هو جهد وطريق وبحث عن خلاص النفس الانسانية من شقائها وألمها عن طريق التقمص المستمر وتعذيب النفس . قام بهذا البحث رجل عظيم النفس قوي الارادة كثير الحساسية عطوف على الفقراء والمساكين وعلى الناس عامة هو (كوتاما) سنتاول مذهبه بالبحث على أساس عرض تاريخ حياته ففي ذلك العرض يظهر كوتاما على حقيقته التامة وتظهر آراءه ومذهبه ثم اننا عند البحث في حياته نشرح بعض الشيء عن ذلك المذهب في النقاط التي لم ترد معنا في حياته ونفصل بعض التفصيل فيما آل إليه الدين فيما بعد .

على أن حياة كوتاما مزينة بالخرافات ومطلية بطلاء التحلية ، والوصول منها إلى الحقيقة صعب بعض الشيء وسنحاول أن نعطي بالتقريب مايخيل للمرء أنه كانت عليه حياته .

نشأ كوتاما تقريبا عام ٥٦٣ ق . م . والتاريخ ليس متفقا عليه ، وتوفي حوالي ٤٨٣ وهو تاريخ لم يتفق عليه المؤرخون أيضا . والمتفق عليه أن البوذية نشأت في أواخر القرن السادس قبل الميلاد وأوائل القرن الخامس ق . م وتقول الاسطورة أن بوذا نشأ في عائلة غنية كل الغنى وأن والده كان ملكا في احدى مقاطعات (نيبال) . على أن الشيء الذى انتهى إليه البحث هو أن والده لم يكن ملكا وإنما كان رئيسا لقبيلة من القبائل وكان من الأشراف الآريين من طبقة المحاربين وقد ذكرنا بالدرس الماضي أن الآريين هم الطبقة الأولى العالية في نظام (الكايست) فكان والده إذن من الطبقة المتميزة على كل حال ، وعاش بوذا في وسط غني وتمتع بحياة البذخ وتزوج وعمره تسع وعشرون سنة وأنجب . غير أنه كما ذكرنا ذا حساسية شديدة ونفس رقيقة وعطف على الناس فكان يخرج حينا من قصره فيرى الناس في حياتهم وشقائهم وجوعهم فتستفز نفسه ويطيل التفكير . وقيل أنه رأى يوما مريضا وجثة ورجلا

فقيرا فتمثل الشقاء أمام عينيه بأجمعه فعاد إلى قصره واعتمد أن يترك كل ما هو عليه . وغادر في اليوم الثاني قصره ويقال إنه ترك زوجته وهي على وشك الوضع .

كان كوتاما قد تساءل كثيرا ما هذا الشقاء وما سببه . فعمد إلى دراسة الديانة البرهمية فلم يجد فيها سؤاله ووجد أن تلك الديانة تسعى إلى التوحيد بين الأتمان والبراهمان عن طريق التقمصات المتكررة والآلام المتتابعة وتعذيب النفوس . ورأى أن ذلك الدين في يد الكهنة يوجهونه ويستفيدون من قربانه . فمجت نفسه كل ذلك . وكان هذا هو السبب الحقيقي لتركه قصره وهيمانه على وجهه في العالم .

فخرج اذن يبحث عن الحقيقة ويطلبها من العارفين فيتصل باثنين من البراهمة ويأخذ عنهما آراءهما لكنه لا يجد في كل ذلك ما يشبع رغبته فيتركهما ويهيم على وجهه تارة أخرى فيجتمع بخمسة من المتزهدين البرهمانيين ويعرف أنهم يبحثون عن الحقيقة كما يبحث هو وأنهم يعذبون أنفسهم ويتزهدون في الحياة عسى أن يصلوا إلى الحقيقة ، فسار معهم وعاش حياتهم حتى تظهر عظام صدره وحتى يقع على الأرض من الجوع . ويبقى على هذه الصورة ست سنوات سويا واذا به يرى أن كل ذلك ليس بنافع له وأن هذا التعذيب وذلك الصيام لم يؤديا إلى كبير شيء فيعزم أن يعود إلى الحياة العادية حياة التجول دون تعذيب النفس ودون إلحاق الأذى بالجسم ، فيفر منه رفاقه الخمسة إذ خالف عهدهم ويبتعدون عنه ويهيم هو على وجهه يسأل الناس الطعام والايواء ثم يدب به اليأس وهو قد مضى عليه أمد طويل لم يصل إلى مناه ويلجأ يوما إلى شجرة تين فينوى أن لا يغادرها إلا بعد أن يتم له فهم الحقيقة ويبقى تحت تلك الشجرة سبعة أسابيع وهو ينادى الحقيقة ويتأمل ويطيل التأمل ويطلب النور ، وإذا بالنور يأتيه وتنكشف الحقائق له ، فيتحرر ويصل إلى المعرفة وفي هذه الأثناء يأتيه تاجران فيسرع في تعليمهما ما انتهى إليه من الرأى والاكتشاف

فيوءمنان بمايقول . ثم يعود إلى رفاقه الخمسة فيشرح لهم ماوجده فيوءمنون بذلك ويصدقونه . وسنشرح الحقائق التي انتهى إليها مأخوذة من الكتب التي وضعت في الديانة البوذية .

وجد كوتاما وقدسي (بوذا) أي المنور للنور الذى أتاه تحت تلك الشجرة وجد بوذا واكتشف حقائق أربعا هي أساس مذهبه ودينه وهذه الحقائق هي :

١ـ كل موجود كائن في هذا العالم يتلقى الألم في نفسه ويعيش فيه طيلة حياته . ولا قيمة للأشياء . والحياة كلها شقاء وتعذيب ، والحقيقة الأولى اذن هي حقيقة التشاوءم الشديد الذى تتصف به البوذية أكثر من أي دين آخر وهو تشاوءم لا داعي له بالمقدار الذى ذكرته البوذية .

٢ـ ماهو أساس الألم والشقاء ؟ أساسه أن الانسان يبحث عن الشهوة والملذات ويبحث عن زيادة الحياة ويتتبع الحياة ويخلو فيها ويطلب ملذاتها ومسراتها فهو نهم نهما شديدا .

وهذا النهم الشديد هو سبب شقائه وعلة مصائبه . إن هذا النهم تصحبه لذات شهوانية ويزداد البحث عن تلك الملذات فلا يشبع الإنسان من ذلك البحث وينتقل من إشباع للحواس إلى اشباع آخر دون أن يتم الاشباع الكامل بل البحث متصل والجري وراء الشهوة مستمر والرغبة في الحياة متتابعة لا تقف . واللذة والرغبة تجعلان الانسان يتمسك بتلك الأشياء الدنيوية التافهة فيدور في البحث عنها في حلقة متتابعة لا تقف ويتولد خلال ذلك الدوران والتتبع الشيخوخة والموت والعذاب والحزن واليأس (من كلام بوذا نفسه) .

٣ـ يتساءل الانسان وتساءل بوذا : كيف نزيل الآلام لنخلص منها ولنحيا الحياة اللائقة وجواب بوذا عن ذلك أن القضاء على الشهوة يزيل

الآلام والقضاء على الرغبات والنهم المستمر في البحث عن الملذات يبعد الآلام ويزيل العذاب حتى إذا لم يبق عند الانسان أية شهوة (كان التراضي والصفاء والتحرر وطرد النهم العنيف) .

وإذا قضى الانسان على شهوته وتحرر من النهم والعنف استطاع أن يدرك النيرفانا والنيرفانا مبدأ أساسي من مبادئ البوذيـــة اختلف المؤرخون والعلماء في شأنها وما هي : فقال بعضهم إنهـــا الفناء ، وقال آخرون بل هي اليوم الآخر أو حياة أخرى يدخل فيها المرء بعد تحرره من نهمه . والذي انتهى إليه بحث الباحثين المتأخرين هو أن النيرفانا ليست هذا ولا ذاك بل هي تلك النشوة التي تنبعث في النفس من إدراك المنى في أمر روحي هي النشوة التي يصل اليهـا العالم وقد اكتشف اكتشافا جديدا لم يكتشف مثله ، هي النشوة التـي يحس بها المتصوف وقد انتقل إلى عالمه في احساساته ومقاماته . هـي نوع من اللذة الصافية التي لا تحد والتي ليست إحساسا ما .

ولكن كيف نصل إلى النيرفانا وما هي الطريق إلى ذلك ؟ ولعل بحـــث بوذا هو ذا وهو الأصل في مبدئه وأساس دينه . يقول بوذا إن الطريق إلى ذلك هو طريق مثمن أو مبادئ ثمانية :

١- الايمان الصحيح .
٢- العزم المستقيم .
٣- الكلام السليم .
٤- العمل الصالح .
٥- الحياة المستقيمة .
٦- الجهد الصحيح .
٧- الفكر السليم .
٨ - التأمل الصحيح .

هذه هي أسس العمل للوصول إلى النيرفانا وكلها بثمانيتها طرائق صوفية وهي طرائق خيرة بارزة في صلاحها . من طلبها و عمل بها وصل إلى تلك النشوة وتحرر من الألم والشقاء .

والمبدأ السابع منها أي " الفكر السليم " والثامن أي " التأمل الصحيح " يقربان من العبادة وقد يظن أنهما من العبادة ، على أن بوذا لم تكن غايته عبادة إله ما أو البحث عن الالهة فطرائقه جميعها هي لازالة الآلام وللوصول إلى النشوة ولرفع مستوى الانسان من حياة الشقاء ، فليست اذن هذه الطرائق طرائق تعبدية إنما هي أساليب لرفع النفس عن مستوى الحياة الدنية ذات الشقاء .

وتقتضي هذه المبادئ الثمانية ممن يريد أن يصل إلى كامل النيرفانا أن يترك الحياة الدنيوية التي يعيش فيها وأن ينطلق إلى تلك المثل العليا والفكر السليم ، وأن يهيم على وجهه للوصول إلى النيرفانا وهذا ما حض عليه بوذا اتباعه ، فهام التاجران وهما أول رهبان في دينه . وحض أيضا البراهمانيين الخمسة فكانوا من أوائل رهبانه وانطلق هو نفسه في تـرك العالم والتبشير بالحقيقة خلال مابقي من حياته ، وقد عاش فوق الثمانين ، وكان لايلجأ إلى البيوت إلا زمن الشتاء فيدخل عند الامراء والملوك ويبشر بمذهبه ثم يعود بعد انقضاء الشتاء إلى هيمانه والى الاتصال بالناس وإفهامهم ذلك الدين بالرفق واللين ، فالرهبنة إذن أقرب الاشياء إلى تحقيق دين بوذا ، وقد أسست صوامع الرهبنة في أماكن مختلفة من الهند ولجأ الرهبان إليها وتكون نوع من النظام الرهباني المحدد .

وشكا الناس يومئذ من أسلوب بوذا في هجران العائلة والأسواق والانقطاع عن الحياة وكثرت الأرامل بين النساء بذهاب أزواجهن . أما نظام الرهبنة فقد وضع وضعا دقيقا بعد عصر بوذا فصار لا يقبل بين الرهبان إلا من تقدم لامتحان دقيق ، والزم الرهبان بلباس الأصفر ولم توضع درجات بينهم وطبقات

فهم متساوون جميعا . وفي ذلك حرب على مبدأ الكايست .

على أن أكبر الرهبان سنا يقرأ كل يوم على زملائه أقوال الاعتراف يبدؤها بذكر الذنوب الأربعة الكبيرة وهي القتل والزنا والسرقة والاعجاب بامتلاك قوة فائقة ، هذه الذنوب إذا وقع فيها الرهبان طردوا من الصوامع فهي ذنوب كبيرة لا تغتفر ، وهناك ذنوب أصغر ينبغي أن يبتعد عنها الرهبان وهي شرب الخمر ، عدم الأكل إلا في أوقات معينة ، الرقص ، الغناء ، حضور مشاهد الزينة ، التعطر ، استعمال أدوات المنزل المريحة ، أخذ المال .

ونستطيع بعد أن شرحنا مذهب البوذية ويسمى الدرمة أن نلحق به المبادئ الثلاثة الآتية :

آ ـ أثق ببوذا

ب ـ أثق بالشريعة

جـ ـ أثق بالجماعة

والمبدأ الاول الذي هو الثقة ببوذا يوحي لمعتنق المذهب وجوب الايمان ببوذا ايمانا يجعل صاحبه سائرا على مذهبه ، أما المبدأ الثاني فيجعله واثقا بالشرع الذى وضعه ، وينتج عن المبدأ الثالث أن على متبع البوذية أن يثق بالجماعة وبتفسيراتهم التي وضعوها للمبادئ .

ـ الكتب الدينية :

ولعل قول المبدأ الثاني " أثق بالشرع " يوحي بأن الثقة يجب أن تكون بالكتب الدينية التي فيها عرض الشرع . هذه الكتب الدينية كتب باللغة الباليه وهي لغة قديمة ، والشرع سمي باسمها فقيل الشرع البالي وهو يحوي ثلاثة أثبات :

* الثبت الاول :

هو (الفينايا) وهو ثبت التلاميذ ويحوى نظام الرهبنة ونشأتها وتاريخ الرهبان الاولين من اتباع بوذا وكيف تطور أمرهم وفيه اثبات لنظام الرهبنة

اسـمه (سنفا) .

* الثبت الثاني :

هو (Dhamana) الذمانا وفيه مجموعة الوصايـا ومجموعة الشرع البوذي من أقوال بوذا ووصاياه على مايقال على الأقل ماكان يعتنقه تابعوا بوذا في القرون الأولى من دينه . وفي هذا الثبت نجـد المبادئ الأربعة والمبدأ المثمن والوصايا المختلفة .

* الثبت الثالث :

هو الشرع والتعليقات التي وضعها العلماء البوذيون .

ـ على أن البوذيين لا يتفقون كل الاتفاق على نصوص كتبهم وهم أيضـا يختلفون في النظر إلى الدين نفسه فقد تفرقوا إلى فرقتين (هينايانـا) و (مهايانا) ومعنى هينايانا (العجلة هينايانا الصغيرة) ومعنى مهايانا (العجلة الكبيرة) .

وأما الهينايانا فتتبع النصوص القديمة وهي حريصة على الدين البوذي كما وضعه بوذا نفسه وقد انتشرت في جنوب الهند في (سيلان) خاصـة . ويتمسك أصحابها بالمبادئ الأصلية ، وهم يحاولون أن يصبحـوا كالبـوذا فيما يتبعونه من تعاليم ويرون أن الانسان يجب أن يكون بوذا لنفسه وأن يصل إلى النيرفانا بنفسه فسعيهم فردي يصلون به إلى الحقيقة فيكتفون بذلك ولا تقديس عندهم للأفراد الآخرين ولا يؤمنون بالآلهة .

أما فرقة المهايانا فقد انتشرت انتشارا كبيرا وعدلت البوذية القديمة وجعلتها قريبة من فهم الأقوام التي اعتنقوها ، ويحاول أتباع المهايانـا اكتشاف ما اكتشفه بوذا نفسه ثم تعليم الآخرين هذا الشيء المكتشف ، فهـم إذن يكرسون أنفسهم للحياة الاجتماعية ويطمعون بالوصول إلى النرفانـا لا للاستفادة الشخصية فحسب بل لافادة الناس أيضا وتعليمهم وعلى ذلك فهل أقل فردية من الهينايانا وهم يؤمنون بقدسية أولئك الذين ساروا سيرة

بوذا وانتهوا الى معرفة حقائقه وانكبوا على افادة الناس بها ويعتبر المهايانا أن في كل نفس انسانية ذرة من بوذا يمكن تنميتها بحيث يصل الشخص الى درجة من القدسية . والواقع أن هؤلاء القديسين قد بلغ من اعتبار العامة لهم أن جعلوهم شبه آلهة يعبدون وتنشأ لهم الهياكل ويصلى لهم كصلاة البراهمانيين . هذه العجلة غيرت إذن طريقة بوذا وفي بعض المدارس المهايانية كادت طريقة بوذا وتعاليمه تتضاءل بحيث لا يبقى لها أثر.

وأساس العقيدة المهايانية هي تمثل كائن سام خالد أى تمثل بوذا مطلق يظهر في القديسين في أجيال مختلفة .

هذا والفرقتان تؤمنان معا بالمبادئ الأساسية الأربعة وبالمبدأ المثمن وتحضان على عدم الشرور والعفو عن الأعداء وتلحان بصفة خاصة على أهمية النوايا الطيبة الأخلاقية وعلى وجوب التسامح .

انتشرت الهينايانا في سيلان والهند الصينية . وأما المهايانا فانتشرت في الصين ذلك أن امبراطورا صينيا أرسل من أحضر له عالمين بوذيين ترجما له إلى الصينية الكتب المقدسة البوذية واطلع عليها علماء بلاده فاذا بالبوذية تنتشر في الصين في القرن الرابع والخامس للميلاد . ثم استقر الأمر عند الصينيين على الأخذ بمبدأ المهايانا وطوروا مبادءها فانتهوا من ذلك إلى جديد فيها هو عقيدة وجود الآخرة وفيها السعادة للسعداء والعذاب لغيرهم عذاب يقصد منه تخليصهم من الآثام ورفعهم.

* مقارنة بين البوذية والنصرانية :

يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة : ومن الغريب أن الأوهام التي جعلها بوذيو التبت أوصافا لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون شخصية للمسيح بعد تغيير النصرانية ، وها هي ذي بعض المقابلات بينهما لتعرف وجه التطابق ، (منقولة من كتاب " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" (١) .

---

(١) : مقارنات الأديان ص ٥٤ — ٦٨ .

أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين فى المسيح ابن الله
١ ـ كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا	١ ـ كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم
٢ ـ لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل فى جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة	٢ ـ لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة
٣ ـ وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه « نجم بوذا »	٣ ـ وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق ، وقال داون : من الواجبات أن يدعى «نجم المسيح»
٤ ـ لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم بوذا على الأرض كى يعطى الناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة وتهب بصراً للعمى.	٤ ـ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمداً للواحد المبارك قائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة
٥ ـ وعرف الحكماء بوذا وأدركوه	٥ ـ وقد زار الحكماء يسوع

---

٥ ـ دوان ص ٢٩٠

٥ ـ إنجيل متى الإصحاح الثانى من عدد ١ إلى ١١

بوذا	يسوع
أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إلها	وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة
٦ - وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة	٦ - وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر
٧ - لما كان بوذا طفلا قال لأمه مايا إنه أعظم الناس جميعاً	٧ - لما كان يسوع طفلا قال لأمه مريم (أنا ابن الله)
٨ - كان بوذا ولداً مخيفاً وقد سعى الملك بميسارا وراء قتله لما أخبره أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حياً	٨ - كان يسوع ولداً مخيفاً سعى الملك هيرودوس وراء قتله كيلا ينزع الملك من يده
٩ - لما أرسل بوذا إلى المدرسة أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس	٩ - لما أرسل يسوع إلى المدرسة أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه

بوذا	يسوع
٦ - دوان ص ٢٩٠	٦ - إنجيل متى من الإصحاح ٢ عدد ١١
٧ - كتاب هردى المدعو العقائد البوذية ص ١٤٥، ١٤٦	٧ - إنجيل الطفولية الإصحاح ١ عدد ٣
٨ - كتاب تاريخ البوذية تأليف فيل ص ١٠٣ ، ١٠٤	٨ - إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد الأول
٩ - كتاب هردى « العقائد البوذية» وتاريخ الديانة البوذية لنيل	٩ - إنجيل الطفولية الإصحاح ٢٠ عدد وإنجيل لوقا

من قبل وفاق الجميع فى الكتابة والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة والتنجيم والكهانة والعرافة .

١٠ ـ لما صار عمر بوذا اثنتى عشرة سنة دخل الهياكل وصار يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه

١١ ـ ودخل بوذا مرة أحد الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها وتمددت عند رجليه سجوداً له .

١٢ ـ ويصلون نسب كوتامابوذا من أبيه « صدودانا » فى أناس كلهم من سلالة ملوكانية إلى ماها سماطا وهو على زعمهم أول ملك صار فى الدنيا . والحوادث والأنساب المذكورة فى كتاب «بيوراز» البرهمى

يوسف « لقد أتيتنى بولد لأعلمه مع أنه أعلم من كل معلم »

١٠ ـ لما صار عمر يسوع اثنتى عشرة سنة جاءوا به إلى أورشليم وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع

١١ ـ وكان يسوع ماراً قرب حاملى الأعلام فأحنت الأعلام رؤوسها سجوداً له .

١٢ ـ ويعدون سلالة يسوع من أبيه يوسف فى أشخاص مختلفين وكلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم أبى البشر وكثير من الأسماء والحوادث المذكورة فى سلالته مذكورة فى التوراة كتاب اليهود .

---

١٠ ـ بنصن « الملاك المسيح » ص ٣٧

١١ ـ بنصن « الملاك المسيح » ٦٧ إلى ٦٩

١٢ ـ دوان ص ٢٩١

١٠ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح ٢١ عدد ٢١

١١ ـ إنجيل نيكوديموس الإصحاح الأول العدد ٢٠

بوذا	يسوع
وجد فى أنسابه غير أنه لا يمكن تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها وسبب ذلك هو أن مؤرخى البوذية اخترعوا فيها أسماء تمكنهم من إعلان نسب حكيمهم فوق اعتبارهم إياه إلها .	
١٣ ـ لما عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه « مارا » أى الشيطان ، كى يجربه .	١٣ ـ لما شرع يسوع فى التبشير ظهر له الشيطان كى يجربه .
١٤ ـ وقال مارا « الشيطان » لبوذا لاتصرف حياتك فى الأعمال الدينية لأنك بعدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا .	١٤ ـ وقال « أى إبليس » له (أى يسوع) أعطيك هذه « أى الدنيا » جميعها إن خررت وسجدت لى
١٥ ـ فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل قال له اذهب عنى .	١٥ ـ فأجابه المسيح وقال اذهب يا شيطان .

١٣ ـ دوان ص ٢٩٢	١٣ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١ ـ ٨
١٤ ـ دوان ص ٢٩٢	١٤ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ من ١٠ ـ ١١
١٥ ـ دوان ص ٢٩٢	١٥ ـ إنجيل لوقا الإصحاح ٤ عدد ٨

١٦ ـ ولما ترك مارا (أى الشيطان) تجربة بوذا أمطرت السماء زهراً وطيباً ملأ الهواء طيب عرفه .

١٧ ـ وصام بوذا وقتاً طويلا

١٨ ـ وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضراً وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذى فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا .

١٩ ـ ولما كان بوذا على الأرض فى أواخر أيامه بدلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل « بنداقا » أى الأصفر المبيض فى « سيلان » ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل

١٦ ـ ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه .

١٧ ـ وصام يسوع وقتاً طويلا

١٨ ـ ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذى فيه تم تجسده عندما حل بالعذراء مريم فهو الآب والإبن وروح القدس .

١٩ ـ لما كان يسوع على الأرض بدلت هيئته ، وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه

---

١٦ ـ دوان ص ٢٩٢

١٧ ـ دوان ص ٢٩٢

١٨ ـ كتاب الملاك المسيح ص ٤٥ تأليف بيمن .

١٩ ـ كتاب الملاك المسيح ص ٤٥

١٦ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١١

١٧ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢

١٨ ـ إنجيل متى الإصحاح ٧ عدد ١ ، ٢

إكايل ويقولون إن جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضيء كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التحول فى هيئته قالوا ما هذا بشراً إن هو إلا إله عظيم .	كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور
٢٠ ـ وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره	٢٠ ـ وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره .
٢١ ـ وفى صلاتهم لبوذا يتأمل المؤمنون به دخول الفردوس .	٢١ ـ وفى صلاتهم ليسوع يتأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس.
٢٢ ـ لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفاء وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية « أى بقوة إلهية » .	٢٢ ـ لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفاء وفتح القبر بقوة إلهية .

---

٢٠ ـ دوان ص ٢٩٣	٢٠ ـ إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد ٢٨ ـ ٣٤ وغيره .
٢١ ـ دوان ص ٢٩٣	٢١ ـ دوان ص ٢٩٣
٢٢ ـ كتاب بنصن اللاك المسيح ٤٩	٢٢ ـ إنجيل متى الإصحاح ٢٨ وإنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠

٣٣ ــ وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض	٢٣ ـ وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله فى الأرض
٤٢ ـ ولسوف يأتى بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها	٢٤ـ ولسوف يأتى يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها
٢٥ ـ وسيدين بوذا الأموات	٢٥ ـ وسيدين يسوع الأموات
٢٦ـ دبوذا الألف والباء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم ؛ والواحد الأزلى	٢٦ ـ يسوع الألف والباء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم ، والواحد الأبدى
٢٧ ـ قال بوذا فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا على ، ليخلص العالم من الخطيئة	٢٧ـ يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ويخلص العالم
٢٣ ـ دوان ص ٢٩٣	٢٣ ـ أعمال الرسل الإصحاح الأول عدد ١ ـ ١٢
٢٤ ـ دوان ص ٢٩٣	٢٤ ـ أعمال الرسل الإصحاح الأول
٢٥ ـ دوان ص ٢٩٣	٢٥ـ إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ٢٢
٢٦ ـ دوان ص ٢٩٣	٢٦ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ١ عدد ١
٢٧ ـ كتاب مولر المدعو تاريخ الآداب السنسكريتية ص ٨٠	٢٧ ـ دوان ص ٢٩٣ وكذلك التعليم المسيحى

٢٨ ـ قال بوذا ـ أخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها ، واعترفوا بذنوبكم علانية

٢٩ ـ ويصفون بوذا أنه ذات من نور غير طبيعية والشرير مارا « ويدعونه أيضاً الحية » ذات مظلمة غير طبيعية

٣٠ ـ وفى أحد الأيام التى أناندا تلميذ بوذا وهو سائر فى البلاد بالمرأة «مناجى» وهى من سبط الكندلاس المرذولين قرب بئر ماء ، فطلب منها قليلا من الماء فأخبرته عن سبطها وأنه لا يجوز له أن يقترب منه ، لأنها من سبط محتقر ، فقال لها يا أختى إنى لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك ، إنما سألتك شربة ماء فصارت من ذاك الحين تلميذة بوذية

٢٨ ـ قال يسوع أخفوا الأعمال الحسنة التى تفعلونها ، واعترفوا بذنوبكم علانية

٢٩ ـ ويصفون يسوع أنه ذات من نور طبيعية ، شمس بر وعدوه الشيطان الحية القديمة

٣٠ ـ وفى أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء بعد ما سار مسافة ، حتى كان ينهكه التعب ، وبينما هو قرب البئر عند مدينة السامرة أتت امرأة سامرية لتملأ جرتها من البئر ، فقال لها يسوع اسقينى شربة ماء فقالت له المرأة السامرية أنت يهودى وكيف تطلب منى شربة ماء فإن اليهود لا يستحلون معاملة السامريين

---

٢٨ ـ مولر كتابه المدعو العلوم الدينية ص ٢٨

٢٩ ـ بنصن الملاك المسيح ص ٣٩ ودوان ص ٢٩٤

٣٠ ـ كتاب مولر الموعو العلوم الدينية ص ١٤٠

٢٨ ـ إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ١ ورسالة يعقوب

٢٩ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ العدد ١ وإنجيل لوقا

٣٠ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ عدد ١ : ١٦

٣١ - قال بوذا إنه لم يأت لينقض الناموس كلا بل أتى ليكمله وقد سره عد نفسه حلقة فى سلسلة المعلمين الحكماء.

٣٢ - وبحسب تعليم بوذا يجب أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى

٣٣ - وفى أوائل أيام بوذا التى علم وبشر وفيها ذهب إلى مدينة بينارس وعلم فيها فتبعه كوندينا ثم تبعه أربعة رجال آخرين وصاروا جميعهم تلامذة له، ومن ذلك الحين صار إينما علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون ويصيرون من أتباعه وتلاميذه

٣٤ - وقال بوذا للذين صاروا

٣١ - قال يسوع لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ماجئت لأنقض بل لأكمل

٣٢ - وقال يسوع أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم

٣٣ - وفى أوائل أيام يسوع التى علم وبشر فيها ذهب إلى مدينة كفر ناحوم وعلم فيها فتبعه من ذاك الحين أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ له، ومن هذا الحين صار أينما كرز يتبعه رجال ونساء كثيرون يؤمنون به

٤٣ - وقال يسوع للذين صاروا

---

٣١ - كتاب بنصن الملاك المسيح ص ٤٧، ٤٨

٣٤ - هاردى فى كتابه الموعو الرهبانية فى الشرق ص ٥، ٦٢

---

٣١ - إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ١٧

٣٢ - إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ٤٤

٣٣ - إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١٣ - ٢٥

٣٤ - إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد ١٩، ٢٠ والإصحاح ١٦ عدد ٢٥-٢٦

تلامذة ليتركوا الدنيا وغناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة

٣٥ — وجاء فى كتاب البوذية القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا من بوذا علامة «أى آية» ليؤمنوا به

٣٦ — لما اقترب انتهاء أيام بوذا على الأرض وعلم الحوادث المقبلة التى ستقع قال لتلميذه : أناندا ما يأتى يا أناندا متى أنا ذهبت لا تظن أنه لم يعد لبوذا وجود كلا ، فالكلام الذى قلته والفرائض التى افترضتها تكون خلفاً عنى وهى لك كذاتى أنا

٣٧ — وجاء فى التعاليم البوذية أن إنفاق الإنسان لما له من أعظم الصعوبات ومن ينفق غناه هو أشبه بمن يهب روحه ؛ لأن النفس تبخل

---

٣٥ - كتاب علم الأديان ص ٣٧ تأليف مولر

٣٦ - كتاب المونَاشيزم الشرقية ص ٢٣٠ تأليف هاردى .

٣٧ - مولر فى كتاب علوم الدين ص ٢٤٤

تلامذة له ليتركوا غناهم وينذروا عيشة الفقر والفاقة

٣٥ — وجاء فى كتب النصارى المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع آية كى يؤمنوا به

٣٦ — لما اقترب انتهاء أيام يسوع على الأرض أخبر عن الحوادث التى ستقع من بعده وقال لتلاميذه : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم . وعلموهم أن يحفظوا هم جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر

٣٧ — وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل ليكون الحياة الأبدية . قال له يسوع : إن أردت أن تكون كاملا فاذهب

---

٣٥ — إنجيل متى الإصحاح ١٢ عدد ١٢

٣٦ — إنجيل متى الإصحاح ٢٤ وإنجيل مرقس الإصحاح ٨ عدد ٣١

٣٧ — إنجيل متى صحاح ٦ عدد ١٩ ، ٢٠

بالمال وتتمسك به، وبوذا قد وهب ونذر حياته شفقة وحنواً لخير الناس، فلماذا تتمسك بغناء الدنيا الزهيد، ولما تخلص بوذا من حب المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال المعرفة الإلهية وصار الرأس فليعمل الرجل الحكيم الهاجر للذات الدنيا الخير مع كل أحد حتى تقديم نفسه فداء عن الغير، عندها يصل إلى المعرفة الحقيقية

اعط وبع أملاكك والفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون

٣٨ - وكان قصد بوذا تشييد مملكة دينية أى مملكة سماوية

٣٨ - ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز يقول توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات.

٣٩ - وقال بوذا الآن أحببت إدارة دولاب الشريعة العظيم، ومن أجل هذا فإنى ذاهب إلى مدينة بينارس لأهب نوراً للتائهين فى الظلام وأفتح باب الحياة للانسانية

٣٩ - من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدأ يسوع بتأسيس مملكة دينية، ومن أجل هذا الغرض ذهب إلى مدينة كفر ناحوم ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول

---

٣٨ - بيل تاريخ البوذية ص ١٠

٣٩ - بيل تاريخ البوذية ص ١٤٤

٣٨ - إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٧

٣٩ - إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢١، ١٧

توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نوراً عظيما ، والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور .

٤٠ — وقال بوذا للتلميذ الحبيب أناندا إن كلامى لاريب فيه فلا يزول قطعياً ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعاً

٤٠ ـ الناموس أعطى لموسى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صار الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامى لايزول .

٤١ — قال بوذا لا يوجد شيء أعظم فعلا فى الانسان من الاشتهاء والهواء الشهوانى ولحسن الحظ والسعادة لا يوجد سوى اشتهاء شهوانى واحد ولو كان يوجد اشتهاء آخر لما كان على وجه الأرض رجل يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق بصركم فى النساء وإن كنتم مجتمعين معهن فاجعلوا إجتماعكم كأنكم غير

٤١ ـ قال يسوع : قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن ، وأما أنا فأقول لكم إن كلَ من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها قلبه .

---

٤٠ — بيــل تاريخ البوذية ص ١١

٤١ — كتاب تقدم الأفكار الدينية المجلد الأول ص ٢٢٨

٤٠ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح الأول عدد ١٧ وإنجيل لوقا

٤١ ـ إنجيل متى الإصحاح الخامس عدد ٢٧ ، ٢٨

حاضرين مغبـــم وإذا كلمتوهن فاحترسوا على قلوبكم

٤٢ — وقال بوذا الرجل العاقل الحكيم لا يتزوج قط ويرى الحياة الزوجية كأتون نار متأججة ومن لم يقدر على العيشة الرهبانية يجب عليه الابتعاد عن الزنى

٤٣ — ومن جملة التعاليم البوذية قولهم إذا أصاب الإنسان حزن وآلام و بؤس وقنوط فإن ذلك يدل على أنه ارتكب آثاما، وهذه الآلام جزاء عليها ، وإذا لم يكن ارتكب شيئاً من الآثام فى هذا الدور الحاضر من حياته لابد أن يكون قد ارتكبه فى أحد الأدوار السابقة من ظهوره « أى فى أحد أدوار تقمصه »

٤٢ — فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليزوجوا لأن التزويج أصلح من التحرق .

٤٣ — وفيما هو مجتاز رأى إنسانا أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ . . هذا أم أبواه حتى ولد أعمى

---

٤٢ — ريس دانس فى كتابه المدعو البوذية ص ١٠٣

٤٣ — ريس دانس فى كتابه المدعو البوذية ص ١٠٤

٤٢ — رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح ٧ عدد ١ - ٩

٤٣ — إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع عدد ١ ، ٢

٤٤ - كان بوذا يعلم أفكار الناس عند ما يدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٥ - وجاء فى كتاب السوماديفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوذيين أنه قلع عينه ورماها لأنها شككته

٤٦ - لما عزم بوذا على التنسك كان راكباً جواداً يدعى كنتاكو ففرشت الملائكة طريقه بالزهر

---

٤٤ - هردى فى كتابه المدعو خرافات البوذيين ص ١٨

٤٥ - كتاب مولر المسمى العلوم الدينية ص ٥٤٢

٤٦ - هردى فى كتابه المسمى خرافات البوذيين ص ١٣

٤٤ - كان يسوع يعلم أفكار الناس عند مايدير تصوراته نحوهم وأنه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها

٤٥ - قال يسوع فإن كانت عينك اليمين تعثرك فاقلعها وألقها عنك

٤٦ - لما كان يسوع داخلا أورشليم راكباً على حمار فرشت له الجموع الطريق بأغصان النخيل

---

٤٤ - إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع كلامه مع المرأة السامرية

٤٥ - إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ٢٩

٤٦ - إنجيل متى الإصحاح ٢١ عدد ١ ، ٩

" الجينيــــة "

ذكرنا أن البوذية في أصلها احتجاج على البراهيمية وعلى طقوسهـــا وعلى كهنوتها وعلى قرابينها وقد سبقتها حركة أخرى تشابهها في ذلك هي الديانة الجينية .

وضع هذا الدين وبشر به (مهافيرا) الذي اسمه (جينا) ومعنـــاه (المنتصر) أي المنتصر على كل الشهوات البشرية . وجينا ابن لمهراجا في الهند وقد توفي بين عام ٥٢٨ – ٤٦٨ ق.م فهو اذن أقدم من بوذا حتى ليقال إن بوذا اتبع تعاليمه أول الأمر . مال جينا إلى التزهد فترك أهله وانقطع إلى العبادة والتعليم عشر سنوات ، فاذا به يرى أنه قد انكشـــفت له معارف العالـــم وانتصر على الشهوات وعلى (الكرمـــا) فأخذ ينشر مذهبه وتعاليمه .

يقول المذهب الجيني أن العالم يمر في دورتين وفي كل دورة أربعة وعشرين جينا (تنتصر على الشهوات) وقد مر العالم في الدورة الأولـــى وهي دورة صعود نحو الخير وقوة في جســـم الانسان وامتداد في حياتـــه ، أما الدورة الثانية وهي الدورة التي فيها الانسان الآن فهـــي دورة تقهقر وهبوط مستمر ،وقد ظهر الأربعة وعشرون جينا فكان آخرهم مهافيــــــرا ، وتضيف تلك التعاليم أن كل شيء في العالم خالد (المادة والجسم والروح). أما الأرواح فتحافظ على شعورها بنفسها دوما خلال كل مراحلها وتقمصاتها. على أن سلوك المرء خلال تقمصاته يؤثر فيه إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا ، وقد يبلغ المرء النرفانا بعد تقمصات عددها ثمانية . أما الزهـــاد فقـــد يبلغون ذلك في اثنتي عشرة سنة دون تقمص وذلك باتباع مبادئ فيها نكران شديد للنفس ،واتبـــاع للنظـــام الرهبانـــــي وأخذ بخمسة مبـادئ لا يحـــاد عنها :

أولها : – وهو (أهيمسا) عدم أذية أي مخلوق كان يستوى في ذلك الانسان

والحيوان والحشرات فكل حياة مقدسة كحياة الانسان وخالدة مثله .

ثانيهما :ـ ذكر الحقيقة دون مواراة .

ثالثهما :ـ عدم السرقة . .

رابعهما :ـ عدم اقتناء الاموال الدنيوية .

خامسهما :ـ التغلب على الشهوات الجسدية .

تلك هي المبادىء التي تسهل على الزهاد بلوغ النرفانا في مدى اثنتي عشرة سنة .

وهنالك ثلاثة مبادىء تفيد كل إنسان وهي العقيدة الصحيحة والمعرفة الصحيحة والسلوك الصحيح .

وكان الجينيون لا يعبدون إلهاما ، وينبذون الآلهة والأرواح والشياطين ثم اتخذوا بأخرة بعض آلهة الهندوسية إلى جانب جينا . وهم ملزمون بـأن يمارسوا حرفة شريفة لا يتعرض فيها ممارسها لقتل أي روح . وعليهم أن يكونوا محسنين متواضعين وألا يدعوا فرصة تفوتهم دون البحث عن عمل الخيـر . وعددهم اليوم قليل فهم لا يتجاوزون مليونا ونصف المليون .

++++++

" السـيخ "

وضع ديانة السيخ (نانك) . ونانك هندوسي . ولد حوالي عام ١٤٦٩ وتوفي عام ١٥٣٨ ... نشأ في عائلة متوسطة فقيرة وتعلم أول الأمر على معلم مسلم فعرف الإسلام عن طريقه ، ثم اتصل بغيره من المعلمين وأراد والده أن يجعل منه مثريا عن طريق التجارة . لكنه أبى وألقى بثروته وماله إلى الفقراء وخرج من بيته فعمل خادما عند شريف من الشرفاء المسلمين . ولما بلـغ الخامسة والثلاثين من عمره رأى رؤيا فكأن يدا تمد إليه بكوز ماء وكأن أبواب الجنة قد فتحت له وصوتا يناديه قائلا :

" اذهب وردد اسمي واجعل الناس يرددونه ، ثابر على السير على الصراط المستقيم في الاسم ، والصدقات والطهارة وذلك خدمة لـي ولاسمي ولـذكراي . "

فعمل هذا القول وسار به يدعو إلى دين جديد ويرحل من مكـان إلى مكان حتى يقال أنه بلغ مكة ، ويقال أن كلا من المسلمين والهندوسيين طالبوا بجثته حين وفاته تأكيدا لصلته بهم . ويذكر بهذه المناسبة أن جثته وجدت على شكل كتلة من الأزهار .

يعتبر نانك في ديانة السيخ التي أسسها أول معلم (Gara) تبعه تسعة معلمين آخرين آخرهم (Govind Sing) من أهـل القرن السابع عشر .

وحاول كوفيند سينغ أن يرفع من مكانة السيخ إلى طبقة المقاتليـن والواقع أنهم أصبحوا محاربين من طبقة قوية حتى أنهم أتعبوا الانكليـز في حروبهم لهم ولما انتهت حربهم مع الانكليز عمد هؤلاء إلى الاستفادة منهم في الجيش فكانت أحسن عناصر الجيش منهم .

ويمكن أن نلخص عقيدتهم بقولين اثنين :

(١) ـ وحدة الالـه (٢) ـ أخوة النـاس

فالله عند السيخ واحد أحد والناس متآخون بل الأديان جميعها دين واحد . وقد تأثر دين السيخ بدينين آخرين ، تأثر بالهندوسية وبالاسلام . أخذ من الهندوسية فكرة التقمص وفكرة النرفانا وأن العالم واحد وهو (Maraga) لكن " نانك " نبذ فكرة التزهد والرهبنة الموجودة في الهندوسية ونبذ فكرة الحج والغسل في الأنهار المقدسة والتسول والبطالة واستنكر الكايست " طبقات الناس " أما من الإسلام فقد أخذ التوحيد توحيدا مطلقا خالصا تاما وأخذ منه فكرة الاله وصفاته فالاله رحيم رحمن محب لعباده هادم للآلام يحب الفقراء ويعطف عليهم . وأخذ من الإسلام أيضا بعض النواحي الاخلاقية فنهى عن قتل الأولاد وعن دفن الزوجات مع أزواجهم وعن زواج الأولاد ممن هم دون سن البلوغ . هذا ودين السيخ يرى أن في كل نفس شيئا من الاله وجودها في هذا العالم إنما هو تجربة للرجوع إلى الاله والاتحاد به .

يتميز السيخ من حيث مظهرهم الخارجي بالشعور الطويلة واللحى المسدلة . ومن عباداتهم النهوض باكرا وأخذ حمام بارد والتأمل في اسم الله والصلوات في الصباح والمساء بتلاوة بعض الأقوال . يبلغ عدد السيخ في الهند ماينوف على عشرة ملايين نسمة يقيمون في البنجاب وقد فضل السيخ حين تقسيم الهند أن يلتحقوا بالهند نفسها .

+XXXXXXXXX

الفصل الرابـــع فـــي :
" ديانات الصيـــن "

لا يوجد في اللغة الصينية كلمة واضحة المعنى بينة الفكرة تدل علـى مايقابل كلمة الدين في اللغات الاخرى والكلمة التي يستعملونها للدلالـة على مايقرب من الدين هي كلمة تفيد مايقابل في العربية لفـظ المذهــب. والواقع أن الدين عند أهل الصين ليس دينا على مانعرفه من لفظ الدين إنما هو سلوك انساني وفلسفة أخلاقية ونظرة إلى الحياة الاجتماعيـة وتنظيم لتلك الحياة . فينبغي علينا إذن حين البحث في أديان الصين عامة بل علينـا أن ننظر الى تلك الاديان على أنها نهج أخلاقي وسلوك وطريقة ومبـادئ اجتماعيـة .

وكان في الصين قبل تاريخها المعروف ديانة فيها عبادة المظاهـر الطبيعية لا سيما السماء التي كانت تعبد وتقدس ويقدم لها القرابين . وكان في عبادة الصينيين القديمة طقوس كـثيرة مشتبكة أضيفت إليها طقوس أخـرى من الأديان التي لحقت بعد ذلك فتشابكت وأصبحت على غاية التعقيـــد . والأديان اليوم في الصين هي البوذيـــة والطاوية والكونفوشوسية .

إلى جانب الاسلام . وسنشرع في بحث الدينين اللذين لم نتعرض لهما قبـل الآن وهما الطاوية والكونفوشوسية .

+++++++

" الطاويــــة "

تنسب هذه الديانة الى فيلسوف اسمه " لاأوتي " على أن شخصية هـذا الفيلسوف ليست شخصية واضحة في التاريخ . ويقول عدد كبير من علمـــاء الأديان أن تلك الشخصية خيالية وان قصته موضوعة . تلك القصة وجـــدت على الشكل الآتي :

ولد نحو عام ٦٠٤ ق.م وعمل خازنا للوثائق عند الامبراطور ثم تـرك عمله وقد شاخ وقصد أن يخرج خارج المملكة فلما كان على حدودها اسـتوقفه موظف من موظفي الحدود وألقى عليه بعض الأسئلة فانكب يحرر جوابه ثم قدم إلى هذا الموظف ماحرره في كتاب سماه (تاء وتي كنـغ) ومعناه شريعـــة الصراط والفضيلة ويقول بعض العلماء أن هذا الكتاب حرر في القرن الثالـث قبل الميلاد . وهو كتاب معقد كل التعقيد متناقض في فصوله وأجزائه يصعـب فهمه وقد أتى شانغ تسي فوضحه وفسره .

وبعد فلا نستطيع أن نجزم برأى معين عن موئسس دين الطاوية بل نترك شأنه للتاريخ المقبل . أما كلمة " طاءو " التي أدخلت في اسم الدين وفي اسـم كتابه المقدس فهي كلمة لا يمكن تحديدها بل إن الكتاب المقدس حين ذكرها اعتـــرف بأن مفهومها الاصلي الذى وضعت له لا يمكن تحديده ولا تصويره وقد تفيـد هذه الكلمة مايقابل معنى الصراط بالعربية على أنها قد تعني مجرى الحياة ومجرى الكون ونظامه وتتابعه . أو قد تعني القوة الكامنة في الطبيعة أوخلفها والتي يسرى بها الكون . وهي قوة تقول الديانة عنها أنها أوجدت الكون من لا شيء وتستطيع أن تجعل من الكون مرة أخرى لا شيء أيضا فتعيد ماكـان إلى ماكان . وليس للاله ذكر في كـتاب الطاوئيـة إلا مرة واحدة ذكر فيها فقيل إنه وجد بعد الطاءو .

مختصر القول في الطاوئية أنها مذهب يدعو إلى ترك الأمور تســـرى

على أعنتها دون أن يبذل الانسان جهده لتغييرها . ويخيل إلي أن الذى يدعو لذلك هو أن هنالك قوة تسير الكون وهي الطاءو فلندعها تسيره ولنعتمد عليها . ويقدم علماء ذلك المذهب مثالا على ترك الأمور تجري فيقولون انظر إلى الماء كيف يجرى من الأعلى إلى الأسفل فيخضع لتلك القوة التي تسيره . والماء تكمن فيه قوة هائلة فهو يستطيع حينا أن يقلع الصخر من مكانه فلنكن كالماء نجري مع الطاءو ونسير ونخضع لها . ويصورون معتنق المذهب تصويرا يجعلونه فيه قابعا في بيته مكتفيا بما عنده لا يبحث عن الجديد من الأمر ولا يطلب الكثير ويطلبون من الحكومة أن تكون محدودة ضيقة الجهاز لا متسعة ولا باحثة عن التطور والاتساع والمثل الأعلى عندهم هو التحرر من الشهوة والتجربة الحسية وذلك بالتأمل الصوفي .

وقد أخذت الطاوءية خلال مراحل تطورها من البوذية والكونغشسية فوضعت مبادئ عشرة لمعتنقيها وهي :

١ــ اجلال البنين لآبائهم وأجدادهم .

٢ــ الاخلاص للامبراطور والمعلمين .

٣ــ المعاملة الطيبة مع كل المخلوقات .

٤ــ الصبر واستنكار السلوك السيء .

٥ــ تضحية النفس في سبيل مساعدة الفقراء .

٦ــ تحرير الارقاء .

٧ــ غرس الشجر .

٨ ــ اقامة الآبار وفتح الطرقات .

٩ ــ تعليم الجهال وتحسين الأحوال .

١٠ــ دراسة الكتب المقدسة وتقديم القرابين للآلهة .

أما عقيدتهم في الالهة فهي عقيدة على رأس آلهتها مثلث من الآلهة هم : " لاءوتسي " والامبراطور " جادى" وهو سلطان الكون عندهم ثم أول

كائن في السماء . على أن الطاو تبقى مقدمة على الآلهة لأن فيها سر الكون .

أما فلسفة الطاوية فمعقدة غاية التعقيد غير بينة المعالم . على أنها بعد أن تدرجت في الزمن آلت إلى البحث عن " اكسير الحياة " وأصلها وجوهرها ومادتها الأولى وكيفية الوصول اليها وشحنها في نفوس الناس وإطالة العمر . وقيل إن أحد علمائهم وصل إلى ذلك الاكسير واكتشفه . وفي فلسفة الطاوية وذهب فيه تفريق بين قوتين كونيتين احداها موجبة وهي "يانغ" المبدأ الذكر وهي السماء . أما القوة السالبة فهي "يين" المبدأ المؤنث وهي الأرض . وباتحاد القوتين خرج العالم وعم الكون . والبحث عن اكسير الحياة يدأب عليه الطاويون ويشغلون فيه معظم وقتهم بل إن رجال دينهم وهم مقسومون إلى قسمين : " الرهبان " الذين يقيمون في الصوامع ويتعبدون بالتأمل وبممارسة الفضائل العشر وقسيسون يقيمون بين الناس كل من هذين القسمين من رجال الدين يمارس العلوم الروحية وكيمياء السعادة ويتداخل في حياة الناس فيطببونهم على الطريقة الروحية ويسعون في زواجهم على تلك الطريقة بل يحاولون اكتشاف الضائع بها أيضا وهي اذن تلعب في حياتهم دورا مهما .

والطاوية دين عدد عظيم من أهل الصين يدينون به لا على الطريقة التي ذكرناها تماما بأصلها وتطورها التاريخي بل على مايفهمون مما انتهت اليهم عقولهم ومواهبهم ولقد أصبحت الطاوية عام ٤٤٠ ق.م دين الدولة للصين ثم أنها في عام ٦٦٦ تقدمت على الكونفشية وتفوقت عليها في مكانتها في الدولة ثم عادت وفقدت المنزلة الاولى التي احتلتها

+÷+++++++

" الديانة الكونفشية "

الكونفشية مذهب يهتم بالدولة والعائلة فينظم شؤونها تنظيماً أخلاقيا ، فهو اذن ليس دينا بالمعنى الذى نفهمه وليس فيه آلهة أو إلها ، وليس فيه هياكل ومعابد فيها كهان إنما هو منظم اجتماعي أخلاقي .

واضع هذا الدين إن صح استعمال كلمة الدين عليه هو" كونفوشيوس" وكونفوشيوس عاش في القرن السادس والخامس قبل الميلاد واتفق علماء الصين على أن يحددوا تاريخ ميلاده بسنة (٥٥١) ق . م وتاريخ وفاته بسنة (٤٧٩) ق . م على أنه لا يوجد شيء في المصادر القديمة المعاصرة لكونفوشيوس يثبت هذين التاريخين .

وحياة كونفوشيوس دخلت فيها الأسطورة فلعبت بعض الدور ولئن لم تزينها وترفعها وتطليها طلاء النبوة أو الآلهة انها أحدثت فيها بعض الجديد . والعلماء المحدثون لا يقبلون بترجمة كونفوشيوس كما وردت في المصادر الصينية المتأخرة عن زمانه بل يرونها على الشكل الذى يستنتجونه من كتابات تعد من أساس الديانة الكونفوشوسية وهي التي تسمى بالمختارات أي مختارات من أقوال كونفوشيوس وأحاديثه وأفعاله وسنعرض حياة كونفوشيوس كما ترويها المصادر الصينية ثم نعود إلى ذكر حياته كما تقرها المصادر الغربية الحديثة .

أما المصادر الصينية فتعطي كونفوشيوس حياة عادية لكنها حياة إنسان ذى أثر كبير في محيطه من الناحية الادارية والاجتماعية .

تقول هذه المصادر أن كونفوشيوس نشأ في عائلة نبيلة فقيرة وكان والده جنديا فربي على الآداب السامية والتهذيب ، لكنه نشأ على الفقر . ولد في (لو) في عصر كانت الحروب فيه كثيرة وكان الحكام شديدين على الرعية وتقدم كونفوشيوس تقدما سريعا بذكائه وحصل على وظيفة عمل فيها ثم إذا هو في سن العشرين من العمر يؤسس مدرسة أو مجمعا علميا

غايته كشف الحكمة واشراكها في الحياة وأدار ذلك المجمع حتى سن الرابعة والثلاثين وجمع حوله عددا من التلامذة ثم سافر وقضى عشرة سنوات في سفره وعاد بعد أن علم كل من أراد العلم . ولما عاد انقطع إلى العلم والتعليم أيضا ، وفي عام (٥٠١) ق . م عينه الامير تينغ وهو حاكم مقاطعة (لو) التي نشأ فيها ، عينه عاملا له على مدينة صغيرة فقام في عمله في تلك المدينة بشكل حاز به إعجاب الأمير فعينه وزيرا للأشغال العامة ثم وزيرا للعدل . وفي وزارته نظم الأمور تنظيما رائعا بحيث أصبح مثالا يقتدى به وبحيث سارت شهرته فأقبل الناس عليه من أرجاء العالم الصيني يشاهدون أعماله ونظامه وساد العدل في زمانه وقوي سلطان الحكومة . واضطر الاشرار إلى الاختفاء خجلا من أعمالهم وأطاعت النساء أزواجهن وساد الخيروالبركة . لكن الأمور ما قدر لها أن تستمر فقد وشى الواشون به وأغروا ، واستعملوا الهدايا ليبعدوه عن سلطانه فأرسلوا إلى حاكم (لو) ثمانين جارية جميلة وغانية أو عشرة حسب بعض الأقوال . وقبل هذا الحاكم تلك الهدية وأبعد كونفوشيوس عن عمله فخلا الجو تارة أخرى للواشين يعبثون كما يريدون ورحل هو في أرجاء الصين مرة أخرى مدة اثنتي عشرة سنة يعلم ويدرس ويعيش من عمله .وتدريسه وطلب إليه الحكام أن يقبل الوظائف عندهم لكنه لم يكن يقبل ذلك إنه لم ير حاكما يرضى به وباصلاحاته وقد قال لو رأيت أميرا يسلمني الحكم مع الحرية والسلطان الكافي لأصلحت الأمور جميعا بمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات. وبقي في رحلته حتى استدعاه حاكم (لو) فعاد إلى بلدته سنة (٤٨٣) ق . م تلك السنة التي توفي فيها (بوذا) على أنه لم يستول على عمل ما بل انقطع إلى النظر في الكتب الدينية القديمة فوضع هذه الكتب وضعا حديثا وشرحها ثم وافته منيته عام (٤٧٩) فاستقبل أجله باسما ولم تظهر عليه خشية أو خوف، ولم يتل صلاة ما أو تعويذا وأصبح مكان دفنه مزارا ومحجا لأهل الصين .

هذا ماتقوله المصادر الصينية المتأخرة عن زمانه أما علماء الدين المقارن المحدثون فهم يخالفون هذا العرض لحياته لأنهم يرجعون الى كتاب المختار من أقواله فلا يجدون فيها مايدل على أنه تولى المناصب العالية أو قام بالأعمال الحكومية المشار اليها ويرجع أولئك العلماء الى تلك المنتخبات فيستخلصون منها حياته على الشكل الآتي :

كانت الحالة عند ما ولد حالة حرب وخصام بين الحكومات الصينية المختلفة وكان الحكام ظالمين يضطهدون الشعب والخراب سائد ، فوضع كونفوشيوس أسلوبا للأخلاق الاجتماعية والحكومية. أسلوبا يحفظ السلام ويعيد الطمأنينة ويعطي الشعب حكما دائما عادلا . وجمع حوله تلاميذ يعلمهم مبادئه وحكمته وهم من أولاد النبلاء ومن أصحاب المناصب العليا .

فعلمهم فنون التربية الصحيحة وطلب إليهم أن يجعلوها هدفهم في أعمالهم . أما هو فلم يكن له منصب حكومي عال بل كان معلما يعيش مما يتقاضاه من تلاميذه ورحل وعمره /٥٥/ سنة رحلة استغرقت عشرة أعوام. رحل إلى المقاطعات الصينية ولم يستطيع في رحلته أن يفوز بوظيفة عالية يطبق فيها مبادئ حكمته وأصول المجتمع الذي يفكر فيه ويقوم على طريقها بالاصلاحات التي كانت هدفه .

تلك حياته كما تظهر من مقتطفات أقواله وأحاديثه وأفعاله ولعل المصادر الصينية أرادت أن تشير إلى أن هذا الفيلسوف لم يعط الرأى فحسب بل وضع هذا الرأى موضع التطبيق ونجح في تطبيقه فهو مثال يحتذى به . وعلى كل حال فليس عدم تمكنه من اجراء اصلاحاته بمقلل من أهمية ماأوجد من فكرته عن الادارة والنظام والأخلاق .

* فكرة عامة عن الكونفوشسية :

قلنا: أن الكونفوشسية هي أسلوب أخلاقي لإدارة المجتمع بأجزائه المختلفة من عائلة وحكم . والواقع أن الكونفوشسية لا تنظر إلى الدين

نظرة الاديان الأخرى من أنه مذهب فيه نظرة إلى كائن أعلى والى يوم آخر فالذى يهم كونفوشيوس هو اصلاح المجتمع الذى كان يعيش فيه وهو لا ينظر إلى الإنسان إلاعلى أنه مخلوق اجتماعي له صلات اجتماعية وله واجب اجتماعي، هذا الواجب الاجتماعي وتلك الصلات الاجتماعية يجب تنظيمها بحيث يسود السلام وتستقر الطمأنينة في النفس ويسود العدل ويتم الحق . وترى الكونفوشسية أن الإنسان تربطه بأخيه الإنسان صلات تسمى " جين " ويعنون بهذه الكلمة ذلك العطف المتبادل بين الانسان والانسان الآخر وهذا العطف يكون على صفات خمس مبنية على صلات بين أنواع خمسة من الناس .

١- صلة الحاكم بالتابع (الرعية) .

٢- صلة الأب بابنه .

٣- صلة الأخ الكبير بأخيه الصغير .

٤- صلة الزوج بزوجته .

٥- صلة الصديق بصديقه .

هذه الضروب الخمسة من الصلات تبنى على مايسمونه ب (لي) ولي هو مزيج من السلوك ومن التقديس والاحترام ، وفي هذه الصلات درجات من الناس هي درجة الأعلى ودرجة الأدنى . فالحاكم أعلى من المحكوم والأب أعلى من الابن والزوج أعلى من الزوجة وهكذا ، والأدنى يجب أن يعامل الاعلى بنوع من الاحترام الزائد الذى يكاد يبلغ حد التقديس . وأن تكون أعماله سائرة سيرة فيها سلوك مقيد وحركات معينة على أن الأعلى اذا أراد أن يحصل على هذا التقديس وجب عليه أن يعامل الأدنى منه معاملة فيها الاحترام وفيها السلوك الحسن .

فالتقديس لا يأتي عن طريق الضغط والإكراه إنما يأتي بشعور ينتاب النفس من طريق المعاملة الحسنة وعن طريق الاقتداء بأصحاب السلوك الحسن. وعلى ذلك فالحاكم هو المثال الذى يقتدي به الشعب فيجب أن يكون مترفعا

كل الترفع لا يتناوله اللوم أبدا وأعماله يجب أن تكـون خاليـة من كل مايعرض للنقـد .

وترى الكونفوشسية ان هذا النظام من التقديس والاحترام والسلوك الحسن والادارة العادلة تؤدي مع الزمن إلى توحيد الانسانية والتساوى بين الناس ولكن يجب تأجيل ذلك أكثر ما يمكن فلا يأتي ذلك اليوم إلا بعـد أن تسود الفضيلة تماما وتستقر الأخلاق ولكي نستعجل هذا اليوم يجب علينا أن نصحح الألقاب، وماذا يعني تصحيح الالقاب ؟ يعني أنه يجب أن لا يعطى لعمل من الأعمال أو لإنسان من الناس لقب لا يستحقه . يجب أن يمتحن صاحب العمل حتى إذا اجتاز امتحانه بسلوكه وأعماله ومعرفته عهـد إليه بذلك العمل الذي له لقب معين فمطابقة الألقاب لأحوال الناس أساس في الكونفوشسية فالملك مثلا يجب أن لا يسمى ملكا إذا كان يضع الضرائب المرهقة على الناس .

وكان الحكام والولاة والموظفون يجتازون امتحانا معينا على أساس ما ورد في الكتب الكونفوشسية حتى إذا اجتازوا ذلك الامتحان بنجاح أسندت إليهم الوظائف وألقابها .

* الكتب الكونفوشسية :

يظهر مما تقدم أن كونفوشيوس يهتم اهتماما خاصا بالحكومة وبولاة الأمر ويعتقد أن أعمالهم أو قسما كبيرا منها يجب أن يتولاه المثقفون العارفون الذين يأخذون ثقافتهم من الكتب الكونفوشيوسية، ويرى كونفوشيوس أن الانسان يصبح حكيما عاقلا إن تدارس الكتب وتلقى معلوماتها على يد أستاذ قادر ماهر، فالمعرفة إذن عند كونفوشيوس أصل من الأصول في الحكمة والإدارة ولـذلك وجدنا خلال تاريخ الصين إجلالا للعلم وتتبعا له وتدارسا لأجزائه . والكتب التي تعطي الحكمة وتمكن الإنسان في المعرفة وتجعله قادرا على أن يتولى شؤون الناس هي نوعان من الكتب :

ـ النوع الاول : الأصول الخمسة القديمة .

ـ والنوع الثاني : الكتب الأربعة الملحقة .

الأصول الخمسة التي يعتمد عليها الكونفوشوسيون هي كتب قديمة أعاد النظر فيها كونفوشيوس وأصلح مافيها ووضعها بصيغتها النهائية وأضاف إليها كتابا من عنده فأصبحت خمسة وهي :

١ ـ كتاب الوثائق التاريخية وهو كتاب خطب وأعمال رسمية وآثار لقدماء أباطرة الصين .

٢ ـ كتاب القصائد والشعر ويحوى /٣٠٥/ أغاني قديمة رسمية دينية .

٣ ـ كتاب التبدلات وهو كتاب له منحى صوفيا فيه ذكر لما يقع في العالم من تبدل وتغير على التنبؤ ويعتمد الطاويون على هذا الكتاب كثيرا وقد أخذوه عن الكونفوشوسية .

٤ ـ كتاب القداس والحفلات وهو يذكر وينظم الحفلات الرسمية وأصولها .

٥ ـ حوليات الربيع والخريف وهو كتاب قيل أنه الوحيد من الخمسة الذي وضعه كونفوشيوس لنفسه وضمنه التاريخ الذى حدث منذ (٧٢٢) ق. م إلى (٤٨١) ق. م . هذه هي الأصول الخمسة ونرى من تعداد أسمائها أنها تتبع القديم وتعنى به وتضعه الوضع الذى ارتضاه كونفوشيوس، ويظهر فيها كونفوشيوس بمظهر الآخذ بالتراث الذى بين يديه والمنظم له .

أما الكتب الأربعة التي تضاف إلى الأصول الخمسة فهي ملحقة بتلك، وفيها آراء كونفوشيوس وحياته وآراء تلاميذه وأتباعهم وأفكارهم، وهي تتضمن الكتب الآتية :

١ ـ المنتخبات من أقوال كونفوشيوس وأحاديثه وأفعاله وقد ذكرنا أن المؤرخين المحدثين اعتمدوا على هذا الكتاب في استخراج حياة كونفوشيوس بصحتها ودقتها كما يعتقدون .

٢- المعرفة الكبرى وهو كتاب منسوب إلى تسين تسيان أحد تلامذة كونفوشيوس .

٣- مذهب الوسط أو حالة الانسجام والاتزان وفيه بيان للنظام الذي يجب أن يسير عليه الكونفوشيوسيون في أخلاقهم واتزان نفوسهم وطبيعتهم .

٤- آثار منسيوس وهو مصلح من كبار مصلحي الصين أكمل مذهب كونفوشيوس بعده ب (١٥٠) عاما .

من هذين النوعين من الكتب تتكون الأصول والمبادئ التي يعتمد عليها المذهب الكونفوشيوسي في الإدارة والحكم والأخلاق والتعبد . على أن أحد الأباطرة أراد أن يقضي على هذه الكتب فأمر بإحراقها جميعا لكن المتحمسين للمذهب استطاعوا أن ينقذوا قسما من نسخها وبذلك حفظت وسلمت .

* عبادة السماء :

ماكان قصد كونفوشيوس كما قلنا قصدا دينيا بالمعنى الذي نراه أي البحث عن الاله ومعرفته وتعبده ولم يرم إلى ايجاد مذهب جديد من حيث الفكر الالهي بل أقر ماكان عليه دين الصين قبله بوجه يتلاءم مع دينه وعقيدته واتجاهه المسلكي . إذ استبقى عبادة كانت قبله وهي عبادة السماء تيين، كان الصينيون يعبدون السماء ويقدمون لها القرابين، ويرى كونفوشيوس في السماء شيئا غير ماكان يراه قدماء الصين فهو يعتقدها قوة في الكون فيها قدرة غير قدرة الإنسان ، قدرة تعمل في سبيل العدل والحق ولها من العطف والرحمة على الإنسان مالها . وهي تحب النظام والانسجام والترتيب وهي مثال للرحمة، ولعل الباحث في مذاهب كونفوشيوس من آثاره يستنتج أن كونفوشيوس كان موحدا يرى أن للكون إلها واحدا لكنه تسامح في تقديس المظاهر الطبيعية والأجداد والأرواح (الجن) وكان كونفوشيوس يأبى

تأليه الأشخاص والأفراد ويعتقد أن ذلك تملقا لا يستحقونه وكل أمره أنه في سبيل نظامه الاجتماعي السياسي يرى أن الامبراطور معقود له في السماء أي أن سلطته خولها له الاله، فهو إذن يمثل الاله على الأرض في المبادئ الاخلاقية والاجتماعية التي يتبعها.

هذا هو رأى كونفوشيوس في التوحيد ولو أنه لا يظهر واضحا كل الوضوح من آثاره فهو كما قلنا لا يريد أن يتعرض بشكل خاص للاله ولخلقه للكون ولقدرته، بل غاية أمره أنه يتمثله قدرة فائقة فوق القدرة البشرية قدرة عادلة رحيمة محسنة منظمة، على أن رأي كونفوشيوس في الاله لم يأخذ به الصينيون على حقيقته وعلى شكله بل رجعوا إلى دينهم القديم وهو دين عبارة المظاهر الطبيعية والأرواح بل الأشخاص فلم يتغير شيء من هذه الناحية في دين الصينيين بعد أن مضى زمن على وفاة كونفوشيوس.

* الناحية الأخلاقية الاجتماعية :

نشرع الآن في تفسير ما أجملنا ذكره في النظرة العامة عن ديانة كونفوشيوس. وقد ذكرنا أن كونفوشيوس يهتم بالأخلاق والمجتمع. وقد كان في الواقع منهمكا في وضع أسلوب يجعل من الإنسان رجلا متساميا. وقد يقصد بكلمة "متسامي" الرجل المستقيم المتزن ويقود الآخرين في هذا الصراط ويمهد بهم سبيله. والاعتدال عنده أساس في كل شيء. وقد وضع كونفوشيوس مبادئ في الاخلاق تختصر في قول له مشهور وهو (لا تعمل مع الآخرين مالا تحب أن يعملوه معك) في هذا المبدأ الخلاصة الخلقية لمبدأ كونفوشيوس وهي خلاصة سلبية لا ايجابية، على أن معناها كبير فهي مبدأ أخلاقي متزن يجعل الإنسان ينظر إلى غيره نظرته لنفسه. وقد وضع كونفوشيوس مبادئ خمسة حددها بحيث تجمع فكرته عن الأخلاق وتنظيم المجتمع وهي :

١- الثقافة : فالإنسان يجب أن يكون مطلعا على الكتب الدينية عارفا بها.

٢- الاخلاص : وواضح من ذلك أنه يريد العمل المخلص الذي ليس فيه نية سيئة.

٣- النظام في الحياة الشخصية : فعلى الانسان أن يكون منظما في أموره وشوءونه نظاما يتبع نسقا معينا لا اضطراب فيه .

٤- الانسجام في العلاقات العائلية والاجتماعية : وهي انسجام الشخص مع محيطه وسيره على قواعده .

٥- السلام العام : وهو مبدأ إنساني عام يدل على الحكمة الكونفوشسية .

* تقديس الأجداد :

قلنا أن كونفوشيوس لم يأت بالجديد فيما يتعلق بالفكرة الالهية وانه تتبع الآثار القديمة فوضعها بالصيغة النهائية فهو إذن اطلع على تاريخ الصين وعلى العقلية الصينية وعلى طبيعة مواطنيه اطلاع الحكيم فوضع لهم مبدأ يناسب عقلهم وطبعهم ومزاجهم ولذلك بقي دينه في الصين ثابتا على الأيام . وقد وجد في آثارهم وأعمالهم مايدل دلالة تامة على إجلال الآباء والأجداد فأقر ذلك الإجلال على أنه تقوى أساسية يقدمه الابن نحو أبيه . وهو رأس الفضائل عنده لما يتكون فيه من اعتراف بالجميل وقيام بحق صاحب الحق . ولعله لم يقصد من إجلال الأبناء لآبائهم عبادتهم لهم بل نوعا من التقديس والتبجيل الذى يرى أنهم يستحقونه كما ويرى أن الأبناء يسمون بهذا الإخلاص وذلك الإجلال .

ودرج الصينيون من بعده على إقامة هيكل للأجداد في كل بيت من البيوت توضع في ذلك الهيكل أسماء الأجداد والآباء المتوفين تكتب على ألواح وتقدس تلك الأرواح وتتلى أمامها الطقوس وتقدم لها القرابين وتبذل فيها المشروبات ، وذلك بمناسبة الولادات والوفيات ويقول الباحثون إن هذه الطقوس وتلك العبادات إنما هي تعبير عائلي عن الشعور نحو الأجداد ، فالأولاد مدينون لهم بالشكر لأنهم أتوا بهم لهذا العالم . ولا يلزم الأولاد بتقديس أجداد غيرهم فإنما هم ملزمون بمن هم أصحاب المعروف معهم . وكان كونفوشيوس يرى أن تقديس الأجداد الآخرين نوعا من التملق

لا جدوى منه ولا موجب له . على أن الصينيين انتهوا الى أن صاروا يرون عبادة الأجداد عبادة أساسية وهكذا أقاموا الهياكل للأجداد عامة وأقاموا احتفالات وأعيادا خاصة أمام أولئك الأجداد فوضعوا في تلك الهياكل الألواح بأسماء عدد كبير من هم أساس الحضارة الصينية وأساس الفكر الصيني وأساس تلك المدنية ، وضمنوا تلك الهياكل في الطرف الشمالي الأقصى منها عبادة كونفوشيوس نفسه . ولو رأى ذلك كونفوشيوس لا متعض وتألم . وقد تم ذلك على مراحل ، فقد أعطى الأباطرة بالتتالي لكونفوشيوس ألقابا متدرجة فسماه أحدهم أميرا والآخر أستاذا أعلى وآخر أعطاه رتبة الكمال العظيم وأعظم الحكماء ثم قرروا عام (٥٥٥) للميلاد أن يؤسسوا له هيكلا في كل مدينة كبيرة من مدن الصين وقرروا أن تقدم له القرابين وأن يعبد . ثم ضموا إليه عددا من التلاميذ ونحوا من أسماء ستين عالما من علماء الكونفوشسية . وكانت عبادته خلال مايقرب من /١٥٠٠/ عام تقام في الصين مرتين كل عام في موعد تعادل الربيع وتعادل الخريف .

ولما تأسست الجمهورية الحديثة في الصين أبطت عبادة كونفوشسوس بعد أن عرفت الصين الأديان الأخرى العالمية فوجدت أنها تفعل شيئا مستغربا . على أنها حين أبطلت عبادة كونفوشيوس عدت ذكرى ميلاده عيدا وطنيا عاما . وأتت بعد ذلك حكومة الصين الشعبية الشيوعية فنظرت بحذر كبير إلى الكونفشسية وألغت من المدارس الأولية كتب الدين الكونفوشسي بما فيها الأصول الخمسة والكتب الأربعة .

xxxxxxxxxxx

الفصل الخامس
في :
" المانويـــــــــة "

درسنا في محاضرة سابقة الزرادتشية وأثرها في فارس وقضاء المسلمين عليها، وعلينا أن نعرف اليوم المانوية التي كان لها من الأثر في حياة الفرس ما يشابه للزرادتشية، وكانت ترادف عند المسلمين كلمة الزندقة التي كانت تطلق عليها خاصة قبل أن تطلق على الإلحاد عامة .

المانويـة مزيج من الديانات المختلفة : الزرادتشية ـ البوذيـة ، المسيحية ـ ومؤسسها (ماني) ولد سنة " ٢١٦ " م في عائلة متزهدة متمسكة تنتسب إلى حنا المعمدان .

ولد في مدينة قريبة من مكان بغداد الحالي . ولما بلغ السادسة والعشرين من العمر رأى أنه أوحي إليه فأخذ يبشر بدعوته . وأعجب سابور الأول بدينه فاعتنقه . لكن الكهنة حرضوه على هذا الدين الجديد فأبعد ماني فسار هذا يجوب آسيا حتى بلغ الهند وتجاوز حدود الصين مبشرا بدينـه . ولما استولى على الملك بهرام الأول ، ظن ماني أنه يستطيع أن يعود إلـى بلاده بأمان فعاد ، لكنه استقبل بمعارضة شديدة من الكهنة . وكان أن ألقي في الســجن فظل فيه حتى مات .

على أن دينه لم ينطفيء لذلك مالبث أن انتشر من أقصى العالـم إلى أقصاه فقد كان دعاته متحمسين حماسة شديدة ، وكانت أفكار هذا الدين تجول في أذهان الناس آنذاك .

غير أن الاضطهاد مازال يلاحقه في كل مكان : اضطهده أباطـرة القسطنطينية وباباوات روما وغيرهم .

واستمرت المانوية تثبت تعاليمها لا تني عن ذلك مدة ألف ســنة ، تدخل في الفرق المنشقة والمتزندقة فتؤثر فيها وتوجهها . وقد دخلــت

المانوية في بلاد الاسلام ونفثت أثرها في بعض المذاهب ،فرد عليهـــا المتكلمون وتتبعها الخلفاء ولا سيما المتوكل الذي قضى عليها قضـاء يكاد يكون مبرمـا .

المانوية دين ثنـوي بني على الصـراع بين قوتين متناقضتين. ويدعي مؤسسه أنه أوحي إليـه من عند الله وأنه المنقذ الذي نص عليه المسيح وأنه آخر الأنبيـاء ، ويدعي أن دينه لا يختلف عن أديان الرسل الذين أرسلوا قبله وهم نوح وابراهيم وبوذا وعيسى ،وإنه إنما جاء ليشرح تعاليمهم ويوضح ماالتبس منها ويتوجها ويكملها .

والواقع أنه وضع نظرية كونية تاريخية بنى عليها دينه الذي اقتبسه مـــن منابع مختلفة .

يرى ماني أن الأوقات ثلاثة : (الماضي والحاضر والآخـر) ،ويشرح حال هذه الأوقات الثلاث ويذكر ماحصل فيها . فيقول ما خلاصته أن الله خلق الكون من عالمين متناقضين : النـــور والظلمـة . وأسكن الملائكة في النـــور والشياطين في الظلمات . والعالمان منفصلان كل الانفصال وبينهما حـدود ، ففي الشمال ملكوت النور يسود فيه ذو العظمة الاله الخالـد . وفي الجنوب ملكوت الظلمة وهي مادة محض .

شاهد ابليس ملكوت النور والملائكة فحسدهم وأراد أن يستولي علـــى مملكتهم . وبما أن خالق الكون في جوهره غير مقاتـل وملائكته أصحاب ســلام ، فقد خلق الله الرجل الأول ليقاتل الظلمات . وقاتل الإنسان الأول الشـيطان فلم يقدر عليه وقهر أمامه فبعث إله النـــور رسولا آخر تغلب على الشـــيطان ، على أن الانسان تأثر بقتله الشيطان فدخله شيء من الظلام .

واستطاع ابليس أن يحبس كمية كبيرة من الجوهر النوراني . هذه الكمية يجب استخلاصها منه ومن يد أتباعه . وهكذا نظم إله النـور جيشا هائــلا يحرر هذا الجوهر ،فكون الشمس والقمر مما استخلص من الشياطين وخـلق

الأرض واستخدم لخلقها حسادا من الشياطين .

هذا هو الماضي عند " ماني " ،أما الحاضر فيتصل بالانسان الحالي . وهذا الإنسان الحالي ولد من قطع النور التي حبستها الشياطين في طرف لحمي ، فعليه إذن أن ينقذ نفسه من ظلمة جسمه ، فيقهره ويعود نورا . والعالم مكون من قوتين : قوة النور وهي قوة الخير وقوة الظلام وهي قوة الشر . والمادة ظلام فهي شر . ويجب على الإنسان أن يقهرها ، ويكون قهرها وغلبتها بالزهد بها والابتعاد عن الشهوة الجسدية . لكن قهرها ليس سهلا والناس متفاوتون في المقدرة على غلبتها . فهم في ذلك ثلاث طبقات :

أولا :ـ طبقة الأصفياء الأبرار وهؤلاء قادرين عليها فيجب عليهم أن يتزهدوا ولا يتزوجوا ولا يطلبوا المادة أبدا فلا يقتنوا شيئا .

ثانيا :ـ طبقة المستمعين . وهؤلاء أقل قدرة من الأصفياء على نبذ المادة فعليهم أن يمتنعوا عن الملذات الجسمية ماأمكنهم ، وعليهم أن يمتنعوا عن القتل والزنى .

وبما أن الطبقة الأولى يجب أن تبقى بعيدة عن المادة فعلى المستمعين أن يقدموا لها المعيشة والحياة وكلما تحرر قسم من النور علت ذراته فحلت في الشمس والقمر حيث تصفو . ويبقى في طبقة المستمعين الظلام ،لكنها تقدر أن تمحوه وتأتي عليه حين تمسخ فتصبح يوما من طبقة الأخيار .

ثالثا :ـ طبقة المذنبين . وهذه هي الطبقة التي يبقى الظلام فيها وهي التي تزول أرواحها إلى النار .

وبهذا شرن " ماني " الماضي والحاضر . أما المستقبل فيأتي عندما تستخرج الأنوار من الأرواح البشرية ، عندئذ يشتعل العالم شعلة كونية ويعود الانفصال بين الملكوتين كما كان . يظهر

مما تقدم أن المانويـة مزيج من البوذيـة والزردتشية والنصرانية . أخذت بصفـة خاصـة عـن الزرداتشـية الصراع بين الخير والشـر بين اهـورا مزده واهرمان .

عرفت هذه الديانـة من نصوص قديمة اكتشـفت في تركـتان وفـي الفيـوم من أعمال مصر .

وانتشرت المانويـة لأنها كانت تفسيرا تاريخيا للأديان القديمـة مع عناية بالزهد والتقشف . وأخفقت لأنها كانت ثنويـة فهي لم تسـتطع أن تتـلاءم مع الإسلام الذى قضـى عليها في بلادها الأولى .

****

" انتهـى بعونه تعالـى "

============

xxxxxxxxx

xxxxxxx

xx

x

* الفهـــرس *

* * *



صدر باشراف لجنة الانجاز

سعر المبيع للطالب ٧٥ ل.س

مطبعة جامعة دمشق